

مجلة

# كلية الآداب

تصدرها كلية الآداب بجامعة بغداد

العدد الثاني

سبتمبر ١٩٦٠

مطبعة العاني - بغداد

## لجنة المجلة

الاستاذ ناجي معروف

الدكتور ابراهيم السامرائي

الدكتور فاضل زكي

الدكتور شاكر خصيباك

## سكرتير المجلة

الدكتور علي جواد الطاهر

صدر من المجلة ثلاثة اعداد باسم مجلة « كلية الآداب والعلوم » في  
حزيران ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ .  
والعدد الاول من « مجلة كلية الآداب » في حزيران ١٩٥٩

## المحتويات

الصفحة	
٣ - ٥٥	مصطفى جواد خريدة القصر وجريدة العصر (شعراء مصر)
٥٦ - ٨٦	ناجي معروف المدرسة النصارائية أو « القصر العباسي »
٨٧ - ٩٨	علي جواد الطاهر المزيدون في شعر العصر السلجوقي
٩٩ - ١١١	ابراهيم السامرائي العربية بين الجمود والتطور والتوليد « دراسة في اللغة والاسلوب »
١١٢ - ١٢٥	بهنام باسيلوس الجناسيتيك العسلاحي « القسم المسطحة »
١٢٦ - ١٣٣	شاكر خصباك مميزات الحياة القبلية السكردية
١٣٤ - ١٤٦	عباس احسان البغدادي المياه الجوفية في العراق
١٤٧ - ١٥٥	عبدالرحمن الحبيب رأس المال والابتداعات
١٥٦ - ٢٠٤	كي . ستويانو فستش حقيقة القانون الدولي
	ترجمة
	فاضل زكي محمد
٢٠٥ - ٢١٦	كمال قاسم نادر نشأة المسرح الاغريقي
٢١٧ - ٢٣١	محمود الامين صرح بابل المدرج أو « الزقورة »
٢٣٢ - ٢٥٦	محمود علي الداود العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي
٢٥٧ - ٢٧٢	يوسف عز الدين داود باشا ونهاية دولة المماليك
٢٧٥ - ٢٩٢	ت . س . اليوت حدود النقد الادبي
	ترجمة
	عبدالوهاب الوكيل

# خزينة القصر وجزيرة المهر

## تأليف العماد الاصفهاني الكاتب

شعراء مصر

للدكتور مصطفى جواد

الاستاذ فى قسم اللغة العربية  
بكلية التربية - والمحاضر فى كلية  
الآداب

نشره المرجوة له الرحمة الاستاذ أحمد أمين والاستاذ شوقي ضيف  
والاستاذ احسان عباس فى جزئين الاول فى ٢٩٣ ص من قطع الثمن ٠ وقد  
طبع بسطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٥١ والثانى فى  
٢٥٩ ص مع الفهارس ولم يشر الى سنة طبعه ٠

وهذا الكتاب أشهر من أن يعرف للقراء ، وقد طبع منه من شعراء  
العراق جزء واحد تولى طبعه المجمع العلمى العراقى ومن شعراء الشام  
جزآن تولى نشرهما الدكتور شكرى فيصل الدمشقى ، وقد اعد جماعة من  
الادباء أجزاء آخر منه للطبع ٠

ان جزئى شعراء مصر قد صدر أولهما بمقدمة للاستاذ أحمد أمين ،  
ومهد له الاستاذ شوقي ضيف بتوطئة سماها « المدخل » وقد ذكر فيها كيفية  
اشتغالهم وعنايتهم بهذا الكتاب وتكلم على النسخ التى توفرت لديهم ومنها  
مصورة دار الكتب المصرية قال :

١ - « وهى تبدأ بمقطوعات شعرية نجد فى أثنائها : وأنشد فى  
بعض فضلاء مصر لابن الجباب<sup>(١)</sup> «...» هكذا بالحاء المهملة ، والذي حفظناه  
من تاريخ القاهرة « ابن الجباب » بالميم ، قال الذهبى فى المشتبه - ص ١٣٨ - :

---

(١) وقد كرر الاستاذ شوقي ضيف هذا الخطأ فى الصفحة  
المذكورة ، قال : « وهى تبدأ ببقية ترجمة القاضى الجليس بن الجباب » ٠ وفى  
الصفحات ١٧٤ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ٠



وبموحدة [ الجباب ] أبو البركات عبدالقوى بن الجباب المصرى وأقاربه ،  
كان جدهم عبدالله يعرف بالجباب لجلوسه فى سوق الجباب •• ثم قال فى  
الصفحة ١٦٩ : « وبجيم مفتوحة [ الجليس ] القاضى الجليس عبدالعزيز  
بن الجباب » • وقال الفيروزأبادى فى القاموس : « وعبدالقوى بن الجباب  
ككتان لجلوس جده فى سوق الجباب » وقال الزبيدى فى التاج : « وأبو  
البركات عبدالقوى بن الجباب ككتان<sup>(١)</sup> المصرى لجلوس جده عبدالله فى  
سوق الجباب » •

والظاهر أنه منسوب الى الجب ، وهو المزايدة يخيط بعضها الى بعض<sup>(٢)</sup> ،  
كما فى القاموس أو الى الجبة وهى الرداء المعلوم المشهور •

٢ - وجاء فى الصفحة ٨ من ذلك الجزء قول العماد الاصفهانى :

تقول الى مصر تسير تعجبا وما الذى تبغى ومن لك فى مصر؟

والشطر الثانى مكسور ، والبحر الطويل ، فلعل الاصل « وماذا الذى

تبغى ومن لك فى مصر » •

٣ - وورد فى الصفحة ١٧ قوله :

أيلسغ دهرى قصدى وقد قصدت بمصر ذرى يوسف

وقد ضبطوا « ذرى » بضم الذاى منها ، وقالوا فى الحاشية : « يقال :

أنا فى ذرى فلان أى فى ظله وفى نعمه » • والصحيح فتح الذاى من

« ذرى » لانه مفرد ، والذرى جمع الذروة ، والذرى بفتح الذاى هو فناء

الدار ونواحيها والملجأ وكل ما استتر به ، يقال : اتخذت الحائط ذرى لى

أى أويت اليه وأنا فى ذرى فلان أى فى كنفه ورعايته ، وفلان كريم الذرى

أى كريم الطبيعة •

---

(١) وقع فى طبعة بولاق « ككتاب » وهو خطأ من النسخ أو الطبع •

(٢) وفى التاج : « والجب فى حديث ابن عباس ، نهى النبى -ص-

عن الجب فقيل وما الجب؟ فقالت امرأة عنده : هو المزايدة يخيط بعضها الى

بعض ، كانوا ينتبذون فيها حتى ضريت أى تعودت الانتباز فيها  
واشتدت عليه ويقال لها المخبوبة أيضا •

٤ - وجاء فى الصفحة ١٩ قول العماد أيضا :

وافى بسرح للنقاد فكان فى لقيا الاسود الضاريات سراحه فقالوا فى الحاشية : « والنقاد جمع نقاد وهو راعي جنس من الغنم قبيح الشكل والاستعارة واضحة » • قلنا : لم يقل أحد ان « النقاد » بكسر النون وتخفيف القاف جمع « النقاد ككتان » ، ولا يجوز هذا فى القياس ، والصحيح أن « النقاد » بكسر النون جمع « نقدة » بالتحريك وهى شاة قصيرة الارجل ، أما « النقاد » بتشديد القاف فيجمع جمعا سالما بالواو والنون أو بالياء والنون ، ولا جمع له غيره فى السماع والقياس • واللام فى « للنقاد » من البيت بمعنى « من » أي من النقاد •

٥ - وورد فى الصفحة المذكورة بعينها « ولك الكعوب مقومات<sup>(١)</sup> للردى » برفع « مقومات » والصواب نصبها على الحالية كقول العرب « لك حكمك مسمطا » ولا يجوز غير ذلك •

٦ - وجاء فيها أيضا « النهذ : النهوض للعدو والصمود له » • ولم يرد « الصمود » فى قول فصيح من الفصحاء وانما هو من اشتقاق التراجمة العصريين الذين كانوا يترجمون البلاغات الحربية ، وهم يستعملونه بمعنى الثبات فيكون استعمالها ضعفاً على اباله ، فالصواب « الصمد » يقال « صمد اليه صمدا وقصد قصدا وسار سيرا » •

٧ - وجاء فى الصفحة المقدم ذكرها ولنسمها « أم الغلط » قوله :

كم سابق برداه يردى سابح فى بحر هلك ما نجا سباحه  
بناء « يردى » للمجهول ، باعتبار أنه مضارع « أردى » أى أهلك ، وليس له معنى وجيه ولاجناس مقبول عند مثل العماد ، فالصواب « يردى »

---

(١) قالوا فى شرحها : « يريد كعوب السيف ومقومات : مشهرات » ، والصواب « مشرعات » و « كعوب الرماح » فانا لم نجد للسيف كعوباً وانما الكعوب للرماح ، ولا يقال « أشهر السيف » بل شهره ، من الثلاثى •

على وزن يرمى أى يضرب الارض بحوافره يقال « ردى الفرس  
يردى رديا ورديانا » ، أما قوله « فى بحر هلك ما نجا سباحه » فانما جاء  
بالهلك ليكون مناسباً للنجاة فى قوله « ما نجا » سباحه •

٨ - وجاء فى الصفحة (٢٠) قوله :

ضرب الطلى بالمشرفى طلابكم وبراح من شرب الطلا طلاحه  
هكذا بقصر الطلاء وتشديد اللام بعد ضم الطاء من « طلابه » مع أنهم  
قالوا فى الحاشية : « الطلاح ضد الصلاح » • فالصواب اذن « وبراح من  
شرب الطلاء طلاحه » •

٩ - وجاء فى الصفحة (٢٠) قوله :

وله فوارس بالنفس سماحها أتعاد بالعرض المصون شحاحه؟  
هكذا ببناء الصيغة للمجهول من يعيد ، وليس له معنى معقول والصواب  
« أيعاب بالعرض المصون شحاحه ؟ » أى هل يكون صون العرض بشح  
وحرص عينا على الصائن الحافظ ؟

١٠ - وجاء فى الصفحة ٢٢ « واذا اتدى فى محفل فحيه » بفتح  
الحاء من « محفل » والصواب كسرهما لانه من حفل يحفل بكسر الفاء ، وان  
كانت العرب تجيز كسر ما حقه الفتح كالمسجد والمسكن والمطلع فهى بالحرى  
أحرص على كسر مستحق الكسر كالمحفل •

١١ - وورد فى الصفحة ٢٢ قول العماد : « ومنها قصيدة أخرى  
انفذتها اليه من دمشق الى مصر قبل مملكة الشام ... » هكذا بآثبات التاء  
المثناة من فوق ، والصواب « قبل مملكة الشام » والمملك مصدر ميمي من  
الفعل « ملك » أى قبل ملكه الشام أى امتلاكه اياه واستيلائه عليه ، وليس  
من معنى مقبول للجمله بآثبات التاء فى « مملكة » •

١٢ - وجاء فى الصفحة ٢٣ قوله : « حتى عصيت اللواحى » وهو  
جمع اللاحية أى اللائمة ، فقالوا : « اللوائح جمع لائح وهو اللائم » ،

فأخطؤوا خطأين ، أحدهما شرح كلمة غير موجودة في الكتاب والآخر  
اعتدادهم اللوائح جمعا للوائح ، مع أن من القواعد المقررة التي يدرسها شدة  
الصرف أن « فاعلا » للعاقل لا يجمع على فواعل ، إلا ما شذ كفارس وفوارس  
قال الجوهري في الصحاح : « الفرس يقع على الذكر والانثى ... وراكبه  
فارس أى صاحب فرس ، وهو مثل لابن وتامر ، ويجمع على فوارس وهو  
شاذ لا يقاس عليه لان فواعل انما هو جمع فاعلة كضاربة وضوارب ، أو  
جمع فاعل صفة لمؤنث كحائض وحوائض ، أو صفة أو اسما لغير آدمى كبازل  
وبوازل وحائط وحوائط فاما مذكر من يعقل فلا يجمع عليه الا فوارس  
وهوالك ونواكس » .

١٣- وجاء في الصفحة ٢٦ قوله :

فدت مهجتي من لا يذم لمهجتي اذا حاكمته وهو في الحكم مشتط

وقد ضبطوا « يذم » بالبناء للمجهول ، من ذمه يذمه ضد مدحه  
يمدحه ، ولم يسألوا أنفسهم عن معنى الشطر الاول في هذا الضبط ، ان  
المعنى تافه والصواب « من يذم لمهجتي » مضارع « أذم له اذاما » أى أعطاه  
ذمه وعهده ليكون تحت حمايته ، وقد جاء في أخبار استيلاء البساسيري على  
بغداد سنة (٤٥٠) قول الوزير أبى القاسم على بن المسلمة الملقب رئيس  
الرؤساء لقريش بن بدران العقيلي : « أمير المؤمنين يستدنيك » ثم قال « فان  
أمير المؤمنين يستند منك على نفسه وأهله وأصحابه بذمام الله وذمام رسوله  
ص- وذمام العرب » فقال قريش : قد أذم الله تعالى له ... فبلغ البساسيري  
ذلك • فراسله وقال : أتذم له وقد استقر بيني وبينك ما استحلفتك  
عليه<sup>(١)</sup> ؟! » .

١٤- وورد في الصفحة ٢٧ قول العماد الاصفهاني أيضا :

أغر لكف الكفر كف بأسه كما لفقار الفقر من جوده وهط

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والامم » ٨ : ١٩٣ .

فقالوا فى الشرح : « الفقار جمع فقرة وهى ما انتضد من عظام الظهر » .  
والصواب أن « الفقار » جمع لغوى لفقارة بفتح الفاء بمعنى الفقرة ، والجمع  
اللغوى هو اسم جنس جمعى ، فالفقرة لا تجمع على فقار بل على فقر .

١٥ - وجاء فى الصفحة ٢٧ قوله :

صنّعه ربط الكرام وانها لوفد أياديه المصانع والربط  
فقالوا فى الحاشية : « المصانع المباني من الحصون ، والربط هنا جمع  
رباط وهو الثغر الذى يربط فيه الجيش » . والصحيح أنه أراد بالرباط  
المعنى الحديث أى ما يشبه الدير عند النصارى ويسكنه المتصوفة والفقراء  
فيجدون الغذاء الكافى والمنام والملبس ، وهو المعروف بالخانقاه والخانكاه  
بالفارسية وشاع اللفظان الاخيران بمصر الشام دون العراق فان العراقيين  
لم يعرفوا له الا كلمة الرباط والربط والاربطة للكثير والقليل .

١٦ - وجاء فى الصفحة (٣٠) قوله :

أعزني جميلا واصطنعني واصف لى جميلك حتى يشمت الحاسد المنفـ  
وقد ضبطوا « اصف » بضم الفاء وهو أمر من « الصفو » الثلاثى ،  
ونصبوا « جميلك » به مع أنه لازم بهذا المعنى الذى هو ضد « كدر »  
والصحيح « أصفنى » الرباعى يقال « أصفاه الود وأصفاه له اصفاء أى  
أخلصه له ، وعلى التحقيق بمعنى جعله له صافياً ، وهو المراد بأصفنى جميلك  
الواردة فى بيت الشاعر .

١٧ - وورد فى الصفحة (٣٠) أيضاً قوله :

لابدى بلا عذر حظوظ فضائلى نفار العذارى من عذار به وخط  
فقالوا : « الوخط الشيب » والصحيح هو أن يخالط الشيب سواد  
وبين الحالين واللونين فرق عظيم فان اللحية الموهوطة هى اللحية الخرجاء أى  
السوداء البيضاء .

١٨ - وذكروا في حواشي الصفحة ٣٥ مضاف ترجمة القاضي الفاضل وفاتهم منها الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير لتاج الدين أبي طالب علي بن انجب المعروف بابن الساعي البغدادي الاديب المؤرخ « ٩ : ٨٢ » ومراة الزمان لسبط ابن الجوزي « ٨ : ٤٢٧ » وعيون الانباء في طبقات الاطباء استطرادا ، والغريب أن أبا شامة اقتصر على ذكر سنة وفاته « الذيل ص ١٧ » •

١٩ - وجاء في الصفحة ٣٨ قول القاضي الفاضل :  
نابت كتابته مناب كتيبة كُفَلَتْ بهزم كتائب وجحافل  
هكذا ببناء « كفلت » للمجهول ، وهو خطأ لان الكتيبة هي الكافلة  
فينبغي بناء الفعل للمعلوم ، يقال : كفل بالشئ أى ضمن به •  
٢٠ - وجاء في الصفحة (٤٠) قول القاضي الفاضل :

ألقيت عند مشار عيسهم نفسي وقلت : خدى على خدى  
هكذا بفتح الميم من « مشار » باعتداده اسم مكان من الثلاثي « نار »  
والصواب ضم الميم لانه من الرباعي « أثار » فالعيس تثار عند الارتحال ولا  
تثور ، فاللثار بضم الميم موضع اثارها كما أن « المناخ » بضم الميم موضع  
اناختها •

٢١ - وورد في الصفحة ٤١ قوله أيضا :  
يسدى الى منير أنعمه وأنير مدحته كما أسدى  
فقالوا في شرحه : « أنير من أثار اذا غرز الابرة فمعناه أخيط » •  
وفي هذا القول تدليس لغوي يؤدي الى التدليس في الشرح ، وبيان ذلك  
أن غرز الابرة غير الخياطة وأن غرز الابرة ليس من معاني « الانارة » التي فعلها  
« أثار » وأن هذا الغرز هو شئ تابع للتتوير لا للانارة ، قال في لسان العرب :  
« النؤور : النيلج وهو دخان الشحم يعالج الوشم ويحشى به حتى يخضر ... »  
وقد نور ذراعه اذا غرزها بآبرة ثم ذر عليها النؤور « • وقال في القاموس :

« ونور الشجر تنويرا : أخرج نوره كأنار ؛ والزرع : أدرك ؛ وذراعه  
غرزها بآبرة ثم ذر عليها النؤور » ، فهذا هو التنوير المأخوذ من النؤور أى  
دخان السحيم ، والظاهر لنا أنهم لما رأوا قول الفيروزآبادي « كأنار » للشجر  
جروه الى الذراع واستعاروا له الغرز بالآبرة وتركوا « النؤور » الذى هو  
منشأ اشتقاق الفعل ، ليتوصلوا بالغرز الى الخياطة فلم تنفعهم الخياطة لان  
الشاعر قال « وأنير مدحته كما أسدى » فالشرح يحتاج الى ما يليق بالفعل  
« يسدى » أى يقيم<sup>(١)</sup> ، وهو ما مد من خيوط الثوب قبل حوكه ، فهو  
خلاف اللحمة ، ولا محل للخياطة .

والصواب أن « ينير » من « أنار » الياثى الاصل ، قال فى القاموس :  
« النير بالكسر القصب والخيوط اذا اجتمعت وعلم الثوب جمعه أنيار .  
ونيرت الثوب نيرا ونيرته وأنرته : جعلت له نيرا ، وهذب الثوب ولحمته » .  
وقال فى لسان العرب : « ويقال للحمة الثوب نير » فأناره ينيره : جعل له  
لحمة وهى التى تحاك مع السدى ليكون المحوك ثوبا ، وهذا المعنى الذى  
ذكره الشاعر قديم ، جاء فى لسان العرب قول الزفان :

ومنهل طام عليه الغلفق ينير أو يسدى به الخدرنق

وقول الكميت :

فما تأتوا يكن حسنا جميلا وما تسدوا لمكرمة تسيرا  
وقال فى اللسان « نرت الثوب أنيره نيرا وأنرته نيرته اذا جعلت له  
علما » ثم قال : « ونيرته وأنرته ... جعلت له نيرا » . وهذا هو الاصل .  
وقد ارتكب الناشرون الغلط بعينه فى ترجمة على بن عرام<sup>(١)</sup> فى  
قوله :

من يحوك القريض مثلك يسدي ه على خبيرة به وينير

(١) الخريدة « ٢ : ١٧٦ » .

فقالوا في شرحه : « ينير : يخيظ » وهكذا أصبح الخطأ مزمناً فانتدبت  
لاصلاح ما أفسد ..

٢٢ - وقالوا في الصفحة بعينها : « يسدى هنا من السدى وهو ما  
مد من الثوب » والصحيح أن السدى هو خلاف اللحمة وهو ما مد من  
خيوط الثوب قبل حوكه ، فخيوطه الطولية سداه وخيوطه العرضية لحمته ،  
فالمد المطلق في الثوب لا محل له هنا .

٢٣ - وجاء في الصفحة ٤٣ قول القاضي الفاضل أيضا :

أيكون زبدة ما أؤمله عدم التمخض فيه عن زبد  
فقالوا في الحاشية : « التمخض : استخراج الزبد من اللبن » • وليس  
ذلك بشرح وجيه ، قال في لسان العرب : « مخضت [ المرأة ] ومخضت  
وتمخضت وامتخضت » • أي ضربها المخاض ثم قال : « ومخض اللبن  
يمخضه ويمخضه ويمخضه مخضا ، ثلاث لغات ... أخذ زبده وقد  
تمخض ... والممخضة : الأبريج وأنشد ابن بري :

لقد تمخض في قلبي مودتها  
كما تمخض في أبريجه اللبن  
... والسحاب يمخض بمائه ويتمخض ، والدهر يتمخض بالفتنة ...  
وتمخض اللبن وامتخض أي تحرك في الممخضة » •

ومما نقلنا يعلم أن « تمخض » بمعنى تحرك في البطن أو تحرك في  
الوعاء والسقاء أو الأبريج ، وهو لازم لا يصح أن يفسر بالمتعدى الذي هو  
الاستخراج ، ثم ان عدم التمخض هو مسند الى مأمول الشاعر ، فينبغي أن  
يقال : « ان التمخض هو تحرك اللبن وما يقوم مقامه مجازا ، ليخرج زبده  
أو المرجو والمأمول منه » وقد يكون للشر •

٢٤ - وجاء في الصفحة ٤٤ « ومخرج السقام » والصواب « مخرج »

بالحاء المهملة فان السقام يخرج السقيم ولا يخرج به • والاحراج الصق  
بالمريض من الاخراج ما دام مريضا ، فلا محل للاخراج ها هنا •



٢٥ - وجاء في الصفحة ٤٦ قول العماد « ومرى ضرع الضراعة »  
بكسر الضاد من « ضرع » والصواب فتحها وهو مدر اللبن للشاة والبقرة  
ونحوهما ، والضرع بكسر الضاد له معنى آخر هو المثل وقوة الحبل ، تقول  
« ضارعه يضارعه فهو ضرعه ، مثل مائله يماثله فهو مثله ، وشابهه يشابهه  
فهو شبهه » •

٢٦ - وجاء في الصفحة المذكورة قول العماد أيضا : « مارن ما رن  
المعادي العادي بنغم الرغم » • فقالوا في الشرح : « المارن : الرمح الصلب »  
ولا محل للرمح الصلب مع الرغم والרגام الخاصين بالانف كما هو معلوم ،  
فالمراد اذن « مارن الانف » وهو طرف الانف أو ما لان من طرفه وهو  
الاصح لدلالته على المرونة ، والمعنى ما دام القسم الرقيق من طرف الانف  
من المعادي المعتدى راغما له رنين من اصابة الرغام اياه أى التراب •

٢٧ - وجاء في الصفحة قوله : « وفاء الى تأمل ضمنه فألفى بتأمل  
آلاء منه وفاء ضمينه » • • بتوين « تأمل » وجعل « ضمن » فعلا ماضيا ، ولا  
وجه له البتة ، لان التأمل وهو تدقيق النظر فى الشيء لا يضمن ولا يفاء اليه ،  
فالصواب أن « ضمنه » مضاف ومضاف اليه و « التأمل » مضاف الى الضمن ،  
اضافة المصدر الى مفعوله ، والضمن على وزن الفعل هو ثنى الكتاب وطيه  
فاذا تأمل ثنيه عرف ما كتب فيه ، فبعثه تأمیل الاحسان منه على أن وجد  
ما فيه من الوعد موفى به كالمضمون • قال فى المختار : « وأنفذته ضمن  
كتابى أى فى طيه » ، وقال : وفهمت ما تضمنه كتابك أى ما اشتمل عليه  
وكان فى ضمنه » •

٢٨ - وورد فى الصفحة ٤٧ قول العماد : « وما أثر مدرة الفلاة فى  
مدار الفلك الاثير » • هكذا بالتركيب الوصفى ، وهو خطأ والصواب « فلك  
الاثير » بالاضافة ، أو « الفلك الاثيرى » نسبة الى الاثير المعروف ، قال ابن  
أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ١ : ٢٨ : « وعندهم أن الشهب المنقضة هى  
آثار تظهر فى الفلك الاثيرى النارى الذى تحت فلك القمر » •

٢٩ - وورد في الصفحة ٤٧ أيضا « قياس آياد يضيق عن خصر خصرها نطاق نطق قس اياد » ، هكذا باعجام الخاء من « خصرها » والصواب « خصرها » أى خصر احصائها ، ولاوجه لبقاء خصر خصرها ، فليس للخصر خصر ، كما هو معلوم .

٣٠ - وورد في الصفحة المذكورة « ونوافل عمل أغمضها لباب قروضه » بالقف في « قروض » ولاوجه له ، والصواب « فروضه » بالفاء فالقروض تقابل النوافل ، كما هو بديهي ، والقروض لا تقابلها .

٣١ - وورد في الصفحة ٤٩ « وكان خاملا في حاشيته ، حاملا لغاشيته » فقالوا في الشرح « الغاشية الغطاء » . وهذا الشرح لا يناسب هذا المقام ، والغاشية على ما ورد في صبح الاعشى - ٤ : ٧ - « سرج من أديم مخروز بالذهب يخاله الناظر مصنوعا جميعه من الذهب ، يحمل بين يدي السلطان عند الركوب في المواكب الحافلة كالاعباد » .

والحوادث التاريخية تدل على أن حمل الغاشية على اختلاف مادتها واختلاف الذين تحمل بين أيديهم يدل على الاحترام ، ويرمز الى قبول الاستخدام ، وأنها ليست بغطاء ولا لحاف ولا ثوب ولا وخاف .

٣٢ - وجاء في الصفحة (٥٠) قول العماد : « تلك عشرة كاملة في المشايعة . . . كعشيرة الصحابة في المبايعة . . . فهل كانت عدة أئمتها بعشر لاكمالها أو حسنة جزاؤها بعشرة أمثالها ؟ »

وقد سكنوا الشين من « عشرة » وهى غير مركبة ، وجعلوا عشرة الصحابة المبشرين بالجنة « عشيرة الصحابة » . والعدة بكسر العين ضموا عينها قال في مختار الصحاح « عشرة رجال بفتح الشين وعشر نسوة بسكونها ، ومن العرب من يسكن العين لطول الاسم وكثرة حركاته فيقول أحد عشر ، وكذا الى تسعة عشر الا اثنى عشر فان العين منه لا تسكن لسكون الالف والياء قبلها ، وتقول : احدى عشرة امرأة وان شئت سكنت الى تسع عشرة ،

والكسر لاهل نجد والتسكين لاهل الحجاز ، وللمذكر أحد عشر بفتح  
الشين لا غير » وفي المصباح أن تسكين الشين لغة •

والصواب في « العدة » كسر العين ، لأنها بمعنى العدد المعين المحدد  
لامر من الامور أو لشيء من الاشياء ، كأن يقال : « عثرت القوم أعشرهم  
تعشيرا : اذا كانوا تسعة فزدت واحدا وتمت به العدة » بكسر العين ، ومنه  
عدة المرأة وهي المدة الواجبة عليها في التربص •

٣٣ - وقال العماد في الصفحة (٥٠) : « وهل ابن خيران الا خيران  
في ميدان هذا البيان » ، فقالوا في الحاشية تعليقا على ابن خيران : « من أكبر  
كتاب الدواوين في مصر أثناء القرن الخامس ، توفي سنة ٤٣٢ هـ • ولم  
يحولوا بذلك على كتاب ولا ذكروا اسمه والصواب سنة ٤٣١ ذكره ياقوت  
الحموي في معجم الادباء » ١ : ٢٤٢ « وقال : « أحمد بن علي بن خيران  
الكتاب المصري أبو محمد الملقب بولي الدولة صاحب ديوان الانشاء بمصر بعد  
أبيه • وكان أبوه أيضا فاضلا بليغا [ وكان هو ] أعظم قدرا من أبيه وأكثر  
علما ، وكان أبو محمد هذا يتقلد ديوان الانشاء للظاهر ثم للمستنصر وكان  
رزقه في كل سنة ثلاثة آلاف دينار ، وله عن كل ما يكتبه من السجلات  
والعهودات وكتب التقليدات رسوم يستوفيها من كل شيء يحسنه <sup>(١)</sup> • وكان  
شابا حسن الوجه جميل المروءة واسع النعمة ، طويل اللسان ، جيد  
العارضة <sup>(٢)</sup> ••• ثم ورد الخبر بأزمات في شهر رمضان سنة ٤٣١ في أيام  
المستنصر ••• »

وقال ابن خلكان في ترجمة أبي الحسن علي بن أحمد بن نوبخت  
الشاعر : « وكنفه ولي الدولة أبو محمد أحمد بن علي المعروف بابن خيران  
الكتاب الشاعر وهذا ابن خيران كان يتولى كتب السجلات عن الظاهر بن  
الحاكم صاحب مصر وله ديوان شعر أيضا صغير الحجم ••• وانما ذكرت

(١) في معجم الادباء مرجع هذا القول « يحسبه » وهو تصحيف •

(٢) ها هنا قص قصة شعره ونثره وارساله بشيء منهما الى بغداد

ليوضع في دار العلم السابورية •

ابن خيران فى هذه الترجمة ولم أفرد به ترجمة لاني لم أقف على تاريخ وفاته  
وقد التزمت فى هذا الكتاب ذكر أرباب الوفيات ثم انى وجدت فى كتاب  
طبقات الشعراء تأليف الوزير أبى سعيد محمد بن الحسين بن عبدالرحيم  
الملقب عميد الدولة ترجمة ولى الدولة ابن خيران المذكور وذكر له  
شعرا<sup>(١)</sup> • • • • •

٣٤ - وورد فى الصفحة ٥٣ قول العماد :

رم رمّ أمرى وحل حالى ما كرم فى الورى كرمى

أراد : حاول اصلاح أمرى وجعل حالى فليس فى الدنيا فعل كريم  
كرم حالى أى اصلاحه ، وهو جناس كاتب مستهتر بالجناس • فقالوا فى  
الشرح : « رم أصلح والرم البالى والفاسد » • وقد علقوا ذلك على أول  
البيت وهو « رمّ » مع أنه فعل أمر من « رمت تروم » أى حاولت تحاول ،  
ثم ان البالى والفاسد لا محل له ها هنا ، وانما المراد مصدر « رمه يرمه » أى  
أصلحه يصلحه اصلاحا ، وأما البالى والفاسد فقد استنبطوا من قول  
الفيروزأبادي : « والرم بالكسر ما يحمله الماء أو ما على وجه الارض من فتات  
الحشيش » • وما أبعد عن المراد ؟ مع سوء التصرف باللغة ، فانهم يشرحون  
كما يريدون ويفسرون كما يحبون ، من غير استناد الى نص لغوى واضح ،  
ولو كان لهم نص لذكروه •

٣٥ - وورد فى الصفحة ٥٥ قول ابن كاديريه :

وسمت محاسنك الزمان فلم تدع وقتا من الاوقات الا موسما

بنصب « محاسنك » ورفع « الزمان » والصواب العكس لان المحاسن  
تسمه فيكون موسوما بها ، بأن يقال « ذلك زمان محاسنه » • ثم ان وجود التاء  
فى « وسمت » يدل بالبداهة على أن الفاعل هو « محاسنك » •

---

(١) الوفيات « ١ : ٣٩٣ ، ٣٩٤ طبعة بلاد العجم » •

٣٦ - ووردت في الصفحة ٥٦ ترجمة علم الرؤساء أبي القاسم

عبدالرحمن بن هبة الله بن حسن بن رفاعه كاتب الامير ناصر الدولة الحمداني الاصغر وهو غير ناصر الدولة بن حمدان الاكبر من رجال القرن الرابع وهذا من رجال القرن الخامس ، وقد أحالوا في التعريف بترجمة علم الرؤساء على كتاب المغرب لابن سعيد وحده ، مع أنه مترجم أيضا في تلخيص معجم الالقاب لابن الفوطى ، قال ابن الفوطى : « علم الرؤساء أبو القاسم عبدالرحمن بن هبة الله بن حسن بن رفاعه المصرى الكاتب كان يعرف بكاتب الامير ناصر الدولة ، تقدم ذكره في كتاب السين<sup>(١)</sup> ، وديوان رسائل علم الرؤساء عشر مجلدات ، وذكره العماد الكاتب في كتابه وأنشد له في وصف القطائف المقلوة :

وافى الصيام فوافتنا قطائفه      كما تسنمت الكتبان من كتب  
ما بين محشوة بيض الى آخر      حمر من القلى تشفى جنة السغب  
وله في شمعة مذهب :  
كأنها من بنات الهند مثقلة      من الحلى لكى تهدى الى النار<sup>(٢)</sup>

وهذا النص وان كان منقولاً من الخريدة بعينها ففيه فائدة الاقدار على المقابلة والمعارضة ابتغاء التصحيح او التأكيد .

٣٧ - وجاء في الصفحة ٥٧ قول علم الرؤساء ابن رفاعه : « مع تحققه أن لمده جادة جد تعجز حلبة الشعراء عن سلوكها » ، فغفروا « حلبة » وجعلوها « جلة » وقالوا في الحاشية : « فى الاصل حلبة » . ولم يستندوا الى مرجع ولا الى سند لغوى قوى ، والاصل هو الصواب الموافق للمقام ، فان الجادة تناسب الحلبة لا الجلة ، فهي مستعارة من حلبة السباق ، قال فى مختار الصحاح : « والحلبة كالضربة خيل تجمع للسباق من كل أوب أى من كل ناحية لا من اصطبل واحد » وجاء فى المصباح المنير « والحلبة

(١) يعنى فى لقب « السيد » وكان من القابه .

(٢) تلخيص معجم الالقاب « ج ٤ ص ٨ من نسختى الاولى بخطى »

وزان سجدة : خيل تجمع للسباق من كل أوب ولا تخرج من وجه واحد ،  
يقال جاءت الفرس فى آخر الحلبة أى فى آخر الخيل وهى بمعنى حلبة  
ولهذا جمعت على حلائب « (١) » .

٣٨ - وجاء قول ابن رفاعه فى الصفحة ٥٨ :

غانية عن حلي غانية بحسن عاط من جيدها عاطل  
فقالوا : « العاطى : قريب التناول » ولكن كيف يوجهون معنى البيت ،  
وكيف يكون القريب التناول عاطلا ؟ ذلك لان « عاطل » وأعربه على  
الحكاية ، هو صفة لعاط ، والصفة لا تكون نعتاً للصفة ، والصحيح أن العاطى  
هاهنا هو الجيد ، والتعير من نوع التجريد كما تقول « بحسن لفظ من  
لفظه بارع » ، والسبب فى استعمال « عاط » هو المجانسة الناقصة مع  
« عاطل » .

٣٩ - وورد فى الصفحة ٥٩ قوله :

أنصاره عصبة اتابع فى الجبهـ لـ وأحزاب طالبي الباطل  
هكذا بالباء الموحدة فى « التتابع » والصواب « التابع » بالياء المثناة ، قال  
الجوهري فى تبع ، « والتتابع : التهاوت فى الشر واللجاج ولا يكون التابع  
الا فى الشر ، والسكران يتابع أى يرمى بنفسه » .

٤٠ - ووردت فى الصفحة ٦٤ ترجمة ابن سناء الملك أبى القاسم هبة  
الله بن جعفر ، وقد ذكروا فى الحاشية مظان ترجمته وقد فاتهم منها كتاب  
« التكملة لوفيات النقلة » تأليف زكى الدين عبدالعظيم المنذرى المصرى ،  
قال فى وفيات سنة ٦٠٨ :

« وفى العشر الاول من رمضان توفى القاضى الاجل الرشيد »

(١) جاء فى لسان العرب « والحلبة الدفعة من الخيل فى الرهان خاصة  
والجمع حلائب على غير قياس ، قال الازهرى : ولا يقال للواحد منها حلبة  
ولا حلاية ، قال العجاج : وسابق الحلائب اللهم . يريد جماعة الحلبة »  
وأنشد أبو عبيدة :

نحن سبقنا الحلبات الاربعـ الفحل والقرح فى شوط معا

أبو القاسم هبة الله ابن القاضي الاجل الرشيد أبي الفضل جعفر ابن  
القاضي الاجل سناء الملك أبي عبدالله محمد بالقاهرة • قرأ  
القرآن الكريم على الشريف الخطيب أبي الفتوح ناصر بن الحسن  
الزيدى وقرأ النحو على العلامة أبي محمد عبدالله بن برى النحوى  
وسمع بالاسكندرية من الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد الاصبهاني وله  
مصنفات فى الادب مشهورة وشعر فائق ، وكتب فى ديوان الانشاء مدة وهو  
أحد الفضلاء المذكورين والشعراء المشهورين رأيت غير مرة ولم يتفق لي  
السماع منه وسمعت شيئاً من شعره من أصحابه ومولده سنة ٥٤٥ •

وفاتهم منها تاريخ الاسلام للذهبي قال فى وفيات سنة ٦٠٨ : « هبة الله  
بن جعفر بن سناء الملك أبي عبدالله محمد بن هبة الله القاضي السعيد بن  
سناء الملك ( كذا ) أبو القاسم المصرى الشاعر المشهور » (٢) •

وفاتهم من تأليفه كتاب فصوص الفصول وعقود العقول ، منه نسخة  
بدار الكتب الوطنية بباريس أرقامها « ٣٣٣٨ » من العربيات ، وهو فى ست  
وتسعين ورقة ، وقد ألف شافع بن على الكنانى كتاباً سماه « تجربة الخاطر  
المخاطر فى مماثلة فصوص الفصول وعقود العقول » (٣) •

٤١ - وجاء فى الصفحة ٦٧ قول ابن سناء الملك :

فللناس حزن من فراقك واحد وأحزاننا قد أوهنت نفر الجمع

ولا معنى ها هنا « لنفر الجمع » ولا للايهان مع نفر ، « والصواب  
« فقر » جمع الفقرة وهى التى يتسلط عليها الوهن ، ومن الفقر يتكون العمود  
الفقرى الذى هو قوام الظهر وسناد الجسد وعماد الجسم ، وأما نفر فلا محل  
له ها هنا البتة •

(١) التكملة « نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ١٩٨٢ د ج ١

و ٤٠ •

(٢) تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢

الورقة ١٧٠ و ١٧١ •

(٣) نكت الهميان « ص ١٦٥ •

٤٢ - وجاء في الصفحة ٦٧ قول ابن سناء الملك :

فيا سيدى الله يعلم أننا خصوصا بضر مؤلم صائب الوقع  
فقالوا فى الحاشية : « خصوصا مفعول مطلق بمعنى تخص وربما كانت  
حرفة عن خصصنا به • قلت : لا يتوجه معنى البيت ولا تركيبه مع الحال ،  
والوجه الثانى الذى ذكره مقبول حسن الا أن « خصوصا » بعيد عن  
خصصنا من حيث الصورة ، بعض البعد ، غير أنه يهون اذا جعلناه بالحاء المهملة  
من « حصه كذا أى صار حصته له » فالضر المؤلم الصائب الوقع يجوز أن  
يكون قسم الانسان من الاقدار وحظه وأما أنه يكون مخصوصا به فلا وجه  
له ، وهذا يتضح بقول الشاعر :

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللاعداء مال

٤٣ - وجاء فى الصفحة (٧٠) قول ابن سناء الملك أيضا :

يدعوه حين يخيفه اقتاره فاذا دعا كان النوال مؤمنا  
هكذا بفتح الميم الثانية المشددة من « مؤمنا » والصواب كسرهما لان معناه  
« كان قائلا آمين » يقال « أمن يؤمن تأمينا » أى قال : آمين •

٤٤ - وجاء فى الصفحة (٧٠) أيضا قوله

يفديه من تلقاء قاصد رفته متلويا فى رفته متلونا  
ولا يتجه معنى البيت بهذا الضبط وهذا الاعراب ، فقد نصبوا « قاصد »  
وقالوا « تلقاء » والصواب :

يفديه من يلقاه قاصد رفته متلويا فى رفته متلونا  
أى يكون فداءً له الرجل الذى يراه قاصد رفته متلويا متلونا ، فالفعل  
« يلقاه » مسند الى « قاصد » وقاصد فاعله ولا وجه لنصبه كما فعلوا •

٤٥ - وجاء فى الصفحة ٧٣ قوله أيضا :

يطوف بها حلو المراشف أوطف دمت مقتلته كل قلب بقاصد



ولعل الاصل « رمت » فاستبدل المرتب بالراء دالا ، وأما اعتبار أنه فعل من الدم فلا يصح لان « دمي » الثلاثي من باب « عمى » وهو لازم ولم يأت متعديا ولو شذوذا ، فاذا أريدت تعديته قيل « دماه تدمية وأدماه ادماء » .

٤٦ - وورد في الصفحة ٧٥ قوله :

ولما بدا جيد لها ومعاصم رأيت جبال الصبر غير عواصم  
هكذا بالحاء المهملة والصواب « جبال الصبر » لان الاعتصام يكون  
بالجبال لا بالحبال ، ولا عاصم من أمر الله .

٤٧ - وجاء في الصفحة ٧٧ قوله :

فيا روضة الحسن انى شغل ت بروضه حسن لمن ينظر  
هكذا بتدوير جملة « شغلت » مع أن « شغلت » هذه الجملة كلها  
من حصة الشطر الاول ، وبقاء التاء في الشطر الثانى يسبب التقاء فتحات  
ثلاث وهو غير ممكن فى بحر المتقارب فضلا عن انكسار الوزن ظاهرا .  
٤٨ - وجاء فى الصفحة ٨٤ قوله فى موشح : « أو يفسح الدهر له فى  
شراء » . بضم الياء من « يفسح » ويجعله رباعيا والصواب « يفسح » الثلاثى ،  
قال الجوهري فى الصحاح : « وفسح له فى المجلس أى وسع له » . وفى  
لسان العرب « وفسح له فى المجلس يفسح فسحا وفسوحا وتفصح : وسع  
له ، وفى التنزيل : اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس فافسحوا يفسح  
الله لكم » .

٤٩ - وجاء فى الصفحة ٨٧ قوله :

لما سرت خيلى بهم عنهم أسميت قلبى بعقاق العتاق  
فقالوا فى الحاشية « عتاق العتاق : كرائم الخيل النجبية » والشرح  
اللفظى صحيح الا أن المعنى يكون به مضطربا تافها فما معنى « لما سريت  
خيلى بهم عنهم أسميت قلبى بكرائم الخيل النجبية ؟ لا شك أن المعنى فاسد ،  
والصواب « أسميت قلبى بعقيق العتاق » فيكون المعنى أن خيله لما سرت به

عنهم سمى قلبه عبد الخيل العتاق لانها أنقذته من عبوديتهم » •

٥٠ - وورد في الصفحة ٨٩ قوله :

فكأنهم لدموعهم شربوا وكأنهم بأنينهم نعروا  
والصواب « بدموعهم » بالباء وهو الاصل في استعمال « شرب » قال الشاعر:  
شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن ثيج  
وقال الآخر :

فلثمت فاهها آخذا بقرونها شرب الزيف ببرد ماء الحشرج  
وقال عنتره :

شربت بماء الدحرضين فأصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم  
وقال نبهان بن عكى العشمي :  
وأن أرد الماء الذي شربت به سليمي وقد مل السرى كل واخذ  
وقال عبدالله بن أبي كثير :  
في أن شربت بجم ما • كان لي حلاً غديره

٥١ - وقالوا في شرح بعض البيت المذكور : « يريد بالنعر صياح  
السكراري » • وقد حملهم على ذلك قوله في البيت السابق لهذا : « حتى  
ظننا أنهم سكروا » والصحيح أنه أراد أنهم أخرجوا أصواتهم من خياشيمهم  
كأنهم يغنون ، قال الجوهري في الصحاح : « والنعة صوت في الخيشوم قال  
الراجز :

اني ورب الكعبة المستوره والنعرات من أبي محذوره  
يعنى أذانه وقد نعر الرجل ينعر نعيرا وفي لسان العرب « النعة  
والنعة : الخيشوم ومنها ينعر الشاعر ، والنعة : صوت الخيشوم قال  
الراجز : اني ورب الكعبة المستورة ••• ونعر الرجل ينعر وينعر نعرا

ونعارا ، صاح وصوت بخيشومه وهو من الصوت ، قال الازهرى : أما قول  
الليث فى النعير : انه صوت فى الخيشوم ، وقوله : النعرة الخيشوم ، فما سمعته  
لاحد ، من الائمة وما أرى الليث حفظه ، والنعير : الصياح ، والنعير الصراخ  
فى حرب أو شر • ومنه يعلم أن النعير ليس بصياح السكارى أى ليس  
العريضة ، قال بشر بن أبى خازم كما فى جمهرة أشعار العرب :

انا اذا نعروا الحروب بنعرة تشفى صدورهم برأس مصدم

قال مؤلف الجمهرة : « النعار : شديد الصوت » هكذا ورد ولعل  
الاصل « شدة الصوت » على اعتبار أن النعار بوزن الصراخ ، وجاء فى أخبار  
المعتصم بالله وترتيبه البريد أيام ثورة بابك « وجعل لهم ديادبة على رؤوس  
الجال بالليل والنهار وأمرهم أن ينعروا اذا جاءهم الخبر فاذا سمع الذى يليه  
النعير تهيأ فلا يبلغ اليه صاحبه الذى نعر حتى يقف له على الطريق فيأخذ  
الخريطة منه<sup>(١)</sup> » • وقال دعبل الخزاعي فى ابراهيم بن المهدي ودعوته  
الناس الى خلافته :

نعر ابن شكلة بالعراق وأهله فهفا اليه كل أطلس مائق

ان كان ابراهيم مضطلعا بها فلتصلحن من بعده لمخارق

فهذا هو النعير والنعار •

٥٢ - وورد فى الصفحة ٩١ قوله :

لا أدعى أن النعى أصمى فيمن أصم وانما أصمانى

فقالوا فى الشرح : « أصمى :رمى فقتل » • وهذا شرح أبتى والشرح  
السليم « أصماء : رماه فقتله مكانه وهو يراه » • وجاء فى الصحاح :  
« أصميت الصيد اذا رمية فقتله وأنت تراه ، وفى الحديث : كل ما أصميت  
ودع ما أنميت<sup>(٢)</sup> » •

(١) تاريخ الطبرى « ١٠ : ٣٣٢ طبعة مصر الاولى »

(٢) وقال فى نعى : « ورمى الصيد فأنماه اذا غاب عنه ثم مات وفى

الحديث : كل ما أصميت ودع ما أنميت » •

٥٣ - وجاء في الصفحة ٩٤ قول ابن سناء الملك أيضا :

لئن ضرني البين المشت ومزني      فيا لك بينا ما أضر وما أضرى !!

وقالوا في الحاشية : « مز : من شرب المز وهو الحامض » فيكون البين قد مزه أى شربه حامضا ، فالبين هو المغلوب والشاعر هو الغالب ، وهو معنى غريب ، على شرط صحة الشرح اللغوى ، ولكن اللغة لا تساعد على ذلك ، ففي لسان العرب « ومزه يمزّه مزا : أى مصه والمزة : المرة الواحدة ، وفي الحديث لا تحرم المزة ولا المزتان يعنى فى الرضاع » فشرحهم اذن افشأت على لغة العرب ، والصواب :

لقد ضرني البين المشت وعزني      فيا لك بينا ما أضر وما أضرى !!  
يقال « عزني بشر : أى لطختني بشر » ولا يخفى الجناس بين ضرني وعزني وان كان ناقصا .

٥٤ - ووردت في الصفحة (١٠٠) ترجمة الاسعد أبى المكارم ابن الخطير المعروف بابن مماتى وأحالوا في الحاشية على مظان ترجمته وغفلوا عن الجامع المختصر لابن الساعى « ص ٣٠٠ » وتاريخ الاسلام للذهبي ، قال الذهبي فى وفات سنة ٦٠٦ : « أسعد بن المهذب بن زكرياء بن مماتى القاضى الرئيس أبو المكارم المصرى الكاتب الشاعر صاحب ديوان الشعر فمنه قوله :

تعابني وتتهى عن أمور      سبيل الناس أن ينهوك عنها  
أتقدر أن تكون كملء عيني      وحقك ما عليّ أضر منها  
توفى بحلب وقد هرب اليها خائفا من الوزير ابن شكر ، فى سلخ جمادى الآخرة وله اثنتان وستون سنة ، وقد سمع من أبى طاهر السلفى وغيره وله مجاميع مفيدة ونظم سيرة السلطان صلاح الدين ونظم كتاب كيلة ودمنة ، وقد أسلم وكان نصرانيا فى أول الدولة الصلاحية وولى ديوان الجيش وغير ذلك ومرض فطلب من جويرية يعقوبية أن تصلح له شيئا يوافق

[مزاچه من] أنواع المزورات ، فضجرت وقالت : لا تعد على مرضاتك في مرضاتك ( كذا ) ، وذكر أنه اختصر اللمع لابن جنى في رقعة<sup>(١)</sup> واحدة<sup>(٢)</sup> . . . . .

وفاتهم كتاب « التكملة لوفيات النقلة » لزكى الدين المنذرى ، قال في وفيات سنة ٦٠٦ . « وفي سلخ جمادى الاولى توفى القاضى الاجل أبو المكارم أسعد بن زكرياء بن أبى مليح مماتى الكاتب المنعوت بالاسعد بجلب<sup>(٣)</sup> . . . . . »

٥٥ - وجاء في الصفحة ١٠١ قوله : « وهو من شملته العناية الفاضلية » . والصواب « ممن » بحرف الجر « من » لان الذين شملتهم العناية الفاضلية أكثر من واحد مع أنه واحد ، فالتعبير بما يدل على التقليل أى بما يجعله أحدهم هو الصحيح ، ولا يصح الا بحرف الجر « من » وما يقوم مقامه .

٥٦ - وجاء في الصفحة ١٠٤ « مما كتبه الى السيد علم الرؤساء أبى القاسم وكان قد اقتضى منه ديوان رسائله فاعتذر اليه بالخوف من نقده » . والصواب « من فقده » ، ولا محل للنقد ها هنا ، فهو قد أراد أن يستعير منه ديوان رسائله فلم يعره اياه خوفا من أن يفقده فتذهب عليه رسائله .

٥٧ - وجاء في الصفحة ١٠٩ « ولبست المشارق السواد لما تم فى المغارب على الشمس من الغرق » . والظاهر لى أن الاصل « لما تم ماتم . . . » لانه أراد الجناس بين الماتم وماتم فأضاف الماتم الى « ماتم » أى الموصول والفعل ، فكأنه قال « لحزن ماتم » أى حزن تلك المصيبة .

٥٨ - وورد فى الصفحة ١١٢ « حتى استشرف لرؤيتها وتشرف

---

(١) يعنى القطعة من الرق وهو جلد رقيق مرقق يكتب فيه .  
(٢) تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١٥٢ » .  
(٣) التكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ١٩٨٢ ج ١ الورقة ١٨ » .

لروايتها « . ويجوز أن يكون الاصل « وتشوف » بالواو فهو أكثر استعمالاً من « تشرف » يقال « تشوف الى الشيء أى تطلع اليه » . وقد جاء في ثمرات الاوراق - ص ١٧٤ « وان أهل الثغور قد تشوفوا للخلاف » .

٥٩ - وجاء في الصفحة ١١٧ ترجمة الشريف أبى على محمد بن أسعد العلوى الجوانى ، وفاتهم من مظان ترجمته « المحمدون من الشعراء » وتاريخ الاسلام للذهبي وعمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب . قال القفطى : « محمد بن أحمد<sup>(١)</sup> بن أسعد بن علي بن معمر شرف الدين أبو على الجوانى النسابة المصرى المولد والمنشأ ، أصله من الموصل واستوطن أبوه أوجده مصر وحصل له بها تقدم . وولده هذا كان نقياً فى الايام المصرية فلما دخلت الغز البلاد ولوا النقابة رجلاً أعجيباً يعرف بأبى الدلالات ثم ولى هذا الشريف نقابة نقباء الاقارب من ولد اسماعيل أنسباء صاحب القصر ، وكان اكثر زمانه منقطعاً فى داره الى التصنيف فى علم الانساب ، أدركته ورأيت ، وكان يكثر الى أن يغلب على الظن كذبه - رحمه الله وغفر لنا - وكان له شعر ولوالده ، فمن شعره قوله لبعض الاشراف بدمشق :

أحن الى ذكراك يا ابن محسن وأرجو من الله اللقاء على قرب  
لما لك فى قلبى من الموضع الذى ترى فيه كل الحب جزءاً من الحب<sup>(٢)</sup>  
وللمفخر السامى الذى قد حويته وسارمسير الشمس فى الشرق والغرب  
فأصبحت تاجاً للفخار ومفرقا وقطب المعالى بل أجل من القطب  
فلا عدمت روحى الحياة فانها قرينة ما يأتى الي من الكتب

---

(١) سيأتى من تاريخ الذهبى أنه « محمد بن أسعد » وهو المشهور ولعل « محمد بن أحمد من سهو القلم » .  
(٢) فى الخريدة المذكورة « يرى فيه كل الجد مبرا من الخب » وهو وجه حسن أيضا .

وله أشعار كثيرة في المدح لاجلاء زمانه ، توفي بعد سنة خمس  
رئمانين وخمسمائة<sup>(٣)</sup> » •

وقال الذهبي في وفيات سنة ٥٨٨ : « محمد بن أسعد بن علي بن  
معمر بن عمر بن علي بن الحسين بن أحمد بن علي بن ابراهيم بن محمد بن  
الحسن بن محمد الجواني ابن عبيدالله بن حسين بن زين العابدين علي بن  
الحسين الشريف أبو علي ابن الشريف الاجل أبي البركات العلوي الحسيني  
العبيدي الجواني المصري ، ولد سنة خمس وعشرين وخمسمائة وقرأ على  
والده وعلى الفقيه عبدالرحمن بن الحسين بن الجباب وعبدالمعنى بن موهوب  
الواعظ ، ومحمد بن ابراهيم الكيزاني وحدث ٠٠٠ وولى نقابة الاشراف  
مدة بمصر ، وذكر أنه صنف طبقات الطالبين وكتاب تاج الانساب ومنهاج  
الصواب وغير ذلك ، وكان علامة النسب في عصره ، أخذ ذلك عن ثقة  
الدولة أبي الحسين يحيى بن محمد بن حيدرة الحسيني الارقطي ، ومحمد  
هذا منسوب الى الجوانية وهى من عمل المدينة من جهة الفرع • ذكر أن  
السلطان صلاح الدين وقع لابي علي بربعها وأنه وكل عليها من يستغلها •  
قلت : روى عنه يونس بن محمد الفارقي هذه القصيدة التى مدح بها القاضي  
أبا سعد بن عصرون وهى :

هتفت فمادت فى الفروع غصون      وبكت فجادت بالدموع عيون  
مرحت بها قضب الاراقة فاشتى      غصن يمس بها وما غصون  
مالى وما للهاتفات ترنما      يصبو لهن فؤادي المحزون  
وهى قصيدة طويلة<sup>(٢)</sup> » •

٦٠ - وقالوا فى التعليق على اسم الشريف المذكور : « ترجم له

---

(١) المحدثون من الشعراء » نسخة دار الكتب الوطنية ببائيس  
٣٣٣٥ الورقة ١٥١ » •  
(٢) تاريخ الاسلام » نسخة دار الكتب الوطنية ببائيس ١٥٨٢  
الورقة ٣٨ » •

الصفدى فقال : ولي نقابة الاشراف مدة بسصر ٠٠٠ والجوانى بالجيم والواو  
المشدودة ويعرف بالمازندرانى ، انظر فوات الوفيات ، طبع استانبول ٢٠٢/٢  
وانظر ترجمته فى لسان الميزان ٧٤/٥ •

قلت : الصواب « الوافى بالوفيات » لا فوات الوفيات ، فالوافى هو الذى  
أنفه الصفدى وهو الذى طبع باستانبول وهو الذى وردت فيه ترجمة الجوانى  
المذكور ، وقول الصفدى « ويعرف بالمازندرانى » الذى نقلوه من الوافى  
خطأ مبين • لانه لم يكن مازندرانيا ولا مازندرانى الاصل بدلالة ما ذكره  
الذهبي فى ترجمته والذهبي هو معتمد الصفدى فى التراجم كما صرح به  
فى مقدمة الوافى ، وزاد الصفدى الامر غلطا بقوله « لقبه رشيدالدين » •  
والصحيح أن « رشيدالدين المازندانى » هو محمد بن علي بن شهر آشوب  
المازندرانى المتوفى فى السنة المذكورة أى سنة ٥٨٨<sup>(١)</sup> فخلط الصفدى  
بينهما ، ونقل الجماعة غلظه ولم يصححوا ما ورد من الغلط فى ترجمته فى  
لسان الميزان فقد صار فيها الجوانى « الجوالى والحرانى » والجميزى  
« الحميرى » وخمس وعشرون وخمسمائة « خمس وسبعون وخمسمائة »  
ولسبط السلفى السكمال الضرير « السبط السلفى لكمال الضرير » وابن  
مسدى « ابن سدى » والجباب « الحارث » وثقة الدولة « بغية الدولة » والجوانية  
« الجوالبة » والكيزانى « الكبرانى » فهذه تسع غلطات •

٦١ - وقال العماد فى ترجمة الجوانى المذكور : « قرأت أيضا بخطه  
من كتاب كتبه الى الامير عزالدين حارن لما قصده بالشام ٠٠٠ » ، وعلقوا  
على « حارن » ما هذه صورته « هكذا بالاصل ولعلها الحارمى نسبة الى حارم  
احدى بلاد الشام أو لعلها خازن » •

قلت : ان الحارمى هو شهابالدين لا عزالدين ، وهو الذى حفظناه  
وقرأناه ، ذكر ابن تغرى بردى فى حوادث سنة ٥٥٦ شهابالدين هذا بقوله :

---

(١) قال الذهبي فى وفيات سنة ٥٨٨ « محمد بن علي بن شهر آشوب  
بن أبى نصر أبو جعفر السروى المازندرانى رشيدالدين الشيعى »  
« المرجع المذكور ، الورقة ٣٨ » •



« وشهاب الدين محمود صاحب حارم وهو خال صلاح الدين<sup>(١)</sup> » • والصواب فيه أنه « عز الدين جاولي » قال ابن الفوطي في لقب عز الدين من كتابه : « عز الدين أبو حرب جاولي بن عبدالله التركي الأمير • كان أميراً عاقلاً محباً للخير ، ديناً ، وله رغبة في سماع الأحاديث النبوية ، حسن الاستماع لها والبحث عن معانيها والانعاش على المشايخ والمحدثين<sup>(٢)</sup> » • • • • •

وذكره أبو شامة في وفيات سنة ٥٨١ ونقلنا من تاريخ عماد الدين الأصفهاني قال العماد : « وفيها توفي الأمير عز الدين جاولي وهو من أكابر الأمراء وله مواقف حميدة في الهياج يحس بلاؤه ويصدق غناؤه • ولما عدنا بعد فتح ميافارقين إلى الموصل طرقه البلاء في طريقه : قفز بحصانه على بعض السواقي فعر به وانكسرت رجله ثم عملت عليه قدمه واشتد ألمه وطال به سقمه وانتقل إلى دمشق وتوفي بها في آخر هذه السنة أو في سنة اثنتين وثمانين [ وخمسائة ] ولقد فجع الإسلام منه بدمر مشيخ ، لدمار الكفر متيح<sup>(٣)</sup> » •

٦٢ - وجاء في تعليقهم على ترجمة الشريف أسعد بن علي الحسيني الجواني قولهم : « انظر انباء الرواة بأبناء النحاة » والصحيح في تسميته هو « انباء الرواة على أنباء النحاة » فالانباء مصدر « أنبه » أي نبهه تنبيهها والانباء والتنبيه يستصحبان « على » لا الباء ، فهم قد خلطوا بين « الانباء » بالهاء و « الانباء » بالهمزة مصدر « أنبأ » وأما « الانباء » فهو جمع « نبه » كأشراف جميع شريف وأيتام جمع يتيم وأحفاد جمع حفيد ، وأنساب جمع نسب وانجاب جمع نجيب وأمجاد جمع مجيد وغير ذلك • ولم يذكروا ان للشريف المذكور ، ذكرًا في عمدة الطالب « ص ٢٨٥ » •

(١) النجوم الزاهرة « ٥ : ٣٥٤ ، ٣٥٥ » •

(٢) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٣ أ من نسختي بخطي » •

(٣) كتاب الروضتين « ٢ : ٦٧ من الطبعة الأولى » •

٦٣ - وجاء في الصفحة ١٢٤ قول الشريف أبي جعفر محمد العلوى  
الافطسى :

أما وهواك لو خبرت غنى لما ألقاه عز عليك ما بى  
ولا تسأل سواك فليس يخفى عذابى عن ثنايك العذاب  
باسناد الخطاب الى مذكر و « لما ألقاه » بدلا من « بما ألقاه » الذى  
هو الصواب لتعلقه « بخبرت غنى » فيكون « لو خبرت غنى بما ألقاه » • وبعد  
الاسناد الى المذكر جاء :

ولولا أن تقولى خان عهدى قرعت على سلوى كل باب  
وقد استنوق الجمل بعدما استتيست الشاة ، فالصواب اذن فى البيت  
الاول « أما وهواك ••• » بكسر الكاف ، وفى البيت الثانى « ولا تسلى  
سواك » من « سلت تسالين » المخفف الهمزة والامر منه « سلى » •

٦٤ - وجاء فى الصفحة ١٢٥ « ومبسم كأفاح الروض بان به » •  
والصواب « كأفاحي » بالياء لانه جمع أقحوان كالافاعى جمع الافعوان ،  
فالجمع اسم منقوص مضاف ثبت فيه الياء فى جميع أنواع الاعراب •  
٦٥ - وورد فى الصفحة المذكورة قوله :

أولا وعيش مضت منا بشاشته لمحاً وسالف عيش غير مؤتشب  
فقالوا فى الحاشية : « مؤتشب : مجتمع » والمجتمع يؤدى الى الاطمئنان  
والرخاء ، فهو ضد مراد الشاعر فقد أراد مدح عيشه الماضى بكونه « غير  
مؤتشب » فالصواب « المؤتشب المختلط » والاختلاط فى العيش يؤدى الى  
عدم الطمأنينة والاتساق ، فهو أشبه بالاضطراب •

٦٦ - وجاء فى الصفحة ١٣١ :

إذا انبجست كفاه والمزن ممسك فما ضرنا الا بصوب قطاره  
وضبطوه بجر « صوب » وتنوينه ، وكسر همزة « الا » ، وليس له

معنى مقبول ولا معقول ، ألا ترى أن المزن اذا كان ممسكاً فصاب فطارده لا يضر أحداً بل ينفع الأرض والناس ، فالصواب « فما ضرنا أن لا يصوب قطاره » يعنى أن كفى الممدوح اذا انهلتنا باحسنه فلن يضر المادح وجماعته المسترفدين انجاس المطر ، لانه أغناهم عنه .

٦٧ - وورد فى الصفحة قوله :

فيا منة ( قد ) شكرت الرقاد لو اني انتبهت وقلبي معى  
هكذا بزيادة « قد » فى الشطر الاول ، قالوا فى الحاشية انها « ساقطة من الاصل » فكيف علموا أنها كانت فى الاصل وسقطت منه ؟ انه اعتداد بالنفس غير قليل ، والصحيح أن الاصل هو الصحيح ، لانه « فيا منة شكرت للرقاد » بجر الرقاد بلام الالصاق ، أى ان المنّة التى شكرها للرقاد عظيمة .

٦٨ - وجاء فى الصفحة ١٣٧ قوله :

علق الارزاق من أسمره معلق الرمح بأطراف الذبال  
فوضعوا « النصال » مكان « الذبال » وشددوا اللام من « علق » ونصبوا الارزاق على المفعولية ، والفرق عظيم بين الذبال والنصال ، فى المعنى والشكل الخطي فلا يمكن أن تكون تصحيفاً ، ثم ان الرمح يحتوى على النصل أى السنان وعلى الزج ، فلا يصح أن يقال « علق هو الارزاق من رمحه تعليق الرمح بأطراف أجزاء الرماح ، والظاهر أن الاصل :

علق الارزاق من أسمره معلق الريح بأطراف الذبال  
بتخفيف اللام وجعل « الارزاق » فاعلاً له ، فالريح تعلق بأطراف الذبال ، لانها تولع بها فكأنها عالقة بها .

٦٩ - وجاء فى الصفحة ١٣٨ قوله :

الارقم الصل الا أنه بطل والاغلب الورد الا أنه رجل  
فقالوا فى الحاشية : « الورد : الشجاع الجرى » ، فيكون المعنى « هو

الشجاع الجريء الا أنه رجل « فما هو اذن وماذا كان ؟ انه رجل فما معنى الاستثناء البياني هنا ؟! الصحيح أن الورد هو الاسد والاغلب الورد من بابه تقديم الصفة على الموصوف والاصل « الورد الاغلب » والاغلب الغليظ العنق ، وبهذا يظهر معنى الشطر •

٧٠ - وجاء في الصفحة ١٣٩ قوله :

تشابهوا واحداً ونجلاً ما أشبه الكتب بالسهول !!  
ولا محل للواحد ها هنا ، فالصواب « والدأ ونجلاً » أو « ناجلاً ونجلاً » أي والدأ ومولوداً •

٧١ - وجاء في الصفحة المذكورة قوله :

فداؤك كل مغرور الاماني يرجي منتج الامل العقيم  
بضم الميم وفتح التاء من « منتج » وهو مصدر ميمي من « أنتج »  
وليس بفصيح ، فالثلاثي الاصل مفضل على الرباعي اذا كانا بمعنى واحد  
وكان الرباعي غير منصوص على أفضليته (١) •

٧٢ - وجاء فيها قوله :

وقفت بها فيا سرعا لدمع أرقت على ثرى تلك الرسوم  
فأبدلوا « فيا ثري » من قول الشاعر « فيا سرعا » وقالوا : في الاصل  
« فيا سرعا » ، والبون بعيد بين « فيا ثري » و « فيا سرعا » ، بله أن  
قوله « فيا ثري لدمع » يعني عن أن يقال بعده « أرقت على ثرى تلك  
الرسوم » لان نثره الدموع لا يكون الا باراقتها ، فيكون الشطر الثاني  
تحصيل حاصل ، فالاصل هو الصواب لانه يفيد التعجب من سرعة الدموع  
في حال اراقتها ، والغريب في الامر أنهم تحكموا في تعابير الشاعر •

٧٣ - وورد في الصفحة ١٤٨ مثل مشهور في أثناء المنشور وهو

---

(١) الرباعي المنصوص على أفضلية مثل « أوحى وأغفى »

« ففى كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعفار » ببناء « استمجد »  
للمجهول ، والصحيح فى المثل بناؤه للمعلوم لانه مسند الى نوعى الشجر  
المحمودين المذكورين أى المرخ والعفار فهما اللذان استمجدنا من النار أى  
استكثرا منها واستفضلا ، قال أبو العباس المبرد فى شرح قول الاعشى :

وزندك خير زناد الملو ك صادف منهن مرخ عفار  
ولو بت تقدح فى ظلمة صفاة بنبع لاوريت نارا

« المرخ والعفار شجر تسرع فيه النار ومن أمثالهم : فى كل شجر  
نار واستمجد المرخ والعفار • واستمجد : استكثر ، يقال أمجدته سباً  
وأمجدته ذماً اذا أكثر من ذلك <sup>(١)</sup> » •

وقال أبو هلال العسكري : « قولهم : فى كل شجر نار واستمجد  
المرخ والعفار • يضرب مثلاً فى تفضيل الرجال بعضهم على بعض أى لكل  
واحد من هؤلاء فضل الا أن فلاناً أفضل يقال : أمجدت الدابة علفاً اذا  
أكثر منه ، والمرخ والعفار شجرتان تكثر نارهما ، يقول : انهما أخذا <sup>(٢)</sup>  
النار فأكثرنا وقال العمري : يضرب مثلاً لمن شكر الاشياء فاذا رأى ما يعرف  
أقر به ( كذا ) » •

وقال الشريف المرتضى فى شرح قول ذى الرمة :

من الرضعات البيض غير لونها بنات فراض المرخ واليابس الجزل  
« وعنى بنات فراض المرخ شرر النار الخارجة من ذلك الفرض ، والمرخ  
شجر تتخذ منه الزندة ، ومن أمثالهم : فى كل شجر نار واستمجد المرخ  
والعفار • وهذا المثل يضرب للرجل الكريم الذى يفضل على القوم ويزيد  
عليهم فكأن المعنى : كل القوم كرام واکرمهم فلان <sup>(٣)</sup> » •

(١) الكامل « ١ : ١٤٦ طبعة الدجمونى الازهرى » •

(٢) كذا ورد فى جمهرة الامثال « ص ١٥٢ طبعة بمبى » ولعل

الاصل « من النار » •

(٣) أمالى الشريف المرتضى « ٣ : ١١٧ من الطبعة الاولى » •

وقال الميداني : « فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار ، يقال  
مجدت الابل تمجد مجوداً اذا نالت من الخلى قريباً من الشبع ، واستمجد  
المرخ والعفار أى استكثرا وأخذاً من النار ما هو حسبهما ، شبا بمن يكثر  
العطاء طلباً للمجد لانهما يسرعان الوري ، يضرب فى تفضيل بعض الشيء  
على بعض ، قال أبو زياد : ليس فى الشجر كله أورى زناداً من المرخ  
وربما كان المرخ مجتمعاً ملتفاً وهبت الريح فحك بعضه بعضاً فأورى فاحترق  
الوادي كله ولم نر ذلك فى سائر الشجر . . . . . والزند الاعلى يكون من  
العفار والاسفل من المرخ قال الكميت :

اذا المرخ لم يور تحت العفار      وذن بقدر فلم تعقب<sup>(١)</sup> . .

وفى لسان العرب : « وفى المثل : فى كل شجر نار واستمجد المرخ  
والعفار ، استمجد : استفضل أى استكثرا من النار كأنهما أخذاً من النار  
ما هو حسبهما فصلحاً للاقتداح بهما ويقال لانهما يسرعان الوري فشبا بمن  
يكثر العطاء طلباً للمجد ، ويقال : أمجدنا فلاناً قرى اذا آتى ما كفى  
وفضل . . »

وفى كل ما ذكرنا من الاقوال تأكد أن المستمجد هو المرخ والعفار  
أنفسهما فينبغى أن يبنى فعلهما للمعلوم .

٧٤ - وورد فى الصفحة ١٠٣ قول ابن قلاقس :

وعنده للضيوف نار قرى      تعرفها البزل كلما يودى

بجعلهم « يودى » مضارعاً لاودى ، فاذا أسند الفعل الى الممدوح كان معنى  
الشرط الاخير أن البزل تعرفه كلما أصابه الهلاك ، وهو معنى باطل أصلاً ،  
وقد قالوا فى الحاشية : « يريد كلما ذبح البزل للضيوفان » وهو من ضرب  
تحميلهم العلم العربية غير معانيها ، لان « أودى » بغير حرف جر معناه  
« هلك » فهو لازم فكيف يكون متعدياً بمعنى « ذبح » ، ويقال : « أودى به

---

(١) مجمع الامثال « ٢ : ٧٤ الطبعة الجديدة »

الموت : ذهب به وأودى بالشيء : ذهب به « • ولا محل لهما ها هنا ،  
لان المدوح لم يذهب بالبزل ، والصواب « كلما نودي » ومنه النداء كأن  
يقال « حي على الطعام » فيأتيه الضيوف والمحاويج ، فالبزل تعرف ذلك  
- على رأي الشاعر - كلما نودي للقرى واطعام الطعام ، كما قال الشاعر  
القديم :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الادب فينا ينتقر  
وانما تكون الدعوة جفلى بالنداء والصياح لانها عامة ، ولم تكن دعوتهم الى  
الطعام ببطاقات !!

٧٥ - وقالوا في قوله في الصفحة المذكورة :

وربما استضحك الخميس به عن أهرت الماضفين صنديد  
فقالوا في الحاشية : « أهرت من الهرت وهو التمزيق » فيكون المعنى  
« عن ممزق الماضفين » وهو ذم لان التمزيق لا يكون طبعيا بل بألة حادة  
أو أسنان حادة أو عضو حاد ، فالمدوح اذن معضوض الماضفين ممزقهما ،  
وليس هذا بمراد الشاعر ، وانما « الاهرت » من « هرت الشيء يهرت  
هرتاً أى اتسع فهو هريت وأهريت أى واسع ، ويقال « أسد أهرت أى  
واسع الشدين وأسود هرت وأسد منهرت الشدق أى واسعه » •

٧٦ - وورد في الصفحة ١٥٥ قوله :

ولا سرت نحوكم أسرة تأسر بالداهية الصيلم

فقالوا في الحاشية : « الصيلم : السيف » فيكون المعنى « بالداهية  
السيف » وهو تعبير غريب ، والصحيح أن الصيلم هي الشديدة ها هنا ،  
لان من معانى الصيلم « الامر الشديد » فهي وصف في الاصل •

٧٧ - ووردت في الصفحة ١٦٨ ترجمة نشوء الدولة علي بن مفرج

ابن المنجم فقالوا في الحاشية : « له أخبار كثيرة في بدائع البدائه ...  
وقال السيوطى في حسن المحاضرة ... وانظر المغرب وانظر ترجمة

اسامة بن منقذ فى ابن خلكان « • وفاتهم ذكره فى موضع آخر من الوفيات وهو ترجمة ابن سناء الملك هبة الله بن جعفر المقدم ذكره ، قال ابن خلكان : « كان بمصر شاعر يقال له أبو المكارم هبة الله بن وزير بن مقلد الكاتب فبلغ القاضى السعيد [ ابن سناء الملك ] المذكور عنه أنه هجاه فأحضره اليه وأدبه وشتمه ، وكتب اليه نشوء الملك أبو الحسن علي بن مفرج المغربى الاصل المصرى الدار والوفاة المعروف بابن المنجم الشاعر :

قل للسعيد أدام الله نعمته      صديقنا ابن وزير كيف تظلمه ؟  
صفعته اذ غدا يهجوك منتقما      فكيف من بعد هذا ظلت تشتمه  
هجو بهجو وهذا الصفع فيه ربا      والشرع ما يقتضيه بل يحرمه  
فان تقل ما لهجو عنده ألم      فالصفع والله أيضا ليس يؤلمه (١)

٧٨ - وجاء فى الصفحة ١٧١ قول موسى السخاوى :

ويمدها من كل أحوى أحور      ما منه يرتاع الكمي المحرب  
بضم الميم وفتح الراء من « المحرب » قالوا فى الحاشية : « المحرب :  
الذى دل على ما يغنمه من الحرب » والصواب كسر الميم لانه مبالغة مستعار  
الوزن من اسم الاداة واسم الآلة وهو « مفعل » والمحرب والمحارب هو  
الشجاع وهو المناسب للكمي الذى هو بمعنى الشجاع أيضا أو لابس  
السلح المكمى بالدرع والبيضة •

٧٨ - وذكروا فى الصفحة ١٧٣ مظان ترجمة أبى الغارات طلائع  
بن رزيك ومواطن ذكره وقد فاتهم تلخيص معجم الالقاب لابن الفوطى ، قال  
ابن الفوطى : « فارس المسلمين الملك الصالح أبو الغارات طلائع بن رزيك  
بن عبدالله بن يحيى الارمنى المصرى الوزير ، ذكره الوزير الاكرم  
جمال الدين على بن يوسف القفطى فى كتابه وزراء الدولة العصرية فى  
الدولة القصرية ، وقال : كان فارس المسلمين من أولاد الارمن الداخلين الى مصر  
ولما كبر جعل من الحجرية ثم نقل الى أن جعل مقدا فى السرايا ثم خلع

(١) وفيات الاعيان « ٢ : ٣٢٥ » طبعة ايران •



عليه خلع الوزارة : خلعة موشحة بعقد جوهر فى يوم الخميس الرابع من شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وخمسمائة ونعت بالسيد الاجل الملك ناصر الائمة كاشف الغمة<sup>(١)</sup> . .

وقال ابن الفوطى فى سيرة الفائز بنصر الله أبى القاسم عيسى ابن الظافر اسماعيل العلوى الفاطمى : « بويع للفائز عيسى يوم قتل أبوه الظافر فى المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة وهرب عباس قاتل أبيه فقتله الفرنج فى طريقه ووزر له بعده طلائع بن رزيك ولقب بالملك الصالح فارس المسلمين<sup>(٢)</sup> . . . »

وورد ذكره فى وفيات الاعيان فى غير موضع ترجمته وذلك فى ترجمة « شاور بن مجير بن نزار السعدى<sup>(٣)</sup> » و ترجمة الفائز أبى القاسم عيسى ابن الظافر بن الحافظ<sup>(٤)</sup> . و ترجمة غيات الدين غازى<sup>(٥)</sup> بن صلاح الدين الايوبى ، وورد ذكره و ترجمته فى مرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٣٠٢ ، ٥١٥ » والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى فى الجزء الخامس منه ( راجع فهرسته ) وشذرات الذهب « ٤ : ١٧٧ » ومعجم الادباء « ١ : ٤١٧ طبعة مرغوليوث » و « ٦ : ٣ منه »<sup>(٦)</sup> . وذيل تاريخ بغداد لابن الديبى قال « أنشدنا أبو العباس أحمد بن أحمد البزاز قال أنشدنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا الدمشقى ببغداد ، قدمها علينا فى سنة أربع وستين وخمسمائة قال أنشدنى الوزير طلائع بن رزيك لنفسه بمصر :

- 
- (١) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٢٠٠ من نسختى بخطى » .  
(٢) المرجع المذكور « ص ٢١١ » .  
(٣) وفيات الاعيان « ١ : ٢٣٧ طبعة ايران » .  
(٤) المرجع المذكور « ص ٤٣١ » .  
(٥) المذكور « ص ٤٣٨ - ٤٤٠ » .  
(٦) وورد ذكره فى تكملة اكمال الاكمال لجمال الدين بن الصابونى ، باخراج كاتب المقالة ، وهذا المرجع غير مستدرك عليهم لانه طبع سنة ١٩٥٧ ، تراجع الصفحات « ٢٢٧ ، ٢٨٧ ، ٣١٣ ، ٣٣٦ ، ٣٦٠ » .

مشيك قد نضا صبغ الشباب وحل الباز في وكر الغراب  
تمام ومقلة الحدان يقطى وما ناب التوائب عنك نابي  
وكيف بقاء عمرك وهو كنز وقد انفقت منه بلا حساب<sup>(١)</sup> .

٨٠ - وورد في الصفحة ١٧٢ قول موسى السخاوى :

كالتار الا أنها لا تنطفي والبحر الا أنه لا ينضب

هكذا ضبطوا « ينضب » بفتح الضاد ، والصواب « تنضب » بضم  
الضاد أو « تنضب » بكسرهما ، قال مؤلف المختار : « نضب الماء : غار في  
الارض وبابه دخل » . وفي لسان العرب « نضب الشيء : سال ، ونضب  
الماء ينضب بالضم نضوباً ونضب اذا ذهب في الارض ، وفي المحكم :  
غار وبعد » .

وقد صرح الفيومى بجواز الكسر قال<sup>(٢)</sup> : « نضب الماء نضوباً من  
باب قعد : غار في الارض وينضب بالكسر لغة » ، ففتح الضاد كما فعل  
الشارحون غلط ، ولو كانت الضاد مفتوحة لكان مصدره على « فعل »  
بالتحريك لا على فعول ، وهذا من مباحث الصرف التى ينبغى لمن يتصدى  
لمثل هذا الامر معرفتها .

٨١ - وعلقوا في الصفحة ١٧٥ على « الحصكفي » الشاعر النائر

الخطيب الباهر « هو يحيى بن سلامة خطيب ميفارقين ، من كبار الادباء  
والشعراء فى عصره وكان ضريراً ، توفى سنة ٥٥١ » . ولم يحيلوا بذلك  
القول على كتاب ، فالذى علمناه أنه « لم يكن ضريراً » ، وأول ما يتبادر  
الى الذهن فى تعرف مظان تراجم الاضراء هو « نكت الهميان فى نكت

---

(١) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية ببائيس ٥٩٢٢  
الورقة ٢١٧ » .

(٢) وأما صاحب القاموس فسكت عن ماضيه ومضارعه أو سها  
عنهما ، أو سقط قوله من هذه النسخة المطبوعة قال : « نضب : سال  
وجرى ، والماء نضوباً : غار » . وبالمصدر يستدل على أن ماضيه مفتوح  
العين ومضارعه يجوز فيه ضم العين وكسرهما .

العميان للصفدي « لان الحصكفي على رأيهم داخل في شرطه ، وليس له في نكت الهميان ترجمة ، وقد ترجمه أبو سعد بن السمعاني في الانساب في « الحصكفي » وذكر أنه توفي بعد سنة ٥٥١ ولم يذكر أنه كان ضريراً ، وترجمه بعده عز الدين بن الاثير في اللباب في تهذيب الانساب ولم يستدرك على ابن السمعاني أن الحصكفي كان ضريراً ، على ما قال شارحو الخريدة ، وترجمه أبو الفرج بن الجوزي في المنتظم « ١٠ : ١٨٣ » في وفات سنة ٥٥٣ ولم يذكر أنه كان ضريراً ، وترجمه ياقوت الحموي في معجم الادباء كما جاء في مختصر الجزء السابع « ص ٢٨١ طبعة مرغوليوث » وذكر هو وابن الاثير أنه توفي سنة ٥٥١ وترجمه ابن خلكان في الوفيات « ٢ : ٣٨١ طبعة بلاد العجم » ولم يذكر أنه كان ضريراً ، وقال : « ولم يزل على رياسته وجلالته وافادته الى أن توفي سنة احدى وقيل ثلاث وخمسين وخمسمائة ... » وترجمه سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان كما جاء في مختصر الجزء الثامن<sup>(١)</sup> « ص ٢٣٢ طبعة حيدر آباد » ولم يذكر أنه كان ضريراً ، وترجمه تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى « ٤ : ٣٢٢ » ولم يذكر أنه كان ضريراً ولا ذكر وفاته<sup>(٢)</sup> .

وترجمه كمال الدين بن القوطي قال : « معين الدين أبو الفضل يحيى بن سلامة الحصكفي ابن الحسين بن محمد الحصكفي ( كذا ) الخطيب الاديب ، ذكره الحافظ أبو عبدالله بن النجار في تاريخه وقال : كان فقيها فاضلا ، مدرسا مفتيا أديبا ، بليغا ، شاعرا ظريفا ، ولد بطنزة وتربى بحصن كيفا وقدم بغداد وجالس أبا زكريا التبريزي ومن شعره :

(١) جاء فيه أنه ولد بظهيرة مدينة صغيرة في ديار بكر بعد الستين وأربعمئة . والصواب « بطنزة » .  
(٢) جاءت فيه طنزة مصحفة الى « طبرة » والطنزي مصحفا الى « الطبري » .

سأله اللهم يوم الدين فالتثما      وصدته اليه أن يشنى الى فما  
فكيف أطلب حفظ الود من صلف      سأله قبله يوم الوداع فما  
وله : والله لو كانت الدنيا بأجمعها      تبقي علينا ويأتي رزقها رغدا  
ما كان من حق حر أن يذل بها      فكيف وهى متاع يضمحل غدا ؟!

توفى فى الثانى والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين  
وخمسائة ، ومولده سنة ستين وأربعمائة<sup>(١)</sup> .

وليس بنا حاجة الى ذكر التواريخ الاخرى فالكمل مجمعون على  
أن الحصكفى كان بصيرا لا ضريرا ، فكيف تبادر الى أذهانهم أنه كان  
ضريرا ؟ ان ذلك مستغرب جدا .

٨٢ - وجاء فى حاشية الصفحة ١٧٧ « واشترك فى المؤامرات وفر  
مع عباس الصنهاجى » يريد الامير أسامة ابن منقذ . واستعمالهم « اشترك »  
للواحد من غير صلة « مع » ولا واو العطف ، انما هو من التعابير العامة ،  
فلا يقال « اقتتل فلان » ولا « اقتسم » ولا « احترب » ، فالصواب « وشارك  
فى المؤامرات »<sup>(٢)</sup> .

٨٣ - وجاءت فى الصفحة ١٨٦ ترجمة « أبى المهند حسام بن مبارك  
بن قضة ( كذا ) العقيلي ولم يهيلوا فى ذكر مظان ترجمته على  
تلخيص معجم الالقاب لابن الفوطى ولو للمقابلة ، قال ابن الفوطى :  
« عز الدين أبو المهند حسام بن قضة بن عبدالله العقيلي المصرى الامير ،  
ذكره عماد الدين الاصفهانى الكاتب فى كتاب خريدة القصر وقال : لم

---

(١) تلخيص معجم الالقاب « ج ٥ الترجمة ١٥٤١ ، طبعة لاهور » ،  
وجاء فى خريدة القصر « قسم الشام ١ : ٥٦١ » أنه توفى سنة ٥٣١ أو  
٥٣٣ . وهذا وهم من الناشر الدكتور شكرى فيصل .  
(٢) يظهر لنا أنهم أخذوا ذلك من قول أصحاب الجرائد والمجلات  
« بدل الاشتراك » وهذا وهم والصواب « بدل المشاركة » . والغريب فى  
استعمال الاشتراك ما نراه فى عدة مجلات ثقات كمجلة المجمع العلمى العربى  
بدمشق .

يكن في مصر أفخم منه شأنًا ، وأعظم سلطانا وهو ابن أخت الصالح بن رزيك ، وكان المقدم على عسكره ، وانتقل بعد خاله من مصر الى دمشق وكان بها الى سنة احدى وسبعين [ وخمسمائة ] ثم رحل عنها في هذه السنة الى العراق لقصد الحجاز • ومن شعره :

نار الفراق تشب بين ضلوعي وتزيد اشعالا بما دموعي<sup>(١)</sup>  
ضدان ما اجتماعا ولا حلا معاً الا بقلب الهائم المصدوع  
وتوفى بعد سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة<sup>(٢)</sup> •

٨٤ - وورد في الصفحة المذكورة ترجمة أبي القاسم هبة الله بن عبدالله بن كامل داعي الدعاة بمصر وقد ذكروا في الحاشية مضاف ترجمته وفاتهم تلخيص معجم الالقاب أيضا ، قال ابن الفوطى : « فخر الامناء أبو القاسم هبة الله بن عبدالله بن كامل المصرى الداعى ، ذكره العماد الكاتب ، وقال : كان داعي الدعاة بمصر للادعاء ، وقاضى القضاة لاولئك الاشقياء ، يلقبونه بفخر الامناء ، ولما انكدرت نجومهم ، وتغيرت رسومهم ، تحرك ابن كامل الناقص للذب عنهم ، والشد منهم ، ومالاً قوما على البيعة لبعض اولاد العاضد ، فصلبوا ، وفخر الامناء فى أولهم ، وذلك فى غرة رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة • وأنشد له :

لئن كان حكم النجم لاشك واقعاً فما سعيانا فى دفعه بنجيج  
وان كان بالتحنيك يمكن دفعه علمنا بأن الحكم غير صحيح<sup>(٣)</sup> •

٨٥ - وورد فى الصفحة ١٨٧ قول العماد « فحرك ابن كامل ناقص

- 
- (١) لقد خالف جميع الشعراء والمغرمين بهذا القول ، فان الباكي يجد راحة وانكشافا للكرب بالبكاء ، راجع قول المؤدب فى « ص ٢٣٧ »  
« انقع غليل الاسى بدمع تقرح أسرابه الجفونا »  
(٢) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٤ أ و ٢٠٣ بخطى » •  
(٣) تلخيص المعجم المذكور « ٤ : ٢٧٩ بخطى » ، والعجيب أن أبا شامة المقدسى ذكر ابن كامل فى الروضتين وسماه أولا « ١ : ٢١٩ ، ٢٢٠ » المفضل بن كامل •

الذب عنهم » • وقد قدمنا أنه « تحرك ابن كامل الناقص للذب عنهم » •  
والجملة الاولى مضطربة العبارة ، والثانية واضحة المعنى ، صالحة المبني ،  
كما هو ظاهر •

٨٦ - وجاء في الصفحة ١٨٧ ذكر الوجيه أبي الحسن علي بن  
يحيى الذروي<sup>(١)</sup> وقد أشاروا الى مظان ترجمته ومواطن ذكره ،  
وفاتهم وفيات الاعيان ، فقد ذكره ابن خلكان في ترجمة  
أبي الميمون المبارك بن كامل بن علي ابن منقذ الكنانى الشيزرى ، قال :  
« ومن مداحه القاضى الوجيه رضى الدين أبو الحسن علي بن أبي الحسن  
يحيى بن أحمد المعروف بابن الذروي ، مدحه بقصيدته الذالية التى سارت  
مسير المثل وأولها :

للك الخير عرج بي على ربهم فذى ربوع يفوح المسك من عرفها الشذى<sup>(٢)</sup> »  
وذكر منها عشرة أبيات ، وذكره ابن خلكان أيضا فى ترجمة أبي  
القاسم هبة الله بن سناء الملك المذكور فى هذا النقد سابقاً ، وترجمة  
موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوى « ٢ : ٥١٢ من طبعة بلاد  
العجم » •

٨٧ - ووردت فى الصفحة ١٨٩ ترجمة أبي المعالى عبدالعزيز بن  
الحسن بن الجباب ( كذا ) الاغلبى السعدى • وقد ذكرنا سابقاً أنه « ابن  
الجباب » على وزن شداد بالجيم ، وقد ذكروا مظان ترجمته وفاتهم الوافى  
بالوفيات ، قال الصلاح الصفدى : « عبدالعزيز بن الحسين بن الجباب - بالجيم  
والباء الموحدة المشددة وبعد الالف باء أخرى - الاغلبى السعدى التميمى  
الصقلى ، هو المعروف بالقاضى الجليس أبو المعالى قال ابن نقطة ... وسمى

---

(١) اضبطوا « الذروي » بكسر الدال وقال ابن خلكان : « الذروي  
بفتح الدال المعجمة والراء بعدها واو ، هذه النسبة الى ذرو وهى قرية  
بصعيد مصر » « ٢ : ١٤ طبعة بلاد العجم » •  
(٢) الوفيات « ٢ : ١٤ من الطبعة المذكورة » •

هو الجليس لانه كان يعلم الظاهر وأخويه أولاد الحافظ القرآن والادب ، وكانت عاداتهم يسمون المؤدب الجليس<sup>(١)</sup> ، وقال العماد الكاتب : مات سنة احدى وستين وخمسمائة وقد أناف على السبعين ، ذكره عمارة فى تاريخ اليمن ، وأن ابن الجباب تولى ديوان الانشاء للفائز مع الموفق بن الخلال<sup>(٢)</sup> . . . . » .

٨٨ - وجاء فى الصفحة ١٧٨ قول الوجيه رضى الدين أبى الحسن على بن يحيى الذروى المقدم ذكره فى أحدب :

يا أخى كيف غيرتلك الليالى وأحالت ما بيننا بالمحال

وجاء فى آخرها قول القائل : « وهذه الايات لم يقل مثلها فى أحدب وهى فى ابن أبى حصينته الذى أصله من المعرة » . وكانوا قد قالوا فى جاشية الترجمة : « نقلنا هذه الترجمة عن المغرب لابن سعيد نسخة دار الكتب ، المجلد الثانى الورقة ١٧٠ ولم نقلها عن مختصر الخريدة لانه أشد اختصارا ، ويبدو من المغرب أن هذا كل ما قاله العماد فى الخريدة وقد عقب عليه بنقول اخرى من كتاب الذيل والسييل للعماد وهو ذيل له على الخريدة وبنقول ثانية من ديوان ابن الذروى . . . . » .

وهذا البيان يفيد أن جملة « وهى فى ابن أبى حصينة الذى أصله من المعرة » من اضافة ابن سعيد العمارى المغربى مؤلف المغرب ، وهى خطأ من القول ، للغلط التاريخى ، فابن أبى حصينة هو الامير أبو الفتح الحسين بن عبدالله ابن أحمد بن عبد الجبار السلمى المعرى ، توفى سنة ٤٥٧ على قول ياقوت فى معجم الادباء<sup>(٣)</sup> ، وقد بالغ ابن شاکر الكتبى فذكر أنه توفى

---

(١) بهذا نعلم أن قول العماد فى الخريدة « جليس صاحب مصر » من الاستدلال باللفظ على المعنى دون معرفة الاصطلاح .

(٢) الوافى بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية ببائيس ٢٠٦٦ الورقة ٢١١ » .

(٣) معجم الادباء « نسخة دار الكتب الوطنية ببائيس ٢٠٦٦ الورقة ٢١١ » .

في حدود سنة خمس للهجرة<sup>(١)</sup> ، وكانت وفاة ابن الذرؤى سنة ٥٧٧ فمن المحال أن يكون ابن الذرؤى وصف حدة ابن أبي حصينة المذكور ان كانت له حدة ، فلعل الاحدب الموصوف الحدة هو من ذرية الشاعر المذكور ، وكان على الناشرين الشارحين أن ينبهوا القراء الى ذلك ، وقد نقل هذه البيوت لا الابيات السيد ابن معصوم المدني ، قال في باب التهكم : « وقول ابن الذرؤى في ابن أبي حصينة وكان أحدب وهو من شاهد المدح في معرض السخرية : يا أخى كيف غيرتنا الليالى<sup>(٢)</sup> » . . . . » .

٨٩ - وجاء في الصفحة ١٩١ قول العماد الاصفهاني : « وأشدنى الامير العضد مرهف للجلس يخاطب الرشيد بن الزبير . . . . » . فقالوا في الحاشية : « الامير مرهف هو مرهف بن أسامة بن منقذ وقد تقدم التعريف بأبيه وهما من أعيان شيزر » وهذا تعريف ناقص ، والصحيح أنهما من أمراء شيزر قال ياقوت الحموى في سيرة أسامة بن مرشد الكنانى الشيزرى : « ذكره عمادالدين أبو عبدالله محمد بن حامد الاصفهاني في كتاب خريدة القصر وجريدة العصر وأثنى عليه كثيرا فقال : ما زال بنو منقذ هؤلاء مالكي شيزر وهى حصن قريب من حماة ، معتصمين بحصانتها ، ممتنعين بمناعتها حتى جاءت الزلزلة في سنة نيف وخمسين [ وخمسائة ] فخربت حصنها ، وأذهبت حسننها وتملكها نورالدين محمود بن زنكى وأعاد بناءها ، فتشعبوا شعبا ، وتفرقوا أيدي سبا<sup>(٣)</sup> » .

قال العماد في ترجمة أسامة : « حتى أعاد الله دمشق الى سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة سبعين [ وخمسائة ] ، ولم يزل مشغوفا بذكره ، مستهترا باشاعة نظمه ونثره والامير العضد مرهف

---

(١) فوات الوفيات « ١ : ٢٣٩ طبعة محمد محبى الدين وهى كثيرة الغلط » قال ابن شاکر : « توفى في حدود الخمسمائة رحمه الله تعالى » ، وهذا من المحالات .

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع « ص ١٩٦ » .

(٣) معجم الادباء « ٢ : ١٧٤ طبعة مرغوليوث » . ولم أجد هذه الفقرة في أول ترجمة أسامة من الخريدة .



ولد الأمير مؤيد الدولة [ أسامة ] جليسه ونديمه وأنيسه<sup>(١)</sup> وقال ياقوت :  
« وقد رأيت أنا العُضد هذا بمصر عند كوني بها في سنتي ٦١١ و ٦١٢ وأنشدني شيئاً من شعره وشعر والده » ثم قال : « وكتب إليه ابنه أبو الفوارس مرهف إلى حصن كيفا كتاباً على يد مستمنح فلم يمكن الوقت من بلوغ الغرض » . ثم قال : « فارقه في جمادى الأولى سنة ٦١٢ بالقاهرة يحيا ، ولقيته بها وهو شيخ ظريف ، واسع الخلق ، شائع الكرم ، جماعة للكتب وحضرت داره واشترى مني كتباً وحدثني أن عنده من الكتب ما لا يعلم مقداره ، إلا أنه ذكر لي أنه باع منها أربعة آلاف مجلد في نكته لحقته فلم يؤثر فيها ، وسألته عن مولده فقال : ولدت سنة (٥٢٠) فيكون عمره إلى وقتنا هذا اثنتين وتسعين سنة ، وكان قد أقعد ، لا يقدر على الحركة إلا أنه صحيح العقل والذهن والفطنة والبصر ، يقرأ الخط الدقيق كقراءة الشبان إلا أن سمعه قد ثقل ، وكان ذلك يمنعني من مكائرتة ومذاكرته ، وكان السلطان صلاح الدين - رح - قد أقطعه ضياعاً بمصر فهو يصرفها في مصالحه وأجراه الملك العادل أخو صلاح الدين على ذلك وكان الملك الكامل بن العادل يحترمه ويعرف له حقه ، وأنشدني شيئاً من شعره وشعر أهله لم يحضرني منه في هذا الوقت ما أورده ، وذكر له العماد في كتاب الخريدة ما ذكر أنه سمع منه . . . ومات في ثاني صفر سنة ٦١٣<sup>(٢)</sup> » .  
وترجمه عماد الدين الأصفهاني قال : « الأمير عضد الدولة أبو الفوارس مرهف بن أسامة بن منقذ ، ذو المجد الأثير ، والفخر الأثيل ، والبيت الأصيل ، أنشدني بدمشق سنة إحدى وسبعين [ وخمسمائة ] لنفسه<sup>(٣)</sup> » .  
وذكر أبياتاً له .

(١) الخريدة قسم الشام « ١ : ٤٩٩ » ومعجم الأدباء « ٢ : ١٧٥ » .  
(٢) معجم الأدباء « ٢ : ١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٩٦ ، ١٩٧ » والأصل « ومات الأمير عضد الدين بن مرهف ( كذا ) في ثاني صفر سنة ٦١٢ » والصواب « عضد الدولة مرهف » كما تقدم ، وقول ياقوت عضد الدين غلط .

(٣) الخريدة المذكورة « ١ : ٥٧١ » .

وذكره ابن الفوطى فى الملقيين بالعضد قال : « عضد الدين أبو الفوارس  
مرهف بن مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن منقذ الشيرزى الامير الاديب <sup>(١)</sup> »  
وترجمه أبو شامة المقدسى فى وفيات سنة ٦١٣ قال : « وفيها فى ثانى صفر  
توفى بالقاهرة العضد مرهف بن مؤيد الدولة أسامة بن منقذ وله من العمر  
اثنان وتسعون سنة ونصف ، وشيع السلطان <sup>(٢)</sup> جنازته ، وكان جليلا عند  
الملوك وأبوه من قبله ، وقد ذكرنا من أخباره فى التاريخ ، وفى كتاب  
الروضتين ما دل على جلالة بيته وأدبه وشجاعته ، وفضائله ، مع طول  
ممره - رح - <sup>(٣)</sup> » .

وقال زكى الدين المنذرى المصرى فى وفيات سنة ٦١٣ : « وفى الثانى  
من صفر توفى الامير الاجل الفاضل أبو الفوارس مرهف بن الامير الاصيل  
مؤيد الدولة أبى المظفر أسامة بن أبى سلامة مرشد بن على بن مقلد بن  
نصر بن منقذ الكنانى الكلبى الشيرزى المولد المصرى الدار الشافعى  
المنعوت بالعضد ، بالقاهرة ودفن من الغد ، ومولده فى النصف من جمادى  
الاولى سنة عشرين وخمسمائة وقيل ان مولده فى يوم الاثنين الثامن عشر  
من ذى الحجة من السنة ، سمع من والده وحدث ، سمعت منه وله شعر  
وجمع من الكتب كثيرا ، وكان شديد الشغف بها والاجتهاد فى تحصيلها ،  
حسن المحاضرة ، وهو من بيت الامارة والفضيلة وقد تقدم ذكر والده <sup>(٤)</sup> » .  
وترجمه شمس الدين الذهبى فى وفيات سنة ٦١٣ قال : « مرهف بن  
أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ ، الامير العالم ، مقدم  
الامراء ، جمال الرؤساء ، عضد الدولة ، أبو الفوارس ابن الامير الكبير  
الاديب مؤيد الدولة أبى المظفر الكنانى الكلبى الشيرزى ، أحد الامراء

---

(١) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٥٦ من نسختى بخطى » .

(٢) السلطان اذ ذاك هو الملك العادل بن أيوب أخو صلاح الدين

الايوبى .

(٣) ذيل الروضتين « ص ٩٣ » .

(٤) التكملة لوفيات النقلة نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية » ١

٩٢ ، ٩٣ » .

المصريين • ولد يشيزر فى سنة عشرين وخمسائة وسمع من أبيه ، روى عنه الزكى المنذرى<sup>(١)</sup> والشهاب القوصى ، وكان مسنا معمر شاعرا كوالده وقد جمع من الكتب كثيرا ، وكان مليح المحاضرة ، توفى - رح - فى ثانى صفر<sup>(٢)</sup> ، •

وقد كناه سبط ابن الجوزى بأبى الفضل بخلاف المؤرخين ، قال فى ترجمة محمد ابن ابراهيم الكيزانى<sup>(٣)</sup> الواعظ المتوفى سنة (٥٦٠) : « أشدنى من شعره ابو الفضل مرهف بن أسامة بن منقذ بمصر فى سنة سبع وستمائة<sup>(٤)</sup> » • • • • •

وقد وجدت له جزءاً من شرح ديوان المتنبى فى دار الكتب الوطنية بباريس أرقامه ٣١٠٦ ولولا معرفتى سيرته لم أعرفه •

٩٠ - وورد فى الصفحة ١٩٣ استشهاد بأبيات لصردر الشاعر المشهور وقد جاء فى شطر البيت الرابع « من العدل أن يحيا بها مستحقها » • والاصل « أن يحبى » كما جاء فى الديوان « ص ٦١ » وهو الموافق لمقتضى الحال فالبيت هو :

من العدل أن يحبى بها مستحقها ويخلعها مردودة مستعيرها

٩١ - وورد فى الصفحة ١٩٦ قول القاضى الجليس :

وأعقبه عيد الغدير فلم نخل لقرب التداني أن بينهما فرقا  
أراد عيد الاضحى وعيد النوروز وقد ذكرهما فى الشعر ، فعلقوا  
على عيد الغدير ما هذا نصه « هو من أعياد القبط المهمة وكان الفاطميون

(١) يعنى مؤلف التكملة لوفيات النقلة المقدم ذكره •

(٢) تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ٢٠٥ » •

(٣) فى مرآة الزمان ٨ : ٢٥٤ « وهو مرجعنا « الكشاني » وهذا من غلط التصحيف •

(٤) مختصر الجزء الثامن من مرآة الزمان « ص ٢٥٤ » طبعة حيدر آباد بالهند •

يحتفلون به احتفالا مشهودا ، الخطط : ٤٩٢/١ » •  
وعيد الغدير من أعياد الشيعة الامامية وغيرهم من فرق الشيعة ، وهو  
اليوم الثامن عشر من ذى الحجة ، والغدير هو غدير خم ، وذلك أن  
الشيعة الامامية ومن جرى مجراهم يعتقدون أن النبي - ص - جعل ولاية  
العهد لعلي بن أبي طالب - ع - في ذلك اليوم وكان نصبه اياه في غدير  
خم ، كما هو مفصل في التواريخ وكتب التراجم ، ولعل القبط كانوا  
يشاركون الشيعة في ذلك العيد مجاملة لهم •

٩٢ - وجاء في الصفحة ٢٠٥ قول المذهب بن الزبير : « وهل يشفى  
لها أبداً غليل » بفتح الياء والفاء من « يشفى » ولا محل لهذا الضبط  
ها هنا ، فالصواب بناؤه للمجهول ، اما « شفي يشفى » بوزن فرح ، فهو  
بمعنى « غرب » يقال : شفي الهلال ، ولا محل له هنا •

٩٣ - وورد في الصفحة ٢٠٦ قوله :

وقد وقفت على الاطلال أحسبها جسمي الذي بعد بعد الطاعنين بلي  
هكذا بناء « بلي » للمجهول ، وهو وهم لانه أراد « البلى » أى الرثاء  
والرمة يقال « بلي الجسم بلى بلى وبلاءاً » وأما « بلاه » فمعناه « اختبره  
وامتحنه » ولا محل هنا لابتلاء الجسم واختباره •

٩٣ - وجاء في الصفحة ٢٠٧ قوله :

وقد لقوا كل من غاروا بمشبهه حتى لقوا النجل عند العرض بالنجل  
هكذا ضبطوا « غاروا » بالراء المهملة ، ولم يحركوها لثقتهم بأنها  
لا تحتاج الى ضبط ، والصواب « غازوا » بفتح الزاى ، يقال : « غازوهم  
يغازونهم مغازاة وغزاء » قال المبرد فى الكامل : « اذا أدخلت الالف قلت :  
أغزيت وكذلك غازيت واستغزيت <sup>(١)</sup> » • وقال قطرى به الفجاءة :

الى كم تغازيني السيوف ولا أرى مغازاتها تدعو الى حماميا <sup>(٢)</sup>

(١) الكامل فى الادب « ١ : ٧٠ طبعة الدجيمونى الازهرى »

(٢) أمالى المرتضى « ٣ : ٩٠ من الطبعة الاولى »

٩٤ - ورد في الصفحة ٢٢٥ قول المذهب بن الزبير : « أمنت عداتي  
ثم خفت احبتي » • وقد ضبطوا « عداتي » بكسر العين وهو خطأ لان العدة  
جمع العادي ، وفاعل المنقوص يجمع على « فعلة » مثل الشادى والشداة  
والعائى والعناة والبانى والبناة ، والباغى والبلغاة •

٩٥ - وورد في الصفحة ٢٢٦ ترجمة أبى الفتح محمود بن اسماعيل  
بن حميد ابن قادوس الفهرى ، فقالوا في حاشية الصفحة المذكورة لبيان  
مظان ترجمته : « فى حسن المحاضرة ١ : ٣٢٤ كاتب الانشاء بالديار  
المصرية وشيخ الفاضل وكان يسميه ذا البلاغتين » • ولم يزيدوا على ذلك  
شيئا ، مع أنه مذكور استطرادا فى معجم الادباء « ١ : ٤١٩ »<sup>(١)</sup> والروضتين  
« ١ : ٢٢٦ » وفى بدائع البدائه « ص ١٧٢ ، ٢٣٣ » وذكره ابن شهر آشوب  
فى استشهاده بشعراء الشيعة قال : قال : « القاضى ابن قادوس المصرى :  
هى بيعة الرضوان أبرمها التقى وأنارها النص الجلى وألحما  
ما اضطر جدك فى أهلك وصية وهو ابن عم أن يكون له اتمى  
وكذا الحسين وعن أخيه حازها وله البنون بغير خلف منهما »<sup>(٢)</sup>  
وذكر له الشريف جمال الدين محمد بن عبدالعزيز الادريسي أباينا  
فى كتابه فى تاريخ الاهرام<sup>(٣)</sup> •

٩٦ - وجاء فى الصفحة ٢٢٩ قول ابن قادوس المذكور :  
ونداك كل مؤمل ما أملا الا تجهم للعفاة وأملا  
ولم أجد لهذا البيت وجها من صحة التركيب ولا وجها من المعنى  
وهو مصحف تصحيفا فاحشا وصوابه :  
وفداك كل مؤمل ما أملا الا تجهم للعفاة وأم لا

---

(١) وهذا الذكر مكرر فى وفيات الاعيان « ١ : ٥٤ طبعة بلاد العجم »  
وبدائع البدائه « ص ٢٣٣ » وشذرات الذهب « ٤ : ٢٠٣ » •  
(٢) مناقب آل أبى طالب « ٢ : ١٧٧ » طبعة بلاد العجم الاولى •  
(٣) أنوار علو الاجرام فى الكشف عن أسرار الاهرام « نسخة دار  
الكتب الوطنية ببائريس ٢٢٧٤ الورقة ٨٠ » •

يريد : يكون فداءك كل رجل مرجو معتفى مسترفد لم يقصد  
محاج الا عبس في وجهه واستعمل في رده « لا » التي هي ضد الكرم  
والسخاء والاحسان والاعطاء ، ولاذبحها •

٩٧ - ووردت في الصفحة ٢٣٥ ترجمة الموفق أبي الحجاج يوسف  
بن محمد بن الخلال المقدم ذكره استطرادا ، وذكر الشارحون في الحاشية  
مظان ترجمة ، وفاتهم كامل ابن الاثير في وفات سنة ٥٦٦ و « نكت الهميان  
في نكت العميان » للصفدي « ص ٣١٤ » والوافي بالوفيات له في اليوسفين  
وقال في الخاء : « ابن الخلال صاحب ديوان الانشاء بمصر أيام الفاطميين  
اسمه يوسف بن محمد<sup>(١)</sup> » • فهذا يدل على أنه ترجمه في موضعه  
لان الوافي بالوفيات تم قبل وفاة مؤلفه ، وبين ما ذكره الصفدي لابن الخلال  
من الشعر في نكت الهميان وما جاء في الخريدة اختلاف قليل جدا في  
كلمات معدودات كان ينبغي تنبيه القراء عليها •

٩٨ - وجاء في الصفحة ٢٣٧ قول علي بن الحسن المؤدب :

انقع غليل الاسى بدمع تقرح أسرابه الجفونا

وضبطوا « تقرح » بضم التاء وكسر الراء بجعله رباعيا ، وهذا غلط  
فانه ثلاثي بهذا المعنى ، يقال « قرحه يقرحه قرحا أى جرحه » وأما  
« أقرحه اقراحا » فمعناه أخرج فيه قروحا ، والشاعر يريد خدش الجفنين  
وجرحها ، لا اخراج القروح فيها ثم ان الدمع قد يحدث القرع على اعتبار  
المبالغة في القول ولا يحدث الاقراح •

٩٩ - وورد في الصفحة ٢٤٤ قول ابن الصياد :

وشردها اشفاقها منك فاغدت ترى الارض خوفاً وهي من ضيقها فتر  
فذلوا كأن العز ما كان بينهم وصاروا كأن الفقر عندهم قبر  
والصواب « كأن القفر » أى الصحراء لان المراد أنهم مشردون في القفار ،

---

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية ببباريس ١٠٦٤  
الورقة ٢٤ » •

والقفار ضائقة بهم وكأنها قبر لهم لخوفهم ورعبهم ، فلا محل اذن للفقر  
بتقديم الفاء على القاف •

١٠٠ - وورد في الصفحة ٢٤٩ قول محمد بن هانيء الاندلسي  
الصغير :

زارت نعامها وزار خيالها فتمت بكليهما تيماء  
ولا محل للتيمم هنا ، أى التوخى والقصد أو توخى التراب مكان الماء ،  
والصواب « وتيمنت » بالنون أى تباركت ، فتماء تباركت بنعامها وخيالها •  
١٠١ - وجاء في الصفحة ٢٥٢ قوله :

أما عجباً أن هام فيه رقيه وأني على ذاك الرقيب رقيب ؟!  
ولا أرى وجهها وجيها لنصب « عجا » ، و « ما » لا تعمل عمل ليس في  
هذا الموضع ، قال الرضى الاسترأباذى في بطلان عمل « ما » الحجازية •  
« ومن ذلك أن يتقدم نفس الخبر ظرفاً كان أو غيره نحو : ما قائم زيد  
وما في الدار زيد وذلك لضعفها في العمل فلا تتصرف في العمل بأن تعمل  
النصب قبل الرفع ، قبل الفعل ، وقال ابن عصفور : لا يبطل عملها اذا كان  
الخبر المتقدم ظرفاً أو جاراً ومجروراً لكثرة التوسع فيه كما تعمل ان  
وأخواتها ، وقال أبو على : زعموا أن قوما جوزوا اعمالها متقدمة الخبر ،  
ظرفاً كان أو غيره • وقال الربيعي : الاعمال عندي هو القياس لبقاء معنى  
النفي ، وأما قول الفرزدق :

فأصبحوا قد أعاد الله دولتهم اذ هم قريش واذا ما مثلهم بشر  
فان سيويه حكى أن بعض الناس ينصبون<sup>(١)</sup> ( كذا ) « مثلهم » • قال :  
هذا لا يكاد يعرف ، وقيل ان خبر ( ما ) محذوف أى ( ما في الدنيا بشر )  
ومثلهم حال من ( بشر ) مقدم عليه ، وجوز الكوفيون انتصابه<sup>(٢)</sup> على

---

(١) بعض عند الفصحاء تعنى الواحد والواحدة من ذى الاجزاء  
المتمايزة كالانسان ، بشرط أن لا تكرر كما في هذا القول •  
(٢) أى انتصاب « مثلهم » •

الظرف أى فى مثل حالهم وفى مثل مكانهم من الرفعة ويروى : ما مسيتا  
من أعتب ، قالوا : ونحو قوله :

لو انك يا حسين خلقت حرّاً وما بالحرّ أنت ولا الخلق

دليل على جواز تقديم الخبر المنسوب ، اذ الباء لا تدخل الا على الخبر  
المنسوب دون المرفوع ... وقال الكوفيون : الاسمان بعد « ما » مبتدأ  
وخبر وانتصاب الثانى بنزع الخافض أعنى الباء ، وليس بشئ لان الباء  
زائدة ... (١) .

ومحصل هذا القول أن تقديم خبر « ما » الحجازية منصوبا غير  
فصيح وخاصة اذا لم يكن ظرفا أو جاراً أو مجروراً ، كالقول السابق  
« أما عجباً أن هام فيه رقيه » ؟!

١٠٢ - وجاء فى الصفحة ٢٥٧ قوله :

كأنما السحب رجال بها للخيّل فى كل مغار جماح

وقد ضبطوا « مغار » بفتح الميم ، والصواب ضمها لان الكلمة اسم مكان  
من « أغار » الرباعى ، أو مصدر ميمي ، وأما « المغار » بفتح الميم فهو من  
« غار » أى أتى الغور ، أو غار بمعنى غاض أو غار من الغيرة أو غير ذلك  
مما لا صلة له بالاغارة التى تناسب الخيل والجماح .

١٠٣ - وورد فى الصفحة ٢٥٩ قوله :

وكانت مسحة للحسن فيه فصار من العذار عليه مسح

قالوا : « المسح ثوب من الشعر غليظ » وفتحوا الميم ، والذى حفظناه  
بكسر الميم ، جاء فى مختار الصحاح « والمسح بوزن الملح البلاس (٢) » .

(١) شرح الكافية « ١ : ٢٩٢ ، ٢٩٣ طبعة استانبول » .

(٢) والبلاس بكسر الباء ويجوز فتحها ثوب من الشعر غليظ ، وقال  
الجوهري فى الصحاح : « وأهل المدينة يسمون المسح بلاسا وهو فارسى  
معرب ، ومن دعائهم : أرانيك الله على البلاس ، وهى غرائز كبار من مسوح  
يجعل فيها التبن ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه » . وقد كان قال :  
« والمسح البلاس والجمع أمساح ومسوح » فلم يفدنا شيئاً سوى معنى  
المسوح المحشوة تبناً .



١٠٤ - وجاء في الصفحة ٢٦١ قوله :

ولا يمنع المعروف عن مستحقه كمن يحجب الحيران عن طرق الرش  
والتركيب ظاهر الاختلال ، ولعل الاصل « ومن يمنع المعروف عن  
مستحقه » وبه يصح التشبيه أو أراد أن يماثل « كالطعن يذهب فيه الزيت » .

١٠٥ - وجاء في الصفحة ٢٧٢ قوله :

وقائلة مالي أرى الحظ وافراً بكل دنيء في الرجال وضع  
والصواب « لكل دنيء » لان الحظ يفر له ولا يفر به الا اذا كان هو أداة  
للفارة ، وليس الامر كذلك .

١٠٦ - وقال في الصفحة ٢٧٤ :

لقد بسم الاصبح عن ثغر أغيد وفاح نسيم الروح من فوره عرفا  
بكسر السنين من « بسم » والصواب فتحها ، لانه من باب « ضرب يضرب » ،  
ولو كان من باب « فرح » لكان مصدره على وزن « فعل » كفرح ، والعرب  
كما تستدل بالافعال على المصادر كذلك تستدل بالمصادر على الافعال .

١٠٧ - وورد في الصفحة ٢٧٥ قوله :

كأن اعتناق القضب والغيم دالج وداع خليط ذر من دمعته وكفا  
هكذا ورد « دالج » بالجيم ، والصواب « دالح » بالحاء المهملة ، قال الجوهري  
في الصحاح : « وسحابة دلوح أى كثيرة الماء وسحائب دلح مثل راكم  
وركع <sup>(١)</sup> » .

والذى أوهم الشراح فظنوا أن « دالح » هو « دالج » كون الفعل  
« دلح » الثلاثي بمعنى « أخذ الماء من البئر وأفرغه في الحوض » ، وهو  
عمل الانسان ولا يلتبس بعمل الغيم ، ثم ان الافراغ مشروط فى الدلوج  
ولا افراغ فى الدالح فضلا عن أنه صفة ليس لها فعل صريح ، وانما

---

(١) وقع فى طبعة بلاد العجم من الصحاح وهم ، وقد اعاد الناسخ  
المادة على الصحة ، وهى : « وسحابة دلوح أى كثيرة الماء وسحائب دلح  
مثل قدوم وقدم وسحاب دالح وسحائب دلح مثل ركع وراكع » وهو  
الصواب .

يؤول بأن السحابة الدالحة تدلح بمائها أى تسير منقبضة الخطو لثقل الماء عليها •

١٨٠ - وجاء فى الصفحة ٢٧٨ قوله :

يحكي الغنائم جوده ولربما قصرت عن المحكى فعال الحاكى  
وقد ضبطوا « فعال الحاكى » بفتح الفاء ، والفعال بالفتح هو اما الكرم واما  
مصدر فعل بفتح العين ، مع أن تأنيث الفعل « قصرت » يشعر بأن المراد  
« فعال الحاكى » بكسر الفاء وهو جمع « فعل » بكسر الفاء وتسكين العين ،  
وهو مثل « قداح وقدح وشبال وشبل وشعاب وشعب » •

١٠٩ - وورد فى الصفحة ٢٨٠ قوله :

وأحسن من قنو خضاب خود دم يحمر فى زرق السنان  
بضم الزاى وتسكين الراء من « زرق » وذلك خطأ لانك لا تقول  
« من بيض السيف ولا من سمر الرمح » اذا أردت جمع أبيض وأسمر ،  
فالوصف مجموعاً يضاف الى الجمع من هذا الوزن ، والصواب « من زرق  
السنان » وهو الزرقة ، وبوزن الفرح ، ولا يجوز هنا أن يقال ان « الزرق »  
جمع جنسى للزرقة أو مضاف وعند الاضافة يجوز حذف التاء لان ذلك  
مقصود على المعتل الفاء أو العين من غير الالوان ، قال الجوهري : « وقول  
الشاعر : وأخلفوك عد الامر الذى وعدوا • أراد عدة الامر ، فحذف الهاء  
عند الاضافة » •

وقال تعالى : « واقام الصلاة » أى اقامة الصلاة<sup>(١)</sup> •

١١٠ - وجاء فى الصفحة ٢٨٣ قول أبى التقى صالح بن الخال :

فاجنح لزورة شلو مشحن وصبأ ألهى انتظارك بعضاً منه عن بعض  
هكذا ضبطوا « مشحن » بالحاء المهملة و « صبا » بكسر الصاد من الصبا

---

(١) قال تعالى فى سورة الانبياء : « وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام  
الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » وقال فى سورة النور : « رجال  
لا تليهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة » •

الذى قبل الشباب من أطوار العمر ، وذلك من التصحيف الغريب والصواب :

فأجنع لزورة شلو مشجن وصب الهى انتظارك بعضا منه عن بعض  
فالمشجن من « أشجنه يشجنه ، اشجانا أى أحزنه ، والوصب بكسر  
الصاد ، صفة مشبهة من وصب فلان يوصب وصبا فهو وصب كفرج ، أى  
مرض ، والدليل على أنه كان وصبا أى مريضا قول المؤلف قبل الايات  
« وجدت له ... قصيدة كتبها اليه وهو موعوك يقتضى زيارته » •

١١١ - وورد فى الصفحة ٢٨٤ قوله :

ليك لييك من داع الى فرض يدعو فأقضى وفرض الحج ما أقضى  
بضم الضاد من « فرض الحج » والصواب فتحها لان الاسم منصوب  
وهو مفعول مقدم للفعل المنفى بما « أقضى » يعنى أنه يدعو الى فرض زيارته  
وعيادته لمرضه فيجيب الدعوة ويقضى الفرض المذكور على حين لا يقضى  
فرض الحج الذى هو من أركان الاسلام • والنصب فى « فرض » واجب  
لان فعله جلو من ضمير يعود اليه فيشغله عنه ، كما تقول : « والله اسأل أن  
يوفقنى للصواب » •

١١٢ - وورد فى الصفحة ٢٨٦ قول ابن الضيف :

ان ودعت فلتمت ثغراً أشنباً ورشفت ريقاً بارداً معسولاً  
ولا محل لان ، ثم ان الفاء فى « فلتمت<sup>(١)</sup> » ينفى وجود الشرط ،  
ويثبت وجود الخبر ، فالصواب « اذ ودعت ... » •  
١١٣ - وورد فى الصفحة ٢٨٦ قوله :

مناسره اختطفت مهجتي وأظفاره أشبت فى اهابي

---

(١) ضبطوا « لثمت » بفتح التاء ، والفصيح كسرهما على وزن  
« فرح » ، قال مؤلف المختار : « اللثم التقبيل وبابه فهم ، ولثم بالفتح  
لغة نقلها ابن كسيان عن المبرد » •

هكذا بناء « أنشبت » للمعلوم ، ومقتضى الحال يوجب بناءه للمجهول ، لان الانشاب يقع على الاظفار ، فيصدر عنها النشوب ، وليس هذا كقول الشاعر القديم : « واذا المنية أنشبت أظفارها » فذلك على الاستعارة وتشبيه المنية بالحيوان المفترس ذى الاظفار ، ومع ذلك فالاظفار منشبة أيضا بفتح الشين لا « منشبة » بكسر ها • هذا وقد ورد فى اللغة « أنشب الصائد : علق الصيد بحبالته » فهو منشب ( اسم فاعل بكسر الشين ) ولا محل له ها هنا ، لان الانشاب اللازم للآدميين لا للاظفار ، ولا وجه للمجاز حتى يقال ان الاظفار حلت محل الانسان ، لان الاظفار بأعيانها هى أدوات النشوب وهى الناشبة على الحقيقة ، يضاف الى ذلك أن الجار والمجرور « فى اهابى » يدلان على أنه أراد أنشب المعتدى لا اللازم •

١١٤ - وجاء فى الصفحة ٢٨٩ قوله :

وأشم ريحان الشعور مطيباً وأعل خمراً بالثغور مشباً

بضم الشين من « أشم » والفصيح فتحها ، قال مؤلف المختار ، « شم الشيء يشمه بالفتح ، شما وشميما أيضا ، وشم من باب رد لغة فيه » • هذا ما استوقفنا من الجزء الاول من الخريدة المصرية فاستوجب التعقيب على أحمد أمين - رح - وشوقى ضيف واحسان عباس وهو شيء غير قليل ، ويبعث على الاسى والاسف ، لان الكتب الادبية جلالها فى حسن ضبطها ، فاذا وقع القلط فيها كانت كثيرة الاضرار • وقراءة النصوص الادبية بحر كاتها وضبطها من أهم المواضع وأعسر التكاليف ، والخطأ فيها شديد الخطر على الدراسات الادبية فضلا عن كونها تقصيرا من الناشر فى فهم مقاصد الناثر أو الشاعر ، والله الموفق للصواب •

مصطفى جواد

# المدرسة الشراية

أو

## « القصر العباسي » في قلعة بغداد

ناجي معروف

رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب

بجامعة بغداد

### الفصل الاول

براهين فنية تثبت أن « القصر العباسي »

مدرسة عباسية ، وليس قصراً ، ولا داراً

لم يعرف على وجه التحقيق ، الغرض الذي شيدت من أجله العمارة المعروفة اليوم بـ « القصر العباسي » في قلعة وزارة الدفاع ببغداد . وكل ما ثبت للباحثين أن « القصر العباسي » المذكور بناية عباسية ، تدل آثارها الباقية على فخامتها ، وجمالها ، وروعة هندستها ، وزخرفتها . ولم يعرف من أنشأها ، ولا التاريخ الذي انشئت فيه . لأنه لم يتسن للعلماء ، والباحثين الوقوف على التفاصيل الضرورية التي تمكنهم من معرفة حقيقتها ، وماهيتها لندور المراجع التاريخية عن بغداد في العصور المتأخرة .

وسنحاول في هذا البحث ان نثبت بصورة قطعية ، انها كانت احدى مدارس بغداد في أواخر الدولة العباسية . وأنها ليست قصراً من قصورها ، ولا داراً من دورها . أما اسمها واسم بانيها فأننا نسترجع أن تكون « المدرسة الشراية » التي أنشأها « أقبال الشرايبي » احد كبار رجال المستنصر بالله العباسي . لكننا سوف لا نبت في هذا الرأي ، ولا نقطع به . وسنترك للباحثين البحث فيه ، حين يتوافر عندهم ما يساعدهم على معرفة ذلك .

ان هذه البناية تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من قلعة وزارة

الدفاع الحالية ، يفصل بينها وبين بناية وزارة الدفاع الحديثة جامع القلعة الذى تشير وقفته المؤرخة فى سنة ١٠٤٨هـ (١٦٤٨م) الى انه كان يقع فى محلة السكة خانة<sup>(١)</sup> والذى يرجح انه جامع سوق السلطان الذى بناه الناصر لدين الله العباسى كما سنذكره فى حينه .

وقد مرت هذه العمارة بأدوار مختلفة منذ أواخر أيام العباسيين حتى اليوم . ومما لاشك فيه أنها اتخذت معهدا علميا للتدريس ، ودار علم للكتب ، رَدَّحًا من الزمن ، وتقلبت بها الاحوال فى أيام المغول ، والتركمان ، ومن جاء بعدهم . ثم اتخذت فى العهد العثمانى لاغراض عسكرية ، وبذلك نسي الناس ما كانت عليه هذه البناية ، لاسيما وان الدخول الى « القلعة » المذكورة لم يكن سهلاً يومئذ باعتبارها مركزا عسكريا . وقد شيد العثمانيون بصلتها برجاً كبيراً ولعل ذلك قد تم بعد شيوع استعمال المدافع ، والآلات النارية<sup>(٢)</sup> . كما اضيف اليه فى ذلك العهد أيضاً مخازن ، وغرف ، وقبب عديدة . وقد أثرت هذه الاضافات على العمارة المذكورة فشوهت معالمها الى حد بعيد . وعندما عازمت مديرية الآثار العامة على دراسة هذا الاثر التاريخى الاسلامى القيم ، عمدت الى هدم جميع الاقسام المستحدثة ، عدا البرج العسكرى نظراً لانه كان مستقلاً عن هذه العمارة ، ولم يشوه أو يغير شيئاً من معالمها ، ولا تخطيطها أو هندستها . وكان من جملة ما هدمته مديرية الآثار العامة ، قبة كبيرة كانت على المدخل الرئيس لهذه البناية ، مما يلى جهة النهر . وقد هدمتها مع جدرانها التى كانت ترتكز عليها . وكان من نتائج هذا الهدم ظهور هذا المدخل الرئيس مما يلى دجلة ، وبذلك انجلى جانب مهم من ذلك الغموض الذى كان يكتنف هذا الاثر التاريخى الجليل ، حيث ظهر بوضوح كيفية الدخول الى هذه البناية ، والانتقال من « المجاز » أو « المابين » كما سمته

(١) راجع كتابنا تاريخ علماء المستنصرية ص : ٥ - م .

(٢) بقايا القصر العباسى ص : ٥٥ .

مديرية الآثار الى القاعات الكبرى ، أو الى الرواق الذى كان يحيط بالصحن ، ثم الوصول الى الايوان ، الذى يعتبر أروع أقسام هذه البناية ، والى بقية أجزائها الاخرى •

وقد عُنيت مديرية الآثار العامة بدراستها ، وترميمها وصيانتها على عهد مديرها السابق أستاذنا العلامة ساطع الحصرى سنة ١٩٣٤م • وقد تمكنت منذ ذلك الوقت ، بما بذلته من جهود مشكورة حتى اليوم ان تعيد أكثر أقسام هذه البناية الى أصلها الذى انشئت عليه أول مرة ، من حيث التخطيط ، والزخرفة • واتخذت منها متحفا للآثار العربية •

ولما لم يهتد حتى اليوم أحد من العلماء المحققين المعنيين بالآثار العربية ، الى معرفة حقيقة هذه البناية معرفة أكيدة ، فقد عزمْتُ على دراستها دراسة فنية ، ومقارنتها بالمباني الاثرية المشابهة لها فى العراق ، للوصول الى نتيجة حاسمة تقرر ماهيتها وحقيقتها •

وسأستعرض الآراء المختلفة ، التى توصل اليها الباحثون قبل أن ابدأ بتفصيل رأيي الذى نشرته مجملًا قبل ١٤ سنة فى مجلة التقيض •

لقد رأت مديرية الآثار القديمة فى نشرتها التى نشرتها عام ١٩٣٥م تحت عنوان « بقايا القصر العباسى فى قلعة بغداد » أنها كانت أحد القصور العباسية<sup>(١)</sup> • وكان المرحوم يعقوب سر كيس يرى انها « دار المسناة » التى بناها الناصر لدين الله العباسى • وقد ذكر انه كان « أول من أبان ان اسم هذا البناء هو دار المسناة » فى مقال كتبه قبل ثلاثين سنة فى مجلة لغة العرب<sup>(٢)</sup> وقد ذهب هذا المذهب زميلنا الدكتور مصطفى جواد ونشر عنها بحوثا ضافية كما سبق للاستاذ المهندس « هنرى فيوليه » الفرنسى الذى استقدمه ناظم باشا والى بغداد سنة ١٩١٠م لتجميل بغداد وتنظيم هندستها ان اشار فى بحثه عن الرياضة الاسلامية الى زخارف « القصر العباسى » فظن

---

(١) بقايا القصر العباسى ص : ١ •

(٢) راجع مباحث عراقية - القسم الثانى ص ١

انها من الجبس وهو الكلس « Stuc » <sup>(١)</sup> . وقد اثبت له عندما زرته بباريس سنة ١٩٣٨م ان في « القصر العباسي » وفي المدرستين : المستنصرية والمرجانية زخارف كلها من الآجر ، وهي محفورة بعناية بالغة ، ومنقوشة بنقوش زهرية أو هندسية بدیعة . وذكرت له انها غير مصبوبة في قوالب ، بل رسمت على الآجر المطبوخ أو المفخور بالنار ، ثم حفرت بعد ذلك ، وزينت بها جبهات العماثر ، وسقفوها . وقد ذكر هذه البناية استاذنا لويس ماسينيون المستشرق الفرنسي <sup>(٢)</sup> . ونشر الجنرال دي بيليه De Beylié صورتين للايوان صورهما له المسيو فيوليه المذكور . وفي سنة ١٩٤٠ ناقشت المرحوم يوسف غنيمه مدير الآثار القديمة يومئذ وبعض موظفي مديرية الآثار میناً لهم ان البناية الموصوفة ان هي الا مدرسة وليست قصرأ ولا دارأ . واسترجحت آنذاك ان تكون « المدرسة الشرايية » أو « الشرفية » التي اسسها شرف الدين اقبال الشرايبي في خلافة المستنصر . وقد مالوا الى الاخذ بهذا الرأي . واشاروا الى ذلك في دليل <sup>(٣)</sup> « بناية المتحف الاسلامي أو القصر العباسي » . وعندما نشر الدكتور مصطفى جواد بحثه الفصل الذي أكد فيه ان « القصر العباسي » هو دار المسناة <sup>(٤)</sup> كتبت على أثر ذلك بحثا مفصلا ، اثبت فيه ان « القصر العباسي » مدرسة عباسية ، وليس قصرا عباسيا ، ولا دار المسناة الناصرية . وأيدت هذا الرأي الجديد بالبراهين الفنية ، والادلة التاريخية . وعرضته على أستاذنا الدكتور ناجي الاصيل مدير الآثار العام اذ ذاك لنشره في مجلة سومر ، فرحب بالبحث اشد الترحيب وأوعز بنشره غير أن البحث مع ذلك كله لم ينشر في المجلة المذكورة . ولذلك آثرت نشر خلاصته في

(١) L'architecture Musulmane du XIIIe Siècle en Irak. paris 1913.

(2) Mission en mesopotamie 1907-1908. m. Louis massignon VII. P:84.

(٣) راجع النشرة المذكورة ص : ١ ، المطبوعة سنة ١٩٤٣م .

(٤) مجلة سومر ج : ٢ من السنة الاولى ص : ٦١ - ١٠٥ .



مجلة التفيض التي كنت اشرف على تحريرها<sup>(١)</sup> . وقد ختمت ذلك البحث العلمى بقولى : « وبعد فهذا بحث موجز قائم على أساس من التاريخ والفن ، توخيت فيه معرفة حقيقة البناية العباسية التي فى القلعة . وقد توصلت فيه الى رأي فى هذه البناية المهمة اعرضه فى جملة الآراء التي عرضت حتى الآن للأخذ به ، أو رده ، أو مناقشته حبا فى الوصول الى معرفة حقيقة هذه العمارة » .

ولقد أجريت كثيرا من المناقشات مع المعنيين بمثل هذه الامور ، وبخاصة مع كبار موظفى مديرية الآثار العامة الذين كنت قد زاملتهم ردحا من الزمن فى المديرية المذكورة ، وفى أثناء التنقيبات التي اجريناها فى سامراء ، وواسط بين سنتي ١٩٣٩م و ١٩٤١م . وقد وجدتهم جميعا مقتنعين برأىي هذا وبوجهة نظري فى ان هذه البناية كانت مدرسة عباسية ، ولم يخامرهم شك فى ذلك . وقد اخبرنى السيد ناصر النقشبندى مدير المسكوكات والابحاث الاسلامية فى مديرية الآثار العامة انه نشر بحثا فى مجلة « أهل النفط » بعد بحثي المذكور آنفا بأكثر من عشر سنوات<sup>(٢)</sup> أشار فيه أيضا الى أن هذه البناية « مدرسة » كما اشرت أنا الى ذلك . وفى سنة ١٩٤٨م نشر الاستاذ يعقوب سر كيس كتابه « مباحث عراقية » وكان أول بحث فيه : « القصر العباسى ، دار المسناة » الذى كان منشورا فى جريدة البلاد فى ١١ أيلول سنة ١٩٣٥م . وقد اشار فى الحاشية الى بحثي الذى نشرته فى مجلة التفيض والى وجهة نظرى فى هذه البناية من أنها مدرسة ، وليست قصرا ولا دارا . ثم قال عن نفسه وبحثه عن القصر العباسى : ان الدكتور مصطفى جواد « يعترف بأن هذا الكشف لى » وقال أيضا « وكان الدكتور قد ايدنى عدة مرار قبل كتابته فى سومر » .

ان التحليلات الفنية والتاريخية التي ذكرتها فى مجلة التفيض آنفة الذكر لم تدع مجالا للشك ، فى ان هذه البناية كانت مدرسة

---

(١) راجع العددين ٢٣ و ٢٧ من السنة ١٩٤٦م .

(٢) راجع مجلة أهل النفط العدد (٧١) من سنة ١٩٥٧ ص ٣٦ .

عباسية ، ولم ينكر أحد من الناس دعواي هذه . وأود اليوم ان أزيد على ما ذكرته قبلاً أموراً عدة كلها تثبت أن هذا « القصر العباسي » مدرسة عباسية وليس قصراً عباسياً كما ظنت مديرية الآثار العامة ، ولا دار المسناة الناصرية كما ذهب الى ذلك المرحوم الاستاذ يعقوب سرقيس وأيده الدكتور مصطفى جواد . وسوف لا أكرر ما ذكرته في مجلة التفيض من الملاحظات العديدة على بحث الدكتور مصطفى جواد الذي نشره في مجلة سومر ، والذي بذل فيه جهده وافرغ فيه وسعه ليثبت الدعوى التي ادعاها المرحوم يعقوب سرقيس ، وهي أن القصر العباسي هو دار المسناة التي بناها الناصر لدين الله ، لأنني فدت ذلك تنفيذاً لا يترك مجالاً للشك في أن هذه البناية ليست قصراً ولا داراً وإنما هي مدرسة عباسية<sup>(١)</sup> .

أنا إذا استطعنا أن نقض الآراء القائلة بأن هذه البناية كانت « قصراً » أو دار المسناة الناصرية « بالادلة الفنية وأخرجناها من عداد القصور والدور ، وجب علينا ان نبحت في ما يمكن ان تكون . ولاشك عندنا في انها كانت إحدى مدارس بغداد الكبرى . ويتضح ذلك جلياً من اوجه الشبه بينها وبين مدرستين أخريين هما : المستنصرية ، والمرجانية اللتان نملك عنهما معلومات مفصلة ، تساعدنا الى حد بعيد على اثبات ما ذهبنا اليه ، باعتبار ان المرجانية ، بنيت على غرار النظامية ، وان المستنصرية بنيت لتنافس النظامية ، وان الشبه بين المستنصرية ، وبين بناية « القصر العباسي » قوى جداً مما يدل على ان هذه البناية مدرسة كالمستنصرية والمرجانية . ولذلك نذكر ان هذه المقارنة الفنية بينها وبين المدرستين المذكورتين ، ينبغي ان تكون في

---

(١) مجلة التفيض ج ٢٣ ص ١١ - ١٧ و ج ٢٧ ص ٨١ - ٨٦ .  
وراجع الحوادث الجامعة ص : ١١١ ، ١٣٢ ، ١٨٦ .

## التشابه القوي فى الامور التالية :

- ١- فى المخططات • ٢- فى الابواب والمداخل • ٣- فى الساحات والصحون • ٤- فى الاواوين • ٥- فى المجازات والدهاليز والاروقة •
- ٦- فى القاعات الكبرى • ٧- فى القاعات التى زخرفت رتاجاتها •
- ٨- فى حجوم الحجر والغرف • ٩- فى الزخارف الآجرية • ١٠- فى المساجد التى فى الضلع القبلى فى كل من هذه المباني الثلاثة • ١١- فى طراز التسقيف وطراز الريازة •

لقد ثبت لمديرية الآثار العامة ، مما قامت به من التحريات فى أثناء التنقيب عن الاسس التى اندثرت من هذه البناية ، ان الاسس أصلية لم يظهر فيها أى أثر يدل على النقض • فأجر الاسس والجدران القائمة كلها من نوع واحد ، وحجم واحد ، ولم يظهر ما يدل على اضافة اسس أخرى • كما أنه ليس ثمة أسس ، أو جدران تتعارض مع الاسس القديمة ، كالذى وجدناه واضحا فى جامع الحجاج بواسط ، حيث انشئت ثلاثة جوامع فوق جامع الحجاج ، وفى غيره من المباني التى كانت عرضة للنقض ، والبناء ، والتجديد ، والترميم • وفى هذا دلالة كافية على أنه لم يحدث عليها أى بناء آخر ، مما لا يخامرنا شك فى ان هذا المكان ليس « دار تتر »<sup>(١)</sup> التى نقضها الخليفة المقتفى لأمر الله العباسى سنة ٥٤٧هـ (١١٥٢م) ، والتى انشأ عليها الناصر لدين الله « دار المسناة » كما يذهب الى ذلك الزميل الدكتور « مصطفى جواد »<sup>(٢)</sup> ، وبعبارة أخرى ليست هذه العمارة « دار المسناة » التى انشأها الناصر لدين الله العباسى •

---

(١) هو احد امراء السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى •

(٢) مجلة سومر • الجزء الثانى من السنة الاولى ص ٦١ - ١٠٥ •

ان عدد الحجرات ، والغرف فى الضلع الشرقية من هذه العمارة يبلغ ١٦ غرفة • ويحتمل انه كان يقابلها ١٨ غرفة ، فى طابقى الضلع الغربية كما هو واضح فى المخطط المرقم (١) • وقد نتج هذا التباين فى عدد غرف هتين الضلعين المتناظرين بسبب اتخاذ طرفى الضلع الشرقية مجازين يتصلان بالرواق ، والدهليز • وليس الامر كذلك فى الضلع الغربية • وفى هذه البناية غرف صغيرة أخرى غير التى ذكرناها ، ولذلك يمكن ان يبلغ مجموع ما فى هذه البناية من حجر وغرف ، الاربعين ، ما عدا القاعات الكبرى ، والمنشآت الاخرى •

ان عرض الحجر والغرف بوجه عام لا يتجاوز ٣٢ سم ٢ متر ( مترين واثنين وثلاثين سنتيمترا ) وان طولها ٨٠ سم ٣ متر ( ثلاثة أمتار وثمانون سنتيمترا • واكثرها خال من الكوى ، والمشاكي • ولذلك يمكن أن تتسائل عن الاغراض التى انشئت من اجلها هذه الحجر ، والغرف التى تطل على ساحة واحدة ، أو صحن واحد ، وعلى أروقة مزخرفة ، هل كانت تتخذ لسكنى الخليفة ونسائه ؟ أو أن نساء الخليفة وجواريه كن يستقبلن سيدهن الخليفة فى هذه الغرف الضيقة ، البسيطة ، الخالية من كوى الاضاءة ، والتهوية ، أم أن الغرف الكبيرة التى كان يسكن فيها الخليفة الناصر لدين الله ، ونسأؤه ، وحاشيته ، وأهل بيته قد نقضت ، وبني مكانها هذه الغرف الصغيرة • وللوصول الى الجواب الصحيح ينبغى علينا ان نبحث فى أمرين اثنين اولهما : هل هذه الغرف اصلية أم محدثة ؟ وثانيهما : هل يوجد مثل هذه الغرف فى قصور الخلفاء فى بغداد ، وسامراء ، اتخذت مساكن للخلفاء ، ونسائهم وجواريهم ، أم لا ؟

ان التحريات ، والتنقيبات التى اجرتها مديرية الآثار فى هذه البناية ، تدل على أن الغرف الصغيرة فى الطبقتين العليا ، والسفلى ، والايوان ،

والمحازات ، والاروقة ، والدهاليز ، والقاعات الكبرى ، والمدخل ، والزخرفة على اختلافها هي من المباني الاصلية كما اسلفنا ، بنيت حين وضعت تصاميم هذه البناية ، وليست من المباني التي استحدثت بعد ذلك لاتصال الزخرفة ، وتناسق الدعائم ، والجدران ، وانسجام بقية المرافق الاخرى . ويهمنا في بحثنا هذا ان نثبت للقارىء ان الغرف الصغيرة المذكورة بنيت في أول الامر بهذا الحجم الصغير كغرف المستنصرية ، والمرجانية . واذا كانت غرف المستنصرية التي تكبرها شيئا قليلا قد اتخذت بيوتا للطلاب فمن الاولى والاقترب الى الواقع ان تكون غرف « القصر العباسي » بيوتا للطلاب أيضا . ولا بد ان نقرر أيضا ان هذه الغرف الصغيرة تختلف اختلافا كبيرا عن تلك الغرف الواسعة التي وجدناها في أثناء التنقيب في سامراء ، تلك الغرف المبلطة بالآجر المزجج ، أو القاشاني المعرق ، المؤزرة بالرخام المقوف ، المطعمة جدرانها بانسياساء ، المموهة سقوفها بماء الذهب ، المحلاة بشبابيك الزجاج ذي الالوان المختلفة ، المزينة بالمشاكي الجميلة من الجبس أو الجص .

اين هذه البناية المظنون انها قصر أو دار المسناة الناصرية ، من المباني الواسعة ، والقصور الفخمة في سامراء وواسط ، وبغداد . ان التتقيات التي أجريناها في سامراء سنة ١٩٤١م في الموسم الخامس في دور العائمة ، ودور القواد ، ودار الخلافة ، وقصور الخلفاء ، وابنائهم وامرائهم قد دلت على وجود حجر ، وغرف أوسع بكثير من الحجر والغرف التي اشتملت عليها البناية المدعوة خطأ بـ « القصر العباسي » بل اننا لم نجد تقريبا بين الغرف في دور السكنى على كثرتها غرفة واحدة عرضها كعرض هذه الغرف سواء كان ذلك في دار الخلافة في سامراء أو بيت « الامام » الواقع بلصق الضلع الجنوبية للجامع المتوكل المعروف بجامع « ابي دلف » اليوم ، أو في قصر « الحويصلات » . ولا في الاقسام التي بنيت على الطراز الحيري ذي الصدر

والكُمَيْن<sup>(١)</sup> فى كثير من دور السكنى فى سامراء • ولا فى دور القواد والامراء التى بنيت على جانبى الشارع الاعظم الذى كان عرضه مئة متر ، فالغرف فيها مزخرفة وواسعة كأنها القاعات الفسيحة • وقد وجدنا فى أثناء التنقيبات فى احد دور الشارع الاعظم بهواً فخماً يتكون من ٥ حجرات x ٥ حجرات أكثرها مزخرف ، تنفتح على بعضها ، وتكون منظراً خلاباً • اما فى بيت الخليفة ، وقصر المعتز الذى يسميه أهل سامراء ( المنقور ) ، والمعشوق ، والجعفري ، والقصور الاخرى فالغرف فيها عديدة جداً وواسعة جداً ، ومزخرفة بأنواع الزخارف الرخامية ، أو الجصية أو الجبسية وبالفسيفساء ، والآجر المزجج • هذا فى سامراء قبل رجوع الخلفاء الى بغداد • ولا نشك مطلقاً فى ان غرف القصور البغدادية ، كقصر الذهب أبواب الذهب ، والخلد ، والقرار ، وقصور البرامكة ، والتاج ، والفردوس ، والثريا ، والحسنى ، والدار المعزية ، ودار المسناة كانت أعظم بهاء ، وسعة من تلك الغرف • فالأخبار متواترة ومتظافرة عن سعة هذه القصور ، وجمال مشتملاتها •

ويكفى للدلالة على ذلك ان تذكر ان طول سور « المنقور » وهو الذى بناه المتوكل لابنه المعتز يبلغ ١٢٠٠ متر ، ومساحته تزيد على ثلاثة أضعاف مدينة سامراء الحالية • واطلال قصر المتوكل المعروف بالجعفرى كأنها مدينة قائمة بذاتها • وبيت الخليفة أو دار الخلافة تبلغ مساحتها نحو ٨٠٠ x ٩٠٠

(١) الحيرى • نسبة الى الحيرة • قال المسعودى : ( وأحدث المتوكل فى أيامه بناءً لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيرى والكمين والاروقة وذلك ان بعض سماره حدثه فى بعض الليالى ان بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بنى نصر احدث بنيانا فى دار قراره وهى الحيرة على صورة الحرب ، وهياتها للهجته بها ، وميله نحوها لثلا يغيب عنه ذكرها فى سائر أحواله ، فكان الرواق مجلس الملك وهو الصدر ، والكمان ميمنة وميسرة • ويكون فى البيتين اللذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه • وفى اليمين منهما خزانة الكسوة ، وفى الشمال ما احتيج اليه من الشراب • والرواق قد عم فضاؤه الصدر ، والكمين ، والابواب الثلاثة على الرواق • فسمى هذا البنيان الى هذا الوقت بالحيرى والكمين اضافة الى الحيرة • واتبع الناس المتوكل فى ذلك ائتماماً بفضله ، واشتهر الى هذه الغاية )

• متر • وطول بناية المشوق الداخلية ١٣١ مترا وعرضها ٩٦ مترا • وبين هذه البناية وسورها الخارج مبانٍ فرعية عديدة<sup>(١)</sup> • اما في بغداد فقد روى ياقوت الحموي ان قصر عيسى بن علي عم المنصور بالجانب الغربي كان يسكنه أربعة آلاف نفس<sup>(٢)</sup> • وسمي قصر المنصور بالخلد تشبيهاً له بجثة الخلد لما يحويه من كل منظر رائع<sup>(٣)</sup> • واما الثريا قصر المعتضد بالله فكان نهر موسى الآخذ من نهر ( بَيْن ) يدخله ، ويدور فيه ، ويخرج منه • وأما نهر المعلي فكان يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ، ويصب في دجلة • وكان نهر آخر يدخل القصر الحسني ، ويدور فيه ، ويصب في دجلة • وكان نهر المهدي يصب في بركة في جوف قصر الرصافة<sup>(٤)</sup> •

فأين اذن هذا البناء الصغير ، وغرفته الضيقة من هذه القصور العظيمة ؟ ولأى الامور كانت تستخدم هذه الغرف الصغيرة العديدة الموجودة في ما يسمى بـ « القصر العباسي » اليوم ؟ • وللإجابة على هذا السؤال ينبغي ان نقارن بين هذه البناية وبين المستنصرية والمرجانية لعلنا نظفر عندهما بالجواب الذي يكشف لنا عن حقيقتها • ان التشابه بين هذه البناية وبين المدرستين : المستنصرية ، والمرجانية قوى وشديد بحيث لا يترك مجالاً للشك في ان « القصر العباسي » كان مدرسة عباسية • واليك اوجه الشبه في الامور التالية :

١ - مخطط « القصر العباسي » ومقارنته بمخطط المستنصرية والمرجانية • ان هذا المخطط قريب الشبه جداً بمخطط مدرستين معروفتين هما : المستنصرية والمرجانية • ففي الضلع القبلي في كل من هذه العمارات الثلاث : أ - مسجد أو جامع • وقبالة الجامع ايوان فخيم في كل من « القصر العباسي » والمرجانية • اما جامع المستنصرية فيقابل ايوان المدخل الفخم ، الرفيع ، المزخرف • ب - في البنايات الثلاث حجرات وغرف عديدة في

(١) سامراء - نشرة مديرية الآثار سنة ١٩٤٠

(٢) معجم البلدان ٨٤ ص ١١٨ •

(٣) الخطيب البغدادي ١ : ٧٥ •

(٤) الخطيب البغدادي ١ : ١١٤ - ١١٥ •



الطابقين عدا الضلع القبلي حيث المسجد أو الجامع • ج - فى البنايات  
الثلاث سلالم فى الطابقين يصعد بها من الصحن الى الطابق الثانى والى أعلى  
السطح يظهر منها أربعة سلالم فى المرجانية وستة فى المستنصرية واثنان  
فى « القصر العباسى » تبدو آثارهما فى الغرفتين الواقعتين على طرفى الايوان •  
ولا شك فى أنه كانت فيه سلالم أخرى مما يلي الجامع أو فى أمكنة أخرى  
غيرها •

## ٢ - الابواب والمداخل :

ان الباب الرئيس فى المستنصرية مدخل رفيع مزخرف أعلاه  
وجانباه من الخارج بزخارف رائعة ، وكانت عليه كتابة آجرية بالخط  
النسخى ، محشاة بزخارف آجرية فى منتهى الذوق • والباب يفضى الى مجاز  
معقود عال ، مزخرف ، على هيئة الاواوين الكبرى • وفى المرجانية باب  
عال أيضا فوقه كتابة ، مزخرفة ، كما زخرف أعلاه ، وجانباه أيضا ، وجهته  
المطلّة على الصحن • والباب يفضى الى مجاز معقود يتصل بمشتملات  
المدرسة الأخرى •

وفى « القصر العباسى » باب درست معالم الزخرفة والكتابة التى  
يحتمل أنها كانت على جبهته • وهو يفضى الى مجاز أنيق ، مزخرف سقفه  
وجدراناه بزخارف آجرية جميلة للغاية • وفيه دكات يظهر انها كانت  
للبوابين والفراشين ولذلك فان هذا المدخل أخرى ان يكون مدخل مدرسة  
من ان يكون مدخل قصر أو دار • وهذا المدخل يتصل بالمسجد ،  
والصحن ، والدهليز ، والرواق •

ان هذه الابواب الثلاثة فى هذه المدارس الثلاث تشابه من جميع  
الوجوه الا فى أمر واحد هو ان فى باب المدرسة المرجانية اليوم مثذنة قائمة فى  
الركن الأيسر منه • وليس الامر كذلك فى المستنصرية و « القصر  
العباسى » وينبغى ان يلاحظ ان هذه المثذنة مستحدثة ويحتمل ان سليمان  
باشا والى بغداد بناها فى سنة ١٢٠٠ هـ حينما وسع المصلى وجعل من  
المدرسة جامعا •

ويظهر ان المعمار الذى بنى بناية « القصر العباسى » كان أدق من



غيره حين جعل المجاز وما يتصل به من الاروقة والدهاليز متصلة ببعضها ، لتقي الطلاب ، وأرباب هذا المعهد من المطر ، والشمس . وليس الامر كذلك فى المستنصرية لأن مدخلها يفضى الى الصحن مباشرة . وربما استتجنا من ذلك ان هذه البناية قد بنيت فى أثناء بناء المستنصرية أو بعدها وليس قبلها . وأن المعمار الذى اشرف على بنائها استفاد من هذا النقص الملحوظ فى بناية المدرسة المستنصرية فعالجه فى بناية « القصر العباسى » .

### ٣ - الساحات أو الصحنون :

وهى الافنية التى تتشابه فى هذه المباني الثلاثة ، مما يدل على ان بناية « القصر العباسى » كانت مدرسة أيضا ، فالصحن فيها واحد ، وليس ثمة أى احتمال فى تعدد صحنونه أو رحبته . أى انه ليس فيه صحن آخر للحرم . والاحتمال الوحيد ان يكون ذلك فى الحد الاعلى من البناية . وحيث ان الاسس والغرفتين الموجودتين فى هذه الضلع ، وبقايا الجدران الارضية ، والفوقانية لا تزال موجودة حتى هذه الايام ، وحيث ان التناظر يستلزم ان تكون هذه الضلع كالضلع الشرقية المقابلة لها ، باستثناء المجازين ، اللذين فى هذه الضلع الشرقية فاننا نستطيع ان نجزم ان هذه البناية تتكون من ساحة أو رحبة واحدة<sup>(١)</sup> فقط يطل عليها المسجد ، والايوان المقابل له بحجره وغرفه ، كما تطل عليها الحجر ، والغرف التى فى الضلعين الشرقية والغربية . ويتصل الصحن بالاروقة والدهليز .

ان هذا الصحن يشبه تماما صحن المدرسة المرجانية ، وصحن المدرسة المستنصرية اللذين يطل على كل منهما المسجد ، والاواوين . وتتصل به الاروقة والدهاليز ، ومنه يفضى الى بيوت الطلاب .

وتختلف هذه الصحنون بسعتها وشكلها ، ففى كل من « القصر العباسى » والمرجانية صحن مربع تقريبا ، والصحنان رحبتان صغيرتان اذا

---

(١) ترى مديرية الآثار العامة فى نشرتها عن « القصر العباسى » سنة ١٩٣٥ ان القصر كان مؤلفا من عدة احواش وليس الامر كذلك لانه ليس لدينا ما يدل على هذا الامر .

قيستا بصحن المدرسة المستنصرية ، علاوة على ان المستنصرية بالنظر لسعتها وكثرة طلابها ، وتعدد أقسامها العلمية ، كان فيها فيما يظهر أكثر من صحن واحد . فمدرسة الفقه كان لها صحن كبير هو الرحبة الباقية حتى اليوم وتبلغ مساحتها « ٦٢٦٠ مترا × ٢٦٧٥ متراً » . ودار القرآن ، كان لها صحن فيه اليوم جامع الآصفية . ومما يدل على ذلك فتحة الايوان الذى فى دار القرآن . وربما كان لمبانيها الاخرى التى كانت تجاورها أو تصاحبها ساحة أخرى درست معالمها .

ويمكن ان نقارن بين هذه الصحنون فى هذه البنايات الثلاث . فصحن « القصر العباسى » مربع تقريبا ، طوله (٢١٥) واحد وعشرون مترا ونصف المتر . وعرضه (٢٠) عشرون مترا .  
واما المدرسة المرجانية ، فصحنها مربع أيضا طوله نحو (٢٣) مترا ، وعرضه مثل ذلك .

#### ٤ - الاواوين :

ويمكننا ان نعرف الايوان بأنه طاق كبير عال مدبب العقادة يشبه قاعة كبيرة . يبنى فى صدر احدى الاضلاع فى المبنى الكبرى ، كالمدارس أو دور الخلافة أو القصور . والايوان فى هذه العمارات يقابل الصدر فى الطراز الحيرى ذى الصدر والكميّن . ويكون عادة مفتوحا على الصحن من جهته الامامية ، ويعرف فى العراق باسم « الليوان » . ومنه ايوان كسرى فى المدائن « سلمان باك اليوم » . وقد يتخذ للتدريس ، والاحتفالات . وفى المدرسة المستنصرية اليوم أواوين عظيمة منها : ايوان دار القرآن . وايوان الشافعية . وايوان الحنفية . وايوان المدخل . وعقود عديدة تمثل بعض الاواوين الصغيرة . والاواوين الكبرى فى هذه المدرسة تشبه تماما الايوان الموجود حاليا فى بناية « القصر العباسى » من حيث طراز البناء ، والسعة ، والزخرفة ، والمتانة . ومثل ذلك يقال عن ايوان المدرسة المرجانية الفخم الذى كان يتميز بوجود كتابة فيه تحيط بها الزخرفة .

ان السقف فى ايوان « القصر العباسى » بيضى الشكل ، ومزين

بزخارف تبدأ من علو ثلاثة أمتار ونصف المتر • وقد جعلت كذلك ثلاثا  
تمسها الأيدي فتلفها • والقسم المزخرف من الجدران يبرز عن أقسام الجدران  
السفلى على هيئة أفريز جميل • والقسم الامامى من الايوان مزدان بنطاق  
من الزخارف تزيد فى جمال الايوان • ويلاحظ ان هذا النطاق الزخرفى  
الامامى ينزل الى ما تحت مستوى الأفريز الذى فى داخل الايوان • ويتصل  
بطاقتين صغيرين يعلوان العقدتين الجانبيين الواقعين فى طرفى الايوان • اما  
اواوين المستنصرية فتشبه هذا الايوان من حيث الشكل ، والسعة ،  
والارتفاع ، وتنوع الزخرفة ، وارتفاعها عن الارض • وكانت  
الزخرفة واضحة فى ايوان الحنفية وضوحا تاما عندما اثبتنا فى  
مقالنا الذى نشرناه فى مجلة التفيض سنة ١٩٤٦م ان « القصر  
العباسى » مدرسة وليس قصرا ولا دارا • ولم تكن الزخارف يومئذ  
واضحة فى ايوان الشافعية الذى يقابله ، ولا فى المدخل ولذلك قلنا :  
« اما زخارف الاواوين الاخرى فيظهر ان بعضها مستور تحت طبقة  
التيض » • ولقد صدق حدسنا فقد ازيل الجص عن زخارف الايوان  
الشافعى ، وعن ايوان المدخل • وظهرت زخارف رائعة جدا لا تقل روعة  
عن زخارف ايوان « القصر العباسى » ، بل تماثلها من حيث الاتقان ،  
 والتنوع • ان ايوان « القصر العباسى » واواوين المستنصرية وايوان المدرسة  
المرجانية بهيأتها وارتفاعها توازى الطبقتين وتشابه حتى فى حجومها فسمك  
الايوان فى القصر العباسى أكثر من تسعة أمتار ، وطوله ثمانية أمتار ونصف  
المتر وعرضه نحو خمسة أمتار ، وسمك الايوان فى المستنصرية أكثر من  
تسعة أمتار وعرضه ستة أمتار • ومثل ذلك يقال عن ايوان المدرسة  
المرجانية •

#### ٥ - المجازات والدهاليز :

فى الضلع الشرقية لكلتا العمارتين مجازان متشابهان ،  
يفضيان الى دهليز طويل شاهق ، ذى كوى سقفية ،  
ممتد من وراء الحجرات • طوله فى « القصر العباسى » ٢٦٧٠ مترا •  
وعرضه ١٢٨ • وسمكه أو ارتفاعه ٩٢٠ ، وطوله فى المستنصرية

٣٤٦٠ • وعرضه ١٤٠ • وسمكه تسعة أمتار • والدهليزان متشابهان  
تشابها تاما • وحيث ان المستنصرية أوسع من المدرسة التي في « القصر  
العباسي » والتي نرى أنها « المدرسة الشراية » لذلك نجد فيها دهاليز أخرى  
قصيرة على هذا النسق ، كالدھليز الذي يقع خلف القاعتين الكبيرتين  
الواقعتين مما يلي ربع المالكية • الخ • ( راجع صور الدهاليز ) •

## ٦ - القاعات الكبرى :

وفي كل من هذين الدهاليز أبواب تفضي الى قاعات  
كبرى عددها سبعة في المستنصرية ، وخمسة في « القصر  
العباسي » [ الشراية ] وهذه القاعات متشابهة تشابها غريبا في التخطيط ،  
والارتفاع ، والحجوم تقريبا • وكذلك في الكوى السقفية ، والمنافذ  
الهوائية ، وهي « الملاقف » التي تسمى عندنا « بادكيرات » • وأرى ان  
هذه القاعات كان بعضها للتدريس ولرجال الادارة ، وبعضها الآخر كان لحزن  
الكتب • فان (أ) و(ب) و(ج) و(د) في المستنصرية كانت للتدريس وكل واحدة  
منها تتسع ل ٦٢ طالبا • وان (هـ) للناظر في مصالح المستنصرية • وان (و) إما  
ان تكون لجلوس المدرسين أو للموظفين التابعين للناظر كالمشرف والكتاب •  
وكذلك يمكن ان يقال عن قاعات المدرسة الشراية انها بنيت لنفس الغرض الذي  
استعملت من اجله القاعات الكبيرة في المستنصرية فان ق ٥ كانت للتدريس وهي  
تسع ل ٢٥ طالبا وهم الطلاب الذين كانوا في المدرسة الشراية اذ ان مساحتها  
٨٨٠ × ٤٢٠ • واما ق ٤ و ق ٣ وهما تفتحان على بعضهما ويفضي اليهما  
من الدهليز ، من مدخل واحد ، فنرجح انهما كانتا لخزانة الكتب • وهما  
تشبهان القاعتين اللتين في المستنصرية واللتين قلنا ان من المحتمل انهما كانتا  
محل خزانة الكتب المستنصرية • وهما تفتحان على بعضهما ويدخل اليهما  
من صحن المدرسة كما انهما تشبهان قاعتين اخريين في الضلع الشرقية يدخل  
اليهما من الدهليز الكبير ومن الدهليز الجانبي الصغير ، وهما تفتحان على  
بعضهما أيضا • وحجم هاتين القاعتين ق ٤ يبلغ ٦٥٨ × ٥٢١ ومساحة ق ٣  
تبلغ ٦٥٨ × ٤٦٥ • وارتفاع كل واحدة من هذه القاعات نحو تسعة

أمتار . واما القاعة ق ١ فترى انها غرفة الناظر فى مصالح المدرسة . ومساحتها ٢٠م × ٢٠م ٥ متر واما القاعة ق ٢ فمن المحتمل ان تكون لجلوس المدرسين وهى أكبر قليلا من غرفة الناظر . والقاعتان ق ١ و ق ٢ تشابهان الى حد كبير مع قاعتى المدرسة المستنصرية ه ، و . لاحظ المخطط .

#### ٧ - غرفة الناظر :

ان ق ١ أول قاعة من قاعات « القصر العباسى » فى الضلع الشرقية مزخرف رتاجها ، أى أعلى بابها بزخارف آجرية جميلة جدا كما انه يوجد فى الضلع الشرقية من المستنصرية قاعة على الدهليز الكبير تشبه القاعة المذكورة هى الوحيدة بين قاعات المستنصرية فى الضلع المذكورة مزخرف رتاجها بزخارف آجرية أيضا . مما يدل على انها كانتا تستعملان لغرض واحد . فاذا كانت تستعمل فى المستنصرية للوالى أو للناظر فى مصالحها فلا شك ان الثانية كانت تستعمل لنفس الغرض . ويلاحظ ان كلا من القاعتين المذكورتين تطل على مجاز يفضى الى صحن المدرسة .

#### ٨ - الحجر والغرف :

فى القصر العباسى حجرات وغرف صغيرة فى الطابقين على طرفى الايوان وفى الاضلاع الاخرى ، ذكرنا ان عددها قد يناهز الاربعين . وفى المستنصرية نحو ١٠٠ من هذه الحجر والغرف عدا القاعات الكبرى ، والاواوين ، والمسجد . . . وعرض الغرف الصغيرة فى الطبقة السفلى ٤٢ سم / ٢ متر . وطولها سبعة أمتار . وعرضها فى الطبقة العليا ٤٢ سم / ٢ متر أيضا . وطولها ٣٢ سم ٥ متر . وتقع هذه الغرف على جوانب الاواوين المذكورة فى الاضلاع الاربع . فاذا كانت غرف المستنصرية التى رأيت سعتها قد اتخذت بيوتا للطلاب فمن الاولى ان تكون غرف « القصر العباسى - بيوتا للطلاب أيضا .

## ٩ - الزخارف الآجرية :

ان الزخارف في « القصر العباسي » وفي المستنصرية ، والمرجانية تتشابه الى حد بعيد في الكمية ، والتنوعية فلقد يخيل للناظر الى هذه الزخرفة انها حقول واسعة من الوشى والتزويق يكاد لا يخلو منها مكان في كل واحدة من هذه العمارات المهمة . ويظهر ذلك جليا بعد العثور على تلك الثروة الزخرفية في المدرسة المرجانية التي كانت مستورة تحت طبقة من الجص منذ العهد العثماني . كما ان الزخارف التي ظهرت في باب المستنصرية ، وايوان المدخل والايوان الشافعي تدل على ان هذه الزخارف الآجرية تمتاز بتنوعها ووفرتها . ولقد كان يظن ان زخارف « القصر العباسي » لا مثيل لها من حيث الدقة والكثرة<sup>(١)</sup> فلما كشف عن زخارف المستنصرية ، وزخارف المدرسة المرجانية التي كانت مستورة تحت الجص في المصلى ثبت لنا ان هذه الزخارف من طرز ممتاز ، وانها تتشابه تشابها تاما مما يدل على ان « القصر العباسي » كان قد بنى مدرسة منذ الاساس .

لقد ظن بعض العلماء كما أسلفنا ومنهم (هنرى فوليه) الفرنسى ان هذه الزخارف مصنوعة من الكلس (Stuc) بواسطة قوالب ، غير أن العراقيين يدركون تماما خطأ هذا الظن لانهم لا يزالون يستعملون الزخارف الآجرية وبخاصة المقرنصات Stalactites في مبانيهم الخاصة ، والعامه لاسيما في الجوامع والمآذن .

ان زخارف هذه العمارات الثلاث سواء كانت في السقوف ، أو الجدران أو المقرنصات التي في الاروقة تتألف من قطع من الآجر محفورة ، ومنقوشة . وبتراصها أو غرزها في الجدران ، والسقوف تتكون أشكال هندسية أو زهرية . كما ان بعض الزخارف تتكون من خليط من الاشكال الهندسية والزهرية في آن واحد . وأن الزخارف الهندسية كل جزء من أجزائها مزخرف أيضا بنقوش إما هندسية ، وإما زهرية .

(١) بقايا القصر العباسي ص ٢٣ .

ويلاحظ ان أكثر الزخارف فى هذه المباني الثلاثة تتكون من قطع من  
الآجر المزخرف يلتحم مع بعضه بواسطة قطع آجرية رقيقة تقع زخرفها على  
جزئها السميكة ، وليس على سطحها العريض . وقد يرى ان حافات هذه  
القطع الرقيقة كثيرا ما تبرز عن سطوح القطع التى تقع بينها وبذلك تكون  
الزخارف ذات نتوآت كثيرة تزيدها جمالا .

ويلاحظ أيضا ان هذه القطع الرقيقة تكون فى بعض الاماكن منحنية  
السطوح تقع زخارفها على سطوحها المقعرة . ونتيجة تلاصقها وتراسفها  
يتكون منها مقرنصات ، وقبب مزخرفة فى غاية الاتقان ، والجمال .

وقد يظهر للباحث فى الزخارف ان أجمل الزخارف تظهر فى مجاز  
« القصر العباسى » ( المابين ) ورواقه ، وزواياه ، وفى الايوان . كما انها تظهر  
بشكلها الرائع فى باب المستنصرية ، وصحنها واواوينها . اما دار القرآن المتصلة  
بالمستنصرية فى الحد الأعلى منها فقد قال ابن الساعى عنها : « لم ير مثلها  
احد ، وليس لادراك وصفها أمد »<sup>(١)</sup> . ولا عجب فان المؤرخين المسلمين  
اجمعوا على ان المستنصرية لم يكن لها نظير فى العالم ، كما انه لم يكن  
مثلها ، قبلها ، ولا بعدها . ويظهر ان مدارس بغداد كانت كلها تحظى بمثل  
هذه العناية الفائقة من الناس . فقد قال ابن جبير يتحدث عن مدارس بغداد  
وعناية القوم بأمرها : « والمدارس بها نحو الثلاثين ، وهى كلها بالشرقية وما  
منها مدرسة الا ويقصر القصر البديع عنها ... ولهذه البلاد فى فى أمر  
هذه المدارس ، والمارستانات شرف عظيم ، وفخر مخلص »<sup>(٢)</sup> . واما الزخارف  
فى المرجانية فقد ظهرت فى المصلى الذى نقل مكانه القديم الى مكان يجاوره  
بغية تعديل استقامة شارع الرشيد سنة ١٩٤٨ م . وكانت من الاتقان  
والبداعة بحيث يمكن مقارنتها من حيث الكثرة ، والتفرع ، والدقة ،

---

(١) راجع كتابنا تاريخ علماء المستنصرية ص ١٨٣ - ١٨٤ .  
(٢) ابن جبير طبعة اوربا ص ٢٢٩ . وطبعة المكتبة العربية ببغداد  
ص ١٨٣ .



بزخارف المستنصرية ، و « القصر العباسي » مما لا يدع مجالا للشك في ان « القصر العباسي » كان مدرسة كالمستنصرية ، وكالمرجانية .

لقد ظهر التنوع والتفنن في الزخرفة في هذه المباني الثلاثة بعد أن ظل المعنيون بالآثار يرون أن زخارف « القصر العباسي » لا مثيل لها في بغداد ، لان التزيينات الهندسية ، والزهرية والزخارف المتكونة من امتزاج هذين النوعين ، ومن التزيينات التي تحاكي السجاد ، والمقرنصات التي تشبه خلايا النحل ، أو الاحجار المنقورة ، والنقوش التي تشبه الاخشاب المحفورة ، كلها تتنوع من ناحية الى أخرى . وفي الناحية الواحدة تنوع من بقعة الى أخرى بصورة عجيبة ، محيرة . كل ذلك حدا بمديرية الآثار ان تعتقد ان هذه الزخارف قد اكسبت هذا « القصر » ! مكانة فنية خاصة فقالت عنه : « غير أنه لا يوجد قصر أو معبد بلغت فيه الزخرفة بواسطة الآجر الى هذا الحد من التنوع ، في الفروع مع البداعة في المجموع »<sup>(١)</sup> . على اننا نرى ان هذا التنوع ، والابداع قد ظهرا في المستنصرية في الباب ، وايوان المدخل . وفي ايوان دار القرآن ، وفي ايوان الشافعية والحفية ورتاجات الحجر والغرف كما ظهر في مصلى المرجانية بشكل لا يقل عن تلك المكانة الفنية الخاصة في « القصر العباسي » وان زخارف هذه المباني الثلاثة تمثل « الدرجة القصوى » التي وصلت اليها زخرفة الرياسة العربية في الآجر مما يدل أيضا على ان هذا « القصر » اتخذ مكانا للتدريس كالمستنصرية والمرجانية .

#### ١٠ - المساجد والمصليات :

وفي القصر العباسي آثار قاعة كبيرة طولها ١٢ر٨ مترا وعرضها ٥٠ سم ٤ أمتار ويزيد ثخن اسسها على المترين تقابل الايوان ، وتطل على الصحن . ونستطيع ان نجزم انها كانت مسجد المدرسة . حيث يصلى الطلاب ، وأرباب هذا الوقف . وهذا المصلى يشبه مصلى المستنصرية الواقع

---

(١) بقايا القصر العباسي ص ٢٩ .



قبالة ايوان المدخل ، ويطل على صحنها ، وقد ظهر محرابه بعد ما كان مستوراً ببعض المبانى المحدثه . كما ان مصلى المدرسة المرجانية يشبه هذين المسجدين الى حد كبير . فهو بارتفاع الطابقين ويتكون سقفه من ثلاث قب . ويقابله ايوان فخم . وفيه كتابات محفورة بين شبكات من الزخرفة الآجرية الزهرية والهندسية .

#### ١١ - طراز التسقيف :

واما طراز التسقيف فى المستنصرية و « القصر العباسى » فهو متماثل تماما بل هو واحد فى البنيتين . فعقادة الايوان فى « القصر العباسى » تشبه تماما عقادة اووين المستنصرية والمرجانية . وتسقيف الدهليز والغرف الصغيرة ، والقاعات الكبرى ، والاروقة لا يختلف مطلقا عما هو فى المستنصرية يضاف الى ذلك ان جميع العقادات فى هاتين البنيتين مبنية اما على الشكل المعروف باسم « الدور » وهو الذى يشبه مقطع نصف البيضة كما يظهر ذلك فى سقوف الاووين ، والمجازات فى كلتا البنيتين . واما على الشكل المعروف بـ « المدنى » الذى يشبه مقطع سلة مسطحة القعر ، مقوسة الجانبين ، كما يظهر ذلك فى سقوف الغرف الصغيرة ، والقاعات الكبيرة فى هاتين البنيتين . وينبغى ان يلاحظ :

١ - ان طاق الايوان فى « القصر العباسى » يعتبر أكبر طاق معقود على الطراز الاول . والسقف قائم على جدارين تبلغ المسافة بينهما خمسة أمتار . اما طوق اووين المستنصرية فتعتبر أكبر الطوق المعقودة على الطراز الاول أيضا وتبلغ المسافة بين جداري الايوان ستة أمتار .

٢ - ويلاحظ أيضا ان أكبر سقوف القاعات الكبرى المعقودة على الطراز الثانى فى « القصر العباسى » يرى فى القاعة المرقمة (٤) كما يلاحظ ان السقف محمول على جدارين تبلغ المسافة بينهما ٢١ر٥ أمتار . بينما نجد ان أكبر السقوف المعقودة على الطراز نفسه فى المستنصرية فى القاعة المرقمة (ب) فالسقف فيها يعلو جدارين يبعد احدهما عن الآخر ستة أمتار .

٣ - ان عقود الابواب فى كلتا البنيتين تجمع بين الطرازين الاول

والثاني المذكورين لان كل باب يتألف من طابقين ، الخارجى منها على شكل « الدور » والثانى على هيئة « المدنى » (١) .

لم يبق بعد هذا التشابه العام الذى شرحناه ، بين بناية « القصر العباسى » وبين المستنصرية الا ان نذكر الفوارق التى بينهما لنرى انها فوارق لا تستحق الذكر ولا تكون برهاناً على خلاف ما فصلناه من أمر « القصر العباسى » وكونه مدرسة من المدارس العباسية . ويمكن ان نجمل هذه الفوارق فيما يأتى :

أ - فى المساحة . فان المستنصرية كانت أكبر من « القصر العباسى » لانها كانت تضم ٢٤٨ طالباً فى مدرسة الفقه ، و ٣٠ طالباً فى دار القرآن و ١٠ طلاب فى دار الحديث ، و ١٠ فى مدرسة الطب ٠٠٠ الخ واذا كان « القصر العباسى » هو المدرسة الشراعية فانها كانت تضم (٢٥) طالباً فقط . وهذه البناية تكفى لمثل هذا العدد .

ب - فى الرواق . فان رواق المدرسة الشراعية أى بناية « القصر العباسى » رواق مزخرف وهو يتكون من طبقتين ويقع أمام الحجر الصغيرة ، بينها وبين الصحن . اما فى المستنصرية فلا يوجد رواق فى الطابق الاسفل منها بل تفضى الغرف الى الصحن مباشرة . اما فى الطابق الاعلى فثمة رواق امام الغرف فى كل ربع من ارباع المستنصرية الاربعة منه يدخل اليها ومنه يطل على الصحن . وهو فى هذه الحالة يشبه تماماً رواق « القصر العباسى » أيضاً .

مما تقدم يمكننا ان نستنتج ان بناية « القصر العباسى » تشبه الى حد كبير بناية المستنصرية ، وبناية المدرسة المرجانية أى ان « القصر العباسى » اشبه ان يكون مدرسة من أن يكون داراً أو قصرأ فهو يشبه المستنصرية والمرجانية فى الشكل العام ، والتخطيط ، وحجم الغرف ، والمجازات

---

(١) بقايا القصر العباسى ٢١ - ٢٣ .

والدهاليز ، والقاعات الكبرى ، والاروقة ، والسقوف ، والكوى ،  
والزخارف ، والمساجد ، والاواوين ، ومواقع السلام .. الخ فالقصر العباسى  
والحالة هذه لا يمكن ان يكون قصرا ولا دارا بل لا يمكن الا ان يكون  
مدرسة • وايوانه كان محلا للتدريس فى غير فصل الشتاء على مذهب  
واحد • واما فى المستنصرية فكان التدريس على المذاهب الاربعة لان  
المستنصرية أول مدرسة فى العالم الاسلامى جمعت فيها المذاهب الاربعة  
بصورة رسمية •

و « القصر العباسى » بناء على ما تقدم ذكره لا يمكن ان يكون دار  
سكنى للخليفة ، أو لنسائه ، وجواريه ، أو لغيره من الامراء ، والقواد •  
واحرى به بعد التفاصيل والشروح التى سردناها والمقارنة بينه وبين مدرستين  
معروفتين ان يكون هو أيضا مدرسة عامرة بالفقهاء ، وان غرفه الضيقة التى  
هى أصغر من غرف المستنصرية لا تصلح الا لسكنى الطلبة على غرار ما كانت  
عليه الحال فى حجر المستنصرية وغرفها ، وفى حجر المرجانية وغرفها •

## الفصل الثانى

### ١ - موقع المدرسة الشرايية

وبعد أن اثبتنا بالادلة الفنية ، والتاريخية أن بناية « القصر العباسى »  
لا يمكن الا ان تكون مدرسة عباسية ، فانه يلزمنا أن نبذل جهدا آخر ،  
لمعرفة موقع هذه المدرسة ، ومعرفة منشئها •

لقد ظهر لنا فى بحثنا عن مدارس بغداد القديمة<sup>(١)</sup> ان فى البقعة  
المحصورة بين باب المعظم ، ومحلة الميدان الحالية ، وبين نهر دجلة ، والتى  
كان يقع فيها « باب سوق السلطان » وهو « باب المعظم » وسوق العميد ،  
وسوق العجم أربعة من كبريات المدارس التى انشئت فى العصرين : العباسى ،  
والمغولى • وهى : المدرسة النجيبية ، والعلائية ، والزيركية ، والشرايية

(١) مدارس العراق فى عشرة قرون - وهو معد للطبع •

فأما النجبية فهي المنسوبة الى الشيخ ضياء الدين ابى النجيب عبدالقادر السهروردي المتوفى سنة ٥٦٣هـ ولا يزال ضريحه قائما فيها . والمدرسة لا تزال قائمة حتى اليوم<sup>(١)</sup> الى جانب المدرسة السليمانية وجامع النعمانية ، والاعدادية المركزية ، قبالة دار الضباط . وأما المدرسة العلائية وهي مدرسة للحنفية تنسب الى الامير علاء الدين بن عبدالمؤمن التركستاني . ويقال لها الشاطئية ، فقد انشئت على كرسى الجسر العتيق المحاذي للمدرسة النجبية المذكورة آنفا ، في موضع حسن سنة ٦٩٣هـ . وأما المدرسة الزيركية فهي مدرسة للحنفية أيضا . وكانت في سوق العميد الواقعة قبالة سوق السلطان . وقد يبدو لأول وهلة ان « القصر العباسي » قد يكون المدرسة العلائية غير أننا بعد البحث والتحري استرجمنا ان يكون هذا القصر المدرسة الشرايية وهي المدرسة الاقبالية ، أو الشرفية التي اسسها شرف الدين اقبال الشراي . لأن المدرسة العلائية بالرغم من كونها كانت « جميلة البناء ، شاهقة الارجاء » كما يقول ابن الفوطى لا يصح ان تكون هي « القصر العباسي » ولا يمكن ان تدانيه أو تضاهيه من حيث الروعة والجمال بدليل ان ابن الفوطى ذكر انهم ذبحوا لها بقرة تصدقوا بلحمها على الفقراء عند وضع الملبن على الباب<sup>(٢)</sup> . مما يدل على قلة ثروة مؤسسها اذا قيس ذلك بالبدل الذي بذله اقبال الشراي وأغدقه على المدعوين يوم افتتاح مدرسته . مما يجعلنا نستنتج ان الزخارف والمقرنصات التي حفلت بها هذه العمارة التي تعد من آيات الفن الاسلامي . وما انفق عليها من أموال طائلة لا يمكن ان تكون في المدرسة العلائية . ومن المعقول جدا ان يكون هذا البذل والانفاق للشراي على المدرسة الشرايية ، ناهيك بما بذله على عماراته الاخرى في العراق ، والحجاز .

(١) وقد جدد بناؤها سنة ١٩٤٩م . واضفنا اليها مدرسة كبيرة في تلك السنة عندما كنت مديرا لاقواف منطقة بغداد . وجعلت المدرسة متوسطة أول الامر وهي اليوم اعدادية .

(٢) لا تزال هذه العادة متبعة في بغداد وهي ان تذبح ذبيحة وتوزع على الفقراء وعمال البناء عند تركيب باب الدار .

لقد كان الشرايبي اثرا عند المستنصر بالله ويظهر انه كان يتقرب اليه  
والى الناس بخدمة العلم ، والدين ويقوم بالاعمال الجليلة الاخرى كبناء  
المدارس ، والرُّبط ، ووقف الاوقاف الكثيرة عليها . فقد روى  
المؤرخون أنه بنى ببغداد المدرسة الشرايبية ، كما بنى مثلها فى كل من  
واسط مدينة الحجاج . ومكة المكرمة .

اما مدرسته التى ببغداد ، وهى التى تهمنا فى بحثنا هذا فقد بنيت فيما  
ذكره العماد الحنبلى « فى سوق السلطان<sup>(١)</sup> » . وذكر النعمى انها بنيت  
« بسوق العجم من بغداد<sup>(٢)</sup> » وذكر مؤلف الحوادث الجامعة : ان بناءها كان  
« فى سوق العجم بالشارع الاعظم بالقرب من عقد سور سوق السلطان  
[ باب المعظم<sup>(٣)</sup> ] ، مقابل درب للملاحين<sup>(٤)</sup> » وقال أيضا : « وبنى [ الشرايبي ]  
ببغداد مدرسة فى سوق السلطان<sup>(٥)</sup> » .

وذكر ابن النجار ان سوق السلطان كانت قريبة من دجلة فقد جاء  
فى الجواهر المضية<sup>(٦)</sup> ان محمد بن محمد البلخي الزاهد المتوفى ببغداد  
سنة ٦٠٢ هـ قدم بغداد واستوطنها « بسوق السلطان فى مسجد له قريبا من  
دجلة » .

وقد ذكر كثير من المؤرخين ان الذى بنى جامع سوق السلطان هو  
الناصر لدين الله العباسى وقد بناء مقابل سوق العميد ، ويظهر ان المحلة التى  
عرفت بسوق السلطان كانت حول سوق السلطان وهى محلة الميدان<sup>(٧)</sup>  
الحالية . كما يظهر ان معظم هذه السوق قد اندمج فى القلعة .

- 
- (١) شذرات الذهب ج ٥ ص ١٦١ .  
(٢) المدارس فى تاريخ المدارس ج ١ ص ١٥٩ .  
(٣) احد أبواب بغداد الرئيسية وقد هدم سنة ١٩٢٣ م .  
(٤) الحوادث الجامعة ص ٢٤ ، ٣٠٨ .  
(٥) الحوادث الجامعة ص ٣٠٨ .  
(٦) ج ٢ ص ١١٨ .  
(٧) راجع حاشية الدكتور مصطفى جواد فى ص ٣٧ من « تكملة  
اكمال الاكمال » للصابونى وص ١٤٨ من الجامع المختصر لابن الساعى .  
والكتابان من تحقيق الدكتور مصطفى جواد .

فاذا كانت سوق السلطان هي سوق الميدان التي بالقرب من باب المعظم • ومسجد سوق السلطان في اغلب الظن هو جامع القلعة الحالى الذى بناه الناصر لدين الله العباسى ادركنا ان المدرسة الشرايية يحتمل جدا ان تكون هي « القصر العباسى » واذا كانت هذه المدرسة قريبة من درب الملاحين أو مقابل درب الملاحين كما ورد ذلك في الحوادث الجامعة فان درب الملاحين لا بد ان يكون مما يلى دجلة على مقربة من بهو أمانة العاصمة • وهذه المشرعة قريبة جدا من « القصر العباسى » أى انها قريبة جدا من المدرسة الشرايية • على ان الذى يؤيد هذا الرأى ويقويه ان المسافة بين باب « القصر العباسى » وبين نهر دجلة تبلغ نحو ثمانين مترا ، ولذلك فمن المحتمل جدا ان يكون فيها أو على مقربة منها « درب الملاحين » الذى بنيت المدرسة الشرايية قبالة أو على مقربة منه ••

## ٢ - افتتاح المدرسة الشرايية

ويحسن بنا بعد الذى ذكرناه عن هذه المدرسة ان نشير الى افتتاحها والى بعض اخبارها •

ذكر النعمى<sup>(١)</sup> نقلا عن ابن كثير قال : « وقال ابن كثير فى سنة ثمان وعشرين وستمئة : وفيها تكامل بناء المدرسة الاقبالية التى بسوق العجم من بغداد ، المنسوبة الى اقبال الشرايى • وحضر بها الدرس • وكان يوما مشهودا • واجتمع فيها جميع المدرسين ، والمعيدين ببغداد • وعمل بصحنها قباب الحلوى ، فحمل منها الى جميع المدارس والرُّبط • ورتب فيها خمسة وعشرين فقيها لهم الجوامك الدارّة فى كل شهر • والطلعام فى كل يوم • والحلوى فى أوقات المواسم • والفواكه فى زمانها • وخلع على المدرسين ، والمعيدين ، والفقهاء يومئذ • وكان وقفا حسنا ، تقبل الله منه • » وذكر مؤلف الحوادث الجامعة قال : « وفى شوال [ سنة ٦٢٨ هـ ] تكامل بناء المدرسة التى انشأها شرف الدين اقبال الشرايى بسوق العجم ، بالشارع

(١) الدارس فى تاريخ المدارس ص ١٥٩ - ١٦٠ •

الاعظم ، بالقرب من عقد سور سوق السلطان مقابل درب الملاحين ، وكان المتولى لبنائها شمس الدين ابو الازهر أحمد ابن الناقد<sup>(١)</sup> ، وكيل الخليفة المستنصر بالله . وشرط الواقف له النظر فيها وفي اوقافها ثم بعده الى من يلي وكالة الخلافة ، وفتحت في آخر شوال ورتب بها الشيخ تاج الدين محمد ابن الحسن الارموى مدرسا وخلع عليه ، وعلى الفقهاء ، والمعيد وجميع الحاشية ، ومن تولى عمارتها . وحضر جميع المدرسين ، والفقهاء على اختلاف المذاهب . وقاضى القضاة عبدالرحمن بن مقبل ، فجلس في صدر الايوان . وجلس في طرفي الايوان محي الدين محمد بن فضلان . وعماد الدين ابو صالح نصر بن عبدالرزاق بن عبدالقادر فكلاهما كان قاضى قضاة . وعمل من أنواع الاطعمة ، والحلواء ، ما تعبى في صحنها قبابا ، وحمل من ذلك الى جميع المدارس والاربطة ، وقرئت الختمة ، وتكلم الشيخ محمد الواعظ ، ثم جلس المدرس بعده ، وذكر دروسا أربعة فأعرب عن غزارة فضله ، وتوسع علمه<sup>(٢)</sup> . وجاء في الحوادث الجامعة أيضا ان الشيخ تاج الدين محمد ابن الحسن الارموى مدرس الشرفية المذكور توفي في سنة ٦٥٣هـ وقد جاوز عمره ثمانين سنة قال : « وكان وحيد عصره فضلا ، وفريد داره علما . قرأ على الامام فخر الدين الرازي وصحبه ، وكان متواضعا لمن دونه ، مترفعا على من فوقه ، وكان عريض النعمة ، واسع الجاه بوجود الشرابي ، يستكثر من الممالك الحسان الترك وغيرهم . وكان اهل بغداد يتحدثون فيه ، فلا يعبأ بحديثهم ولا يكثرث لذلك . حكى عنه بعض أصحابه قال : قلت له يوما : ان الناس قد

(١) نصيرالدين ابو الازهر من كبار رجال العرب العلويين ، ولى وكالة ام الخليفة الناصر في وقوفها ، فلما ولى الظاهر وكله لاولاده العشرة . فلما ولى المستنصر احضره يوم مبايعته ، واشهد له بوكالاته ، واضيفت له استاذية الدار سنة ٦٢٧هـ ثم نقل الى الوزارة سنة ٦٢٦هـ والوكالة باقية عليه . مولده في شوال سنة ٥٧١هـ ووفاته ٦ شهر ربيع الاول سنة ٦٤٣هـ ودفن في السكاظمية .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٤ - ٢٥ . وراجع تاريخ علماء المستنصرية ١١٢ ، ١١٦ ، ٣٠ عن ابن مقبل وابن فضلان وابي صالح الجيلي .



اكثروا القول في هؤلاء الممالك فقال : الست تعلم ان الانسان يحب ان يسكن أحسن الدور ، ويلبس أفخر الثياب ، ويأكل أطيب المأكول ، ويركب أجمل المراكب ؟ قلت بلى . قال : فلم لا يكون من يلي خدمتي به ، ويقرب منه على احسن صورة ! وان شئت أريتك ما بدارى من الجوارى الحسان ، فامسكت عنه . وعرفت انه كذا ينبغي للعاقل ان يفعل . وقيل له يوما : ان جاريتك فلانة تحب مملوكك فلانا ، وكانا فى غاية الحسن ، والجمال فقال : الآن ثبت عندى صحة عقلها . ودفن فى قبة بنيت له فى الشونيزى « (١) » .

### الفصل الثالث

#### اقبال الشرايى مؤسس الشرايية

جاء فى الحوادث الجامعة انه شرف الدين أبو الفضائل اقبال الشرايى (٢) ، وكان اولاً لعز الدين نجاح الشرايى . وانتقل الى زوجته بعد وفاته فلما افضت الخلافة الى الظاهر حملته اليه فقبله ، فأبعده عنه رشيق ، وانفذه الى ولده المستنصر فلما دخل عليه قال له : ما اسمك ؟ فقال : اقبال . فسر بذلك واستبشر ، وتفاعل به فلما افضت الخلافة اليه ، قربه ، وقبض على رشيق وحبسه ، وجعل اقبالا شرايياً ، ثم جعله سرخيل العسكر ، فلما توفى زعيم اربل سار بالعسكر اليها ، وأخذها وعاد مظفراً فلما افضت الخلافة الى المستعصم زادت منزلته عنده ، وقرب من قلبه ، فلما وصلت عساكر المغول سنة خمس وثلاثين [ وستمئة ] خرج الى لقائهم ، وظهر من حسن تدبيره ما اوجب زيادة الانعام عليه . وكان حال الملك منتظماً بصائب رأيه فلما توفى اختلت الاحوال بعده « (٣) » .

(١) ص ٣١٠ - ٣١١ . والشونيزى هى مقبرة الجنيد البغدادى بجانب الكرخ .

(٢) ص ٧٦ و ٣٠٨ .

(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٠٩ .



ولما غيرت ثياب الغزاء بعد الحداد على المستنصر وتولى ابنه المستنصر  
الخلافة خلع على شرف الدين اقبال الشرابي في حضرة الخليفة المستنصر ،  
وقلده سيفين بيده • وقدم له مركوب من خيل الخليفة في البستان ، فخرج  
راكبا وبين يديه الخدم بسيوف مشهورة ، فخدمه الامراء بين يدي مركوبه •  
فخرج من باب النوبي فلما انتهى الى باب البدرية استأذنه علاء الدين الطبرسي  
الدويدار ، وكان راكبا في آخر الامراء في العود الى داره فأذن له ،  
وللامراء فنزل علاء الدين وعضده ، وقبل يده وعاد<sup>(١)</sup> •

وجاء في الحوادث الجامعة انه بنى في الجانب الشرقي من واسط مدرسة  
للمشافعية ، فتحت في سابع عشر شعبان من سنة ٦٣٢هـ بناها على دجلة مجاورة  
لجامع كان دائراً فأمر بتجديد عمارته ، ورتب به مدرسا العدل أحمد بن نجا  
الواسطي • ورتب بها معيدان ، واثنان وعشرون فقيها وخلع على الجميع  
وعلى من تولى عمارتها من النواب ، والصناع ، والحاشية الذين رتبوا  
لخدمتها • وعمل فيها دعوة حسنة حضرها صاحب الديوان « ابن الدباهي »  
والناظر بواسط ، والقاضي ، والنقيان ، والقراء ، والشعراء • وكان المتولى  
لعمارتها والذي جعل النظر اليه والى عقبه في وقفها ابو حفص عمر بن  
ابي بكر بن اسحق الدورقي<sup>(٢)</sup> •

وذكر قطب الدين الحنفي في كتابه الاعلام باعلام بيت الله الحرام<sup>(٣)</sup>  
انه « بنى بمكة مدرسة على يمين الداخل الى المسجد الحرام من باب السلام  
ووقف فيها كتب كثيرة في سنة ٦٤١هـ ويظهر ان هذه الكتب كما يقول  
قطب الدين « ذهبت شذر مذر والمدرسة باقية الى الآن وقد صارت رباطا  
وفيه محل التدريس » •

وجاء في الحوادث الجامعة<sup>(٤)</sup> انه جدد بمكة الرباط الذي اشتهر ذكره

(١) الحوادث الجامعة ١٦٧ - ١٦٨ •

(٢) الحوادث الجامعة ٧٧ •

(٣) ص ٨٢ •

(٤) ٣٠٨ - ٣٠٩ •

فى الدنيا ، وعين عرفة التى فى الموقف ، وأجرى ماءها لانتفاع الحاج به  
واوقف على ذلك الوقوف السنية • قال : وكان كثير الصدقات ،  
والمواصلات • كان فى خدمة الخليفة بالحلة فمرض بها وحمل الى بغداد  
فى شبّارة ، وهو مثقل ، فوصل فى سابع عشرى شوال [ سنة ٦٥٣هـ ]  
وتوفى فى ثامن عشرىه • وصلى عليه فى جامع القصر ، ودفن فى تربة ام  
الخليفة المستعصم بباب القبة على يمين الداخل • وجلس الوزير ، وارباب  
المناصب فى الغزاء بالمدرسة المستنصرية • وكان شيخا شجاعا كريما ، شريف  
النفس ، على الهمة (١) •



---

(١) راجع ص : ٩٨ و ٩٩ و ١٠٩ و ١١٠ من الكتاب المظنون انه الحوادث  
الجامعة عن اعماله العسكرية وجهوده فى صد المغول عن اربل ، وبغداد •

## المراجع

- ١ - المدارس فى تاريخ المدارس للنعمى .
  - ٢ - شذرات الذهب لابن عبدالحى الحنبلى .
  - ٣ - البداية والنهاية لابن كثير .
  - ٤ - الحوادث الجامعة المنسوب لابن الفوطى . تحقيق الدكتور مصطفى جواد .
  - ٥ - الفخرى لابن الطقطقى .
  - ٦ - الاعلام باعلام بيت الله الحرام لقطب الدين الحنفى .
  - ٧ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ١
  - ٨ - معجم البلدان لياقوت الحموى
  - ٩ - مراصد الاطلاع لصفى الدين عبدالمؤمن
  - ١٠ - مروج الذهب للمسعودى
  - ١١ - مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى .
  - ١٢ - رحلة ابن جبير .
  - ١٣ - بقايا القصر العباسى . لمديرية الآثار القديمة .
  - ١٤ - سامراء . لمديرية الآثار القديمة .
  - ١٥ - تكملة الاكمال للصابونى
  - ١٦ - الجامع المختصر لابن الساعى
- وهما من تحقيق الدكتور مصطفى جواد
- ١٧ - تاريخ علماء المستنصرية . ناجى معروف
  - ١٨ - النصوص الكتابية على جدران المستنصرية والمرجانية .
  - ١٩ - مجلة سومر .
  - ٢٠ - مجلة التقيض .
  - ٢١ - مباحث عراقية ليعقوب سركىس .
  - ٢٢ - شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد .
  - ٢٣ - ابن الفوطى : للشيببى .

24 — Mission en Mesopotamie. Louis Massignon. VII.

25 — L'architecture Musulmane du XIIIe Siècle en Iraq. Paris 1913.

# المزديون في شعر العصر السلجوقي

للدكتور علي جواد الطاهر  
الاستاذ المساعد في قسم اللغة العربية

ملوك العرب وامراؤها بنو مزيد الاسديون  
النازلون بالحلة السيفية على الفرات ، كانوا  
ملجأ اللاجئين وثمانال راجين وموئل المعتفين  
وكنف المستضعفين ؛ تشد اليهم رحال الآمال ،  
وتنفق عندهم فضائل الرجال .. وأثرهم في  
الخيريات أثر ، والحديث عن كرمهم كثير ...

العماد الاصفهاني - الخريدة

كانت مكانة بنى مزيد في الشعر بارزة بروزها في التاريخ<sup>(١)</sup> . ولقد  
مدح الشعراء نورالدولة دبيس بن علي بن مزيد ، فلما توفي سنة ٤٧٤ رثوه  
فاكثروا<sup>(٢)</sup> ، ولقد رثوه « بعد وفاته بأكثر مما مدحوه في حياته »<sup>(٣)</sup> . وظل  
ذكره يتردد عند مدح أعقابيه ، فمن ذلك ما قاله ابن الهبارية :

.. كم قد حمى 'بأس نفس مرة منابر الاسلام والاسرة  
انجد قرواشا على الاتراك واتاشه من مخلب الهلاك

(١) بنو مزيد من بنى أسد ، نزحوا عن خوزستان ، على أثر خلاف  
عائلي ، بقيادة علي بن مزيد ، وحلوا عام ٤٠٥ في النيل - عند بابل ، وعندما  
توفي علي سنة ٤٠٨ خلفه في الرياسة ولده دبيس ثم منصور ثم صدقه ...  
وكانت لهم عدة حلل ، ولكن الحلة التي شيدها صدقه هي التي غلبت على  
ما سواها - وما زالت قائمة الى اليوم .

ينظر عن بنى مزيد ومصادر دراستهم ... وعن الاعلام التي ترد  
في هذا البحث الجزء الاول من كتاب « الشعر العربي في العراق وبلاد  
العجم في العصر السلجوقي » ، بغداد ، ١٩٥٨ .

ومن أكثر من مدحهم في العصر البويهى ، مهيار الديلمى .

(٢) ابن الاثير ١٠ : ٧٨ سن ٤٧٤ .

(٣) ابن خلدون ٤ : ٢٨٠ .

فى يوم سنجار فلولا هرب لكن دبس وحده حمى العرب<sup>(١)</sup>  
ولما أفضت الامارة بعد وفاته الى ولده بهاء الدولة منصور ، هنأ  
البنديجى ودعا للسلطان<sup>(٢)</sup> ( ملكشاه ) .

وكانت بين شرف الدولة مسلم بن قريش بن قرواش العقيلي<sup>(٣)</sup>  
مكتابات .. ومعاتبات وقد استنجد العقيلي مرة بهاء الدولة « وترقب منه  
السرية » فلما لم ينجده ، عزم واعتمد على نفسه وانتصر ، فأجابه بهاء الدولة  
معتذراً :

.. ولو أنى جريت على اختيارى قددت اليكم الفلوات قد  
لتعلم أن بيت بنى عليّ لكم وبكم يعد اذا استعدا<sup>(٤)</sup>  
ولا بد من تصديق عذر منصور لانه معروف بالشجاعة والنجدة  
ولأنه يقول - والتاريخ يؤيده :

.. فان أنا لم احمل عظيماً ولم أقد لهاما ولم أصبر على فعل معظم  
ولم أجر الجانى وأمنع حوزة غداة أنادى للفخار واتمى  
فلا نهضت بى همة عربية الى المجد ترقى بى ذرى كل مخرم<sup>(٥)</sup>

وفى عام ٤٧٦ لما « استولى العسكر السلطانى على حلل العرب [ فى  
ديار بكر ] وغنموا أموالهم وسلبوا حريمهم .. بذل صدقة بن منصور  
الاموال وافتك اسرى عقيل ونساءهم وأولادهم وجهزهم جميعهم وردتهم  
الى بلادهم ففعل أمراً عظيماً وأسدى مكرمة شريفة<sup>(٦)</sup> » « فشكره الناس

---

(١) ابن الهيثارية : الصادح والباغم ص ٩ . وينظر ديوان الالبوردى :

(٢) العماد ، الخريدة ، و ١٠٣ ب .

(٣) اخباره فى خريدة القصر - قسم شعراء الشام ج ٢ ( ط ١٩٥٩ )  
ص ٢٥٥ - ٢٧٠ .

(٤) العماد ، الخريدة ، قسم الشام ، الموصل و ١٧٣ - ( = ص  
٢٦٤ من المطبوع ) .

(٥) ابن الاثير ٨ : ١٤١ سن ٤٤٩ ، سن ٤٧٨ ، وتنظر البداية  
والنهاية ١٢ : ١٣٠ سن ٤٧٨ .

(٦) ابن الاثير من ٤٧٧ .

على ذلك<sup>(١)</sup> ، « وامتدحه الشعراء فأكثروا<sup>(٢)</sup> » ، .

وقد وصف السننسي هذه الحادثة وصفاً يتفق والتاريخ<sup>(٣)</sup> في قصيدة منها :

كما أحرزت شكر بنى عقيل	بآمد يوم كظهم الحذار
غداة رمتهم الأتراك طراً	بشهب من حوافلها ازورار
فما جنبوا ولكن فاض بحر	عظيم لا تقاومه البحار
فحين تنازلوا تحت المنايا	وفيهن الرزية والدمار
منت عليهم وفككت عنهم	وفي أثناء جلهم انتشار
ولولا أنت لم ينفك منهم	أسير حين أعلقه الأسار <sup>(٤)</sup>

وأجود من أبيات السننسي أبيات البندنجي<sup>(٥)</sup> :

.. ويمسى له في جيد كل متوجٍ صنائع لم تخطر ببال حسابها

★ ★ ★

كيوم عقيل والرماح شواجر	وبيض الطبى يردي الكماء ضرابها
غداة غدت للترك في الحى وقعة	أباحث حمى دار عزيز جنابها
فأقسم لولا نخوة مزيدية	لبات على حكم السبايا كعابها
ولكن سيف الدولة بن بهائها	حمى عرضها والترك يحرق نابها
تناشده الأرحام والنقع نائر	ولا يحفظ الأرحام إلا لبابها
وكم زاد عنها « المزيدون » بالقنا	سيوف العدى من حيث غص شرابها
عشية لاذت بالفرار من الطبى	وعاتت بأسلاب الأسود ذئابها
ولولا عوالى « نور دولة » خندق	لما انجاب عن تلك الشמוש ضبابها
إذا نابها خطب فأنتم ملاذها	وان رابها جذب فأنتم ربابها

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢ : ١٢٦ سن ٤٧٧ .

(٢) ابن الاثير ١٠ : ٨٧ .

(٣) نفسه ١٠ : ٦٦ - ٨٧ (= ٨ : ١٣٥ من ط . الاستقامة ) .

(٤) نفسه سن ٤٧٧ .

(٥) العماد ، الخريدة ، قسم العراق ، و ١٠٤ .

ولما مات بهاء الدولة ( عام ٤٧٩ ) ، أحزن موته نظام الملك والسعدي  
والخليفة وكثيرا من الشعراء<sup>(١)</sup> .

وولى الامارة بعده ولده سيف الدولة صدقة . وصدقة أخطر رجال  
بنى مزيد ، ومن أعظم رجال زمانه . وقد مدحه - غير النسبى  
والبنديجى - شعراء كثيرون مثل المطاميرى وابن أبى الصقر الواسطى وابن  
واثق الانبارى ، ومحمد بن حيدر ، وشيب البروجردى<sup>(٢)</sup> ويحيى بن  
التلميذ<sup>(٣)</sup> والابوردي وابن الهبارية .

واياه خاطب جحوش الكلبى الخفاجى بقوله :

فإن ترض عنا فالعراق نحلّه والا نزلنا منزلا عنه أزورا  
ومن عرف خفاجة وأذاها وعرف وقعات صدقة بها أدرك معنى هذا  
البيت .

ويقول ابن الهبارية فى كتابه « الصادح والباغم » الذى اهداه  
لصدقة - بعد حديثه عن اجداد الممدوح :

ولم نزل « حلتّه » ملاذا لكل من يهرب من بغدادا  
يقصدها الملوك والخلائف وجائع ذو فاقة وخائف  
فيشبع الجائع فى ذراها ويأمن الخائف فى حماها

★ ★ ★

يا ليتنى سكنت تلك الحلة بين شמוש المجيد والاهله

★ ★ ★

فى خير دار ضيف خير مرتجى ملك يعز عنده أهل الحجا<sup>(٤)</sup>

---

(١) ابن الاثير ١٠ : ٩٨ .

(٢) تراجع الخريدة ، مخطوطة باريس ، وليدن ، المحمدون للقفطى

(٣) ابن أبى أصيبعة ١ : ٢٧٨ .

(٤) الخريدة . مخطوطة باريس .

(٥) الصادح والباغم ٩ - ١٠ .

ومن قصيدة القاضي شبيب البروجردى فى سيف الدولة :

قطعت انفيافي لاضنيما بمهجتي ولا كارها وعرجال وسهلها  
الى « حيلة » ما حلها اللؤم والخنا بل المجد والعلواء والجود حلها<sup>(١)</sup>  
وكانت مملكة صدقه فى اتساع ، وقد قال مهذب الدولة بن أبى  
الجبر - أمير البطائح - يخاطبه :

كشفت عن قناعها لك بغداد د وأعطتك واسط ما تشاء

★ ★ ★

وعطت جيدها اليك من الشـو ق خانيك البصرة الفيحاء<sup>(٢)</sup>  
وقد سار صدقة نحو البصرة وملكها<sup>(٣)</sup> ، فهناك الشعراء بهذا النصر<sup>(٤)</sup>  
وهم يرثون خاله .. الذى قتل فى المعركة<sup>(٥)</sup> .

أما الابيوردي فانه مدح صدقة منذ وصوله العراق<sup>(٦)</sup> فتحدث عن  
نسبه ، وذكر أيام أجداده ووصف أحدها<sup>(٧)</sup> . ثم قصد الحلة<sup>(٨)</sup> فاستقبل  
أحسن استقبال ، وقد أساء الشاعر فهم بعض الاحوال وفسرها بالاهمال ،  
وحاول ترك الحلة وهو يردد أبياتا هجائية :

أبابل لاواديك بالخير مفعم لراج ولاناديك بالرغد أهـل  
لئن ضقت عنى فالبلاد فسيحة وحسبك عاراً أننى عنك راحل  
فان كنت بالسحر الحرام مدلة فعندى من السحر الحلال دلائل  
قوافٍ تعيرُ الاعين النجل سحرها وكل مكان خيمت فيه بابل

(١) الخريدة ، قسم بلاد العجم ، مخطوطة ليدين .

(٢) الخريدة ، المجلدة الاولى ص ٣٣٨ -

(٣) ابن الاثير ١٠ : ٢٧٨ .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه .

(٦) ديوان الابيوردي ص ١٩٨ .

(٧) نفسه ١٢٣ - ١٢٧ ، ٣١١ - ٣١٤ ، ٣٣٤ - ٣٣٧ .

(٨) ياقوت ، ارشاد ٦ : ٢٥٦ ( = ج ١٧ : ٢٣٦ - ) وينظر ديوان

الابيوردي ص ٣٣٤ - ٣٣٦ .



ويفهم من سياق رواية الخبر أن هذه الابيات نظمت بالمناسبة ، وهذا غير صحيح ، لان الابيات فى الديوان جزء من قصيدة طويلة كان الشاعر قد وجهها لمؤيد الملك بن نظام الملك مستعينا به على عميد الدولة بن جهير<sup>(١)</sup> . والابيات فى ذم بابل ويراد ببابل العراق كله ذلك ان الحلة لم تكن قد شيدت يوم نظمت القصيدة . ومن المحتمل - ان صحت الرواية - ان يكون انشاده لها من قبيل الاستشهاد .

واذا كان هناك شاعر غير مرتاح من الحلة فهو الغزى . فقد قصدها مرة فقال :

أنا فى الحلة الغداة كأنى      علوى فى قبضة الحجاج  
بين عرب لا يعرفون كلاما      طبعهم خارج عن المنهاج  
وصدور لا يشرحون صدورا      شغلتهم عنها صدور الدجاج  
والمليك الذى يخاطبه النا      س بسيف ماض وفخر وتاج  
ماله ناصح ولا يعلم الغي      ب وقد طال فى مقامى لجاجى<sup>(٢)</sup>

وواضح أن يكون بين أسباب هذا الهجاء اعراض لقيه من الامراء وخيبة أصابته فى آماله بالكسب - وفيما عدا ذلك ، لم يقل قوله انسان :

وعندما قتل صدقه عام ٥٠١ فرح الغزى فرحا شديدا كأنه انتقم لنفسه وثأر ، ثم دبّج قصيدة يهنئ بها غياث الدين السلطان محمد ووزيره ضياء الملك أبا نصر أحمد بن نظام الملك<sup>(٣)</sup> :

جلا لك وجهه الفتح المبين      ومد بضبعك السبب المتين  
وكان الخطب فى التقدير صعبا      فهان وأى خطب لا يهون

★ ★ ★

(١) ديوان الابیوری ٢٤٧ - ٢٤٩ .

(٢) ديوانه المخطوط . معجم البلدان : الحلة .

(٣) ديوان الغزى ، مخطوطة باريس ص ٤٥ - ( = ديوان الابیوردی

لطبوع ٣٥٨ - ٣٦٠ ) .

وما اللجب اللهم بذى امتناع  
رمى « أسداً » مقدمها سفيها  
وأوردها الردى والهام تهوى  
وغرته السرية يوم فلت  
وظن الترك قد تركته خوفا  
أقام بأرض « بابل » مستبدا  
ويوسعه « غياث الدين » حلما  
يتيه بثروة وطنين صيت  
ومال به الحران الى التماذى  
ولما لم يعظه من الليالى  
سرى ورمى الفرات وراء ظهره  
فأقبل وهو لاسم أبيه ضد  
توبخه الغوامض والروابي  
حمى الليث العرين و « آل عوف »  
فلما أصبحوا صاروا نقادا  
كان الاعوجية حين فروا  
توالوا والسيوف من التراقى  
تخال بها الجماجم بعد حقب  
رجا أن يدخل الزوراء قهرا  
فجىء بنصف رأس منه ترنو  
لعاملة القناة له اهتزاز  
وخيل البغى جامحها عثور  
وما اجتمع الغنى والبخل الا

غداة يقوده الضرع المهين  
بمعضلة يشيب لها الجنين  
كما يتهافت الخيط الدرين  
سجلا كانت الحرب الزبون  
وعند السبر تنتقض الظنون  
يراسله « الامير » فما يدين  
وغير مثقف من لا يلين  
وأجنحة البعوض لها طنين  
وكل مزند لحز حرون  
قرائن بعد ما خلت القرون  
فنونا جمّة كان الجنون  
وأدبر والبوار له قرين  
وتلغنه الدوامت والحزون  
ليوث كان يحميها العرين  
ومن شر الحمية ما يهون  
مقيدة القوائم أو صفون  
مخضبة وباللمت جون  
كرتيا للصوالج تسيّتين  
وينصر باطلا ليزل دين  
الى مكروه منظره العيون<sup>(١)</sup>  
كما يهتز بالثمر الغصون  
مصارع راكبه كذا يكون  
ولآفات بينهما كمين

وغرض الشاعر الشخصي واضح ، وأهواؤه الشامة بيّنة ، ولهجته

(١) ينظر اليافعى ٣ : ١٧٠ .

العداية مفضوحة ، وما رمى أحد صدقة بسفاهة أو بخل أو كفر ولا آل مزيد  
بجبن وما يشبه الجبن ، ولا مدح أحد ضياء الملك هذا المدح<sup>(١)</sup> ونحن  
نعرف ضعفه وبعده عن المقارنة بأبيه ، ونعرف غاية الغزى « الاستجدائية »  
من مديحه<sup>(٢)</sup> .

ولكن القصيدة - على ذلك - تجلو نقاطا تاريخية مهمة ، فهي ترينا  
أن السبب المباشر للمعركة هو قوة صدقة واتساع نفوذه وآماله وقلة  
اكرانه لاوامر السلطان ، ثم انها تدلنا على أن جيش السلطان كان يستصعب  
حرب صدقة وانه أرسل سرية فلها جيش صدقة .

وللاحظ أن الغزى قد نص على أن صدقه كان يريد أن يملك  
بغداد ، وأن غايته من ذلك أن ينصر الباطل ويذل الدين . وقد يكون في  
الشرط الاول من هذا النص شيء من الصحة ، الا ان صدقه لا يمكن أن  
يكون بأى حال من الاحوال من أنصار الباطل ، فلم يعرف عن الرجل غير  
نصرة الحق والتقوى . ولعل الغزى قصد الاشارة الى تشييع صدقه ، وقد  
كان تشييع صدقة ذنباً برأى بعض المؤرخين<sup>(٣)</sup> . اما اذا أراد نسبته الى  
الباطنية فذلك مزعم غير صحيح وقد فنده ابن الاثير .

« لما قتل صدقة ، أقطع بلاده الاكراد وغيرهم ، وضمن كشف تلك  
الاعمال رجل يقال له « ثابت بن سلطان بن ثابت » ، ومن الاكراد جماعة

---

(١) أعيد لنا نظام الملك حيّا بأحمد بعد ما خفّ القطين

نباً عنك القياس وفقت حتى كأنك جوهر والناس طين  
ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٢) وهو القائل :

أجب بحر الكفاة فلى سؤال	وأنت بكل منقبة قمين
أترضى أن يقال « الصدر » يرضى	بجمعجة وليس يرى طحين
ولست أشك أنك بحر جود	ولكن ما المنتظر يقين

(٣) مخطوطة العبر ( باريس ) ج ٢ سن ٥٠١ .

يقال لهم بشيرية وجماعة نرجسية» (١) .

وقد أنشأ مرجا بن بتاه (٢) البطائحي قصيدة (١) يستهجن هذه الأفعال  
ويسخر على طريقته الخاصة :

لقد سن للسلطان « ثابت » سنة  
موافقة النظار والكشف عنهم  
وقد كثر الاقطاع حتى أظنه  
ثلاثون ألفا « للبشيري » وحده  
وعشرون ألفا أقطعت « نرجسية »  
ولولا سفاه الرأي كان عليهم  
وما كان « أسياكيل » يركب خلفه  
ويركب « سلار » أخوه بزهوة  
ورمحان مدهونان يخفق فوقها  
وأصبحت لا أدري إذا ما رأيته  
سلام على مال العراق فانه  
فشطرا لاتراك ومن دونها النهر  
وشطرا لكتاب وما فيهم صدر  
وشطرا لصيان يتامى ونسوة  
وفي هيت والانباء للناس عبدة  
كان غرابا فوق اعواد سرجه  
كان عليه حلة من اهابه  
فورام من ورام خير سجية

فلا يأمن السلطان زيد ولا عمرو  
ولو كان ممن لا يصح له العشر  
سيقطع كلب في الجزيرة أو هر  
فدع عنك ممن لا يجوز له ذكر  
كثير له ألف ولو انها بعير  
من الغنم الاغشار والصوف والشعر  
جياذ البراذين البشيرية الحمير  
ومن خلفه فهد وقدامه صقر (٢)  
عقابان مكتوب على وجهها نصير  
أقد جن « أسياكيل » أم خرف الدهر  
مضى حيث لا نفع لذلك أو ضير  
وشطرا لاكراد ومن شأنها الغدر  
وشطرا لحجاب وما فيهم فخر  
أيامى وما فى بر أكثرهم أجر  
إذا أبصروا « يميناً » كما انكسف البدر (٣)  
لك الخير ان لاقيه وله الشر  
وقد طليت بالقار أو مسها الجبر  
وليس سواء بافراس وبانصر (٤)

- 
- (١) الخريدة و ١٧٠ ب ، وتنظر النصرة و ١٠١ . وتنظر مقالة  
الدكتور مصطفى جواد ج ٢١ م ٤ من مجلة المجمع العلمى ص ١٠٠ .  
(٢) بزهوة . لم ترد الكلمة واضحة فى مخطوطة النصرة . اما فى  
مخطوطة باريس للخريدة فقد وردت « بدهرة » .  
(٣) يمن : هو أمير الجيوش ، ولى اماراة الحج الى أن توفى . . أقطع  
هيت والانباء ، وكان خادما حبشياً خيراً سرياً .  
(٤) هما كرديان : أحدهما ورام بن بافراس ، والآخر ورام بن  
بانصر .

حماران صوامان قرد وافقهم وأعمى له عينين وليس له شتر  
وإذا استبعدنا اللهجة الساخرة الهازلة من هذه القصيدة بقيت لدينا  
معلومات قابلة التصديق وتفصيلات لا نجدها في أى كتاب من كتب التاريخ  
التي بين أيدينا •

واستطاع دبيس بن صدقه أن يستعيد امارة أبيه • وقد مدحه  
الشعراء ، وحدث المجحف القشيري عن فترة الانتقال التي مرت بين  
الاميرين ، فقال<sup>(١)</sup> وهو يطرى دبيساً :

وقد حكمت كل الملاحم أنه على الجانب السعدى قابلك السعد  
وقلنا بأرض « الجامعين » وبابل وقد أفسدت فيها الاغارب والكرد :  
ألا فتتحوا عن دبيس وداره فلا بد من أن يظهر الملك الجعد  
وقال فيه حيص بيص في أول لقيته<sup>(٢)</sup> :

انى لأفكر في علاك فأثنى حيران لا أدري بماذا أمدح  
ان قلت : ليث ، كنت أقتل سطوة أو قلت : بحر ندى ، فكفك أسمح  
ولحيص بيص فيه كذلك<sup>(٣)</sup> :

توالت عليه الفادحات ولم يجد عن الصبر حتى أدرك المجد أجمعاً  
وما زال يرخى للنوى من قياده الى أن أفاد الحى شملاً مجمعاً  
وله أيضاً - وقد لقبه « سيف الدولة الملك المرجى » :

•• طليق الوجه أغلب مزيدى مضى النار مرفوع العماد

★ ★ ★

وباعثها الى الغارات تهفو سراعاً مثل مبثوث الجراد  
فيوماً في المشارق في مغارٍ ويوماً بالمغارب في جلاد

(١) ياقوت ، بلدان ( جامعين ) ٢ : ١٠ - ١١ •

(٢) الخريدة ، قسم العراق مط • ص ٢٢٤ •

(٣) نفسه ص ٢٦٨ •

أجلت الخيل فى الآفاق حتى تخوفت السماء من الطراد  
وباراك الملوك فكنت منهم مكان الشامخات من الوهاد<sup>(١)</sup>

والشعر حسن ، وكان دبىس كثير الحروب والاغارات ولكن المبالغة واضحة • ويبدو أن وشاية كانت قد دبت بين حيص بيص ودبىس فجاء الشاعر يعتب الامير بهذه الدالية •

ومن قصيدة أخرى نستدل على ان حيص بيص صحب دبىساً حين خرج الى حرب المسترشد مما أغضب الخليفة ووزيره الزينبى ، فاعتذر حيص بيص اليهما بقصيدة يقول فيها<sup>(٢)</sup> :

أقمت بها حيث الرضا ذو مخايل وفارقتها لما بدا لى غرورها  
قتل دبىس عام ٥٢٩ فرائه حيص بيص وأثنى عليه بشجاعته وكرمه ولطفه ومنطقه وكناه أبا الاعز<sup>(٣)</sup> :

هبنى كتمت لواعج البرحاء فمين المكم عبرتى وبكائى

★ ★ ★

فلتبكه البيض الصوارم والقنا والسابقات لواحق الامطاء  
ولييكه اليوم العصيب من الوغى ينزرو بكل كتيبة حمساء  
ولييكه راد الصباح أعاده بطراده كالليلة الليلاء  
ولييكه اللطف الذى لم تؤته خمر ولم يرزقه صفو الماء  
وتألف القلب الشديد بمنطق أغنى مؤمله عن الاعطاء

ولاشك فى أن الثناء على دبىس كان ضرباً من حسن الظن لأن دبىساً كان من اضطراب الشخصية وهوج التصرف ما لا يجعله مستحقاً كل ما قيل فيه - ولا بعضه • وللمرء أن يرجع الى التاريخ ، الى كامل ابن الاثير -

---

(١) الخريدة ، مط • ص ٢٣٩ • وينظر من ديوان حيص بيص :  
و ١٦٩ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٤٦ ، ٧٣ ، ١١٠ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٦٩ ، ٢٤٠ :  
وتنظر الخريدة ص ٢٦٧ ، ٣٤٣ •

(٢) الخريدة ، مط • ص ٢٥٤ •

(٣) الخريدة ، مط • ص ٣٣٧ •

مثلاً ، ليزى ديساً فى بعض حمقه - ولأمر ما كان حيص بيص أكبر  
مادحيه •

وخلف ديساً آخرون من بنى مزيد ، لم يكن بينهم أمير ذو خطر فى  
السياسة أو ذو بال فى الشعر •

ولنلاحظ أن بنى مزيد كانوا يتذوقون الشعر وربما قالوه ، وكثيراً  
ما أجازوا الشعراء عطايا لا تخطر بالحسبان وأكرمواهم أكراما منقطع النظير •

★ ★ ★

وكان صدقة •• يهتز للشعر اهتزاز  
الاعتزاز ، ويخص الشاعر من جوده بالاختصاص  
والامتيان ، ويؤمته مدة عمره من طارق  
الاعواز • يقبل على الشعراء ويمدهم بجميل  
الاصفاء وجزيل الاعطاء • لا يخيب قصد قاصده  
من ذوى القصائد ويبلغ آمليه الى أغراضهم  
والمقاصد •

العماد الاصفهاني - الخريدة -

# الجمناستيك المبرمج

Remedial Gymnastics

## القدم المسطحة

بقلم السيد بهنام باسيلوس

مدرس التربية الرياضية فى كلية الآداب

بكلوريوس فى التربية الرياضية

بدرجة شرف

القدم المسطحة ، اصطلاح عام يطلق على كل العيوب التى تصيب القدمين ؛ وهذه العاهة ليست امرا مسّرا ولا سهلة الوصف والتعريف .  
يصاب الكثيرون بهذه العاهة فى اقدمهم لانخفاض القوس الطولي Longitudinal Arch فى القدم ، دون ان يشعروا بألم ما ودون ان تعيقهم عن عملهم . وعلى العكس من هؤلاء نجد آخرين صحيحة اقدمهم ، تامة القوس ولكنهم يتألمون عند قيامهم ببعض التمارين أو الوقوف لساعات طويلة ؛ فلا يجزع هؤلاء فهم غير مصابين بعاهة القدم المسطحة ، بل جل ما هنالك ان الاعاقة عن العمل حاصلة عندهم متأية من العمل الوظيفي . اما الاولون فهم المصابون بعاهة القدم المسطحة التى يجب ان يسرعوا فى معالجتها لانها قابلة للمعالجة خاصة اذا كانت فى ادوارها الاولى .

ان تسمية القدم المصابة بالقدم المسطحة ، انما هى تسمية جامعة وشاملة ولا يسوغ لنا ان نعبر عنها بغير هذا التعبير سواء أكان الاختلال فى القوس أم كانت القدم معوجة الى الجهة الوحشية او الانسية "Valgus" او كانت تعيقهم عن العمل ، او نتجت عن فقدان العضلة موازيتها ومرونتها .  
تعتبر القدم من اهم اعضاء الجسم فى علم التشريح ، ليس لانها تحمل ثقل الجسم أثناء الوقوف فحسب ، بل لانها تقوم بأكثر الفعاليات الجسمية ، التى لا تتناسب وصغر حجمها او ما يحيط بها من اربطة وعضلات ، فمجرد



إصابة للعضلة في قوتها وموازنتها ، ولو كان طفيفا ، يعرض القدم كلها الى عاهة ، او ضعف ، او تشويه .

نقرأ في علم التشريح ان للقدم قوسين ، القوس الطولى Longitudinal Arch والقوس المستعرض Transverse Arch وهذان القوسان تنظمهما عظام صغيرة رتبت ترتيبا محكما بواسطة الاربطة التى تحيطها من جميع الجهات ، بشكل يسمح لها بالحركة بين بعضها البعض ، كما يجعل العظام ان تقوم بنوع خاص من الحركة . اما العضلات ، فانها تقوم بمحافظه وضعية وموازنة بنائها المرن الدقيق . وعلى هذا يكون تركيب القدم مرنا دقيقا .

ان الالم والاعاقه عن العمل ينتجان عن سببين مختلفين :

#### أ - فقدان المرونة في مفاصل القدم

Loss of flexibility in the joints of the foot

تعتبر هذه السبب الرئيسى لآلام القدمين ، وتنتج عن قلة التمرين والحركة المحدودة ، وضيق مجال الدورة الدموية لضيق الحذاء او عدم ملائمته للقدم .

ومثل هذه القدم لا يمكن اعتبارها قدما مسطحة ، اذ قد يكون القوس الطولى الداخلى طبيعيا ، أو فوق الطبيعى ، انما هذا الالم ومن ثم الاعاقه عن العمل ، ناتجان عن تمدد الاربطة القابضة والشكل الذى أصبحت فيه القدم تزداد سوءا بفقدان العضلة .

ومما يجدر ذكره بهذا الصدد أنه يمكن ملافاة الادوار الاولى والدرجات البسيطة من هذه العاهة وتحسين شكل القدم بواسطة تمارين خاصة تساعد على اعطاء الحركة والمرونة للمفاصل لتكتسب العضلة شيئا من القوة والشدة .

## ب - فقدان العضلة قوتها ونموها غير المتزن

"Loss of Muscular tone & unbalanced development"

ان ضعف العضلات ، سبب رئيسى لحصول هذه العاهة التى تؤلم المصاب بها وتعيقه عن العمل • وهذا الضعف الذى يصيب العضلة ينشأ عن فقدانها قوتها ونموها غير المتزن ، فتتحمل أربطتها جهدا كبيرا يؤدى الى تمددها واستطالتها ، مما يجعل شكل العظام غير طبيعى ، ومما يؤدى أيضا الى أن يكون القوس المستعرض عرضة للتشويه والالام •

ان الادوار الاولى لهذه العاهة يمكن ملاقاتها بمعالجتها بالتمارين فقط • أما ان كانت العاهة أصيلة فى القدم فتجب معالجتها بطرق أخرى علاوة على التمارين البسيطة •

يتبين مما تقدم ، أن سبب حدوث هذه العاهة ، هو فقدان العضلة قوتها ومرونتها ، وعليه فيجب أن تكون المعالجة بتمارين من شأنها إعادة القوة والمرونة الى العضلة • وقبل أن نشرح أساليب هذه التمارين ، نبين بصورة مختصرة وظائف بعض العضلات المهمة التى لها صلة وثقى بأداء القدم وظيفتها •

### العضلات الرئيسية للقدم والكاحل ووظائفها

#### ١ - العضلة القصصية الامامية Tibialis Anticus

المنبت Origin :- فى الثلثين الاعليين من السطح الخارجى من عظم القصبة ، حيث يوجد الغشاء الفاصل بين هذا العظم وعظم الشظية •

المغرز Insertion :- فى الحافة الداخلية من رسغ القدم Tarsus عند العظم الاول من عظام مشط القدم •

العمل Action :- تشن القدم وترفع الحافة الداخلية لها ، وهو ما يسمى بعملية القلب أى قلب القدم للداخل Inversion •

ان ضعف هذه العضلة (القصصية الامامية) يؤدى الى الشتر Eversion أى قلب القدم الى الخارج ، وهو نتيجة ميكانيكية للقدم المسطحة • [ أنظر شكل (١) ] •

## ٢- العضلة القصية الخلفية Tibialis posticus

المنبت :- فى النصف الاعلى من السطحين الخلفيين لعظمى القصبة والشظية •

المغرز :- فى السطح الداخلى الاسفل من القوس الطولى •

العمل :- تساعد على ضبط المجموعة العظمية للقدم فتسند القوس الطولى الداخلى • [ انظر الشكل (١) ] •

## ٣- العضلة الشظية الطويلة Peroneus Longus

تمتد على طول الشظية وعلى السطح الخارجى من الساق •

المنبت :- فى رأس عظم القصبة وفى القسم الاعلى من السطح الخارجى لعظم الشظية •

المغرز :- فى القسم الاسفل من السطح الخارجى لقاعدة عظام منسط القدم الاولى وفى عظم الرسغ •

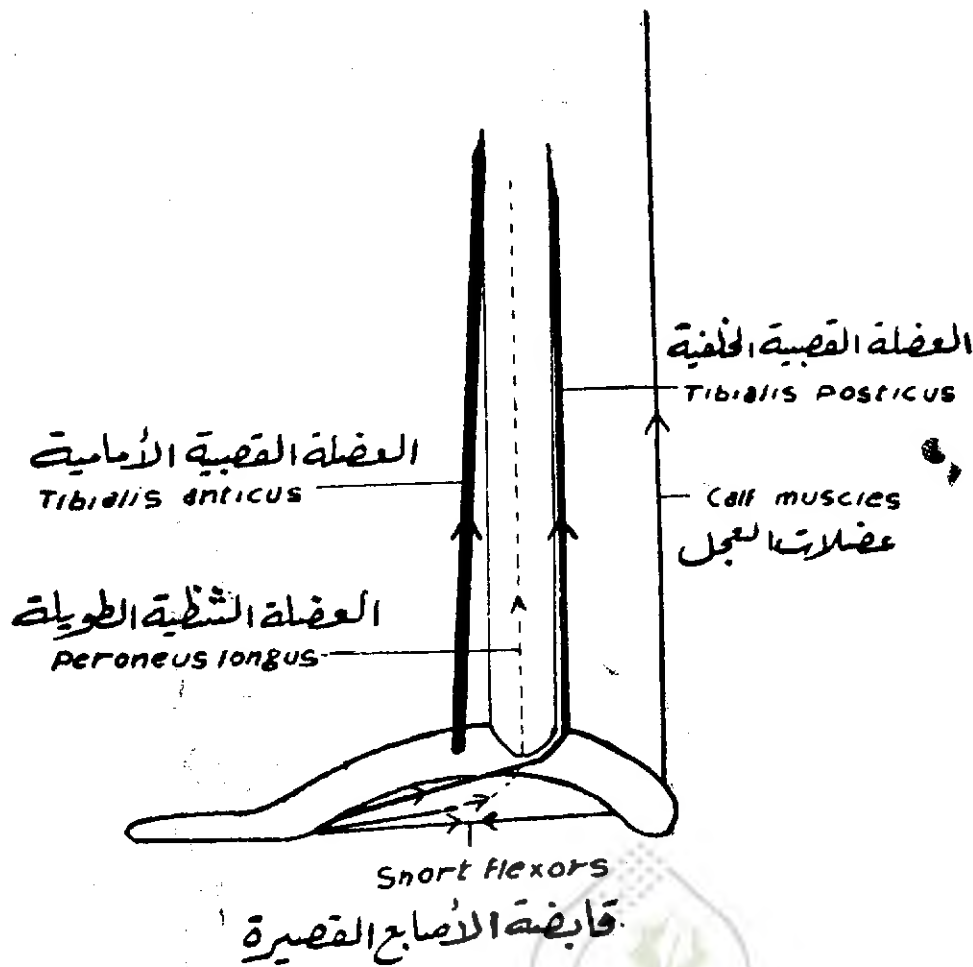
العمل :- تسحب قاعدة الاصبع الكبير الى الخارج والخلف ، فتحفظ لقوسى القدم حالتها الطبيعية •

ان ضعف العضلة الشظية الطويلة يؤدى حتما الى انخفاض قوسى القدم ، وهو سبب رئيسى فى حصول القدم المسطحة • [ انظر الشكل (١) ]

## ٤- قابضة الاصابع القصيرة Short flexors of the toes

وهى مجموعة كبيرة من العضلات الصغيرة فى اخمص القدم ، ينشأ بعضها من السطح الامامى من عظم العقب الى الاصابع • ان تماسك الاعمدة الداخلية لهذه العضلات يساعد على المحافظة على القوس الطولى •

ان اى ضعف او فقدان قوة Tone يصيب اياً من العضلات المذكورة آنفاً ، يساعد على جعل القدم مسطحة ، ولهذا يجب ان تكون خصائص تمارين المعالجة تقوية وتتميز هذه العضلات [ انظر شكل (١) ]



## شكل (١) العضلات التي تعمل على القدم

### ٥ - عضلات العجل The Calf Muscles

وهي مجموعة من العضلات يدخل ضمنها عضلة بطن الساق والعضلة  
الاحمعية التي تقع تحتها • [ انظر شكل (١) ] •

### أ - عضلة بطن الساق Gastrocnemius

ان هذه العضلة تكون القسم الأكبر من عضلة العجل •  
المنبت :- في السطح الخلفي لتتوأي عظم الفخذ المستديرين بواسطة رأسين •  
المغرز :- في السطح الخلفي من عظم الكاحل داخل رباط اووتر آخيل  
Tendo Achilles

العمل :- ان هذه العضلة تساعد على ثنى الركبة بالاشتراك مع العضلات  
الفخذية ، كما انها تبسط مفصل رسغ القدم أى مد الامشاط ورؤوس  
اصابع القدم •

#### ب - العضلة الاخمعية Soleus

المنبت :- فى القسم الاعلى من السطح الخلفى من عظمى القصبة والشنطية •  
المغرز :- فى عظم الكاحل Oscalis - بوساطة وتر آخيل •  
العمل :- بسط رسغ القدم •

ان قصر عضلات العجل سبب فى حصول القدم المسطحة ، وعليه يجب  
ان تكون تمارين المعالجة مساعدة على استطالة هذه العضلات •

سبق وان ذكرت بان للقدم قوسان فحسب ، غير اننى لم اشر الى  
مواقعها الحقيقية ، التى يسهل على القارى والمريض من التعرف عليها بصورة  
جلية ، ليستطيع من متابعة البحث وفهمه جيدا والافادة منها حين القيام  
باجراء التمارين الاصلاحية التى سندرجها فى مؤخرة المقال : القوس الطولى  
"Longitudinal Arch" وموضعه على الجانب الداخلى للقدم ويمتد من  
العقب الى قاعدة الاصبع الكبرى • والقوس المستعرض "Transverse Arch"  
ويمتد من قاعدة الاصبع الكبرى الى قاعدة الاصبع الصغرى •

وان حالة تراخى العضلات وضعفها تسمح بنقل عظام القوس الطولى  
من موضعها الى اسفل • واذا كانت هذه الحالة غير ظاهرة بالأى يكون القوس  
قد تلاشى تماما فيقال فى هذه الحالة ان بالقدم ضعفا • وهنا ينبغى أن يلفت نظر  
التلاميذ الى استعمال منتهى العناية فى مثل هذه الحالة لمنع أى ضعف ينتاب  
العضلات بعد ذلك ويكون من عواقبه زيادة فى هبوط القوس ، وأن لم

تعالج هذه الحالة بشد وتقوية العضلات المختصة ، فان القوس فى النهاية يصل من الهبوط بحيث يصبح لدى التلميذ ما يسمى بالقدم المسطحة •

تتدخل القدم المسطحة مع المشى وذلك بازالة القفزة من الخطوة ، وقد تكون أيضا السبب فى اهتزاز عنيف للجسم • وكثير من الناس يشكون آلام الرأس وقد عرف أخيرا أن سببها يرجع الى القدم المسطحة •

ومن أسهل الطرق لفحص القدم المسطحة أن يلاحظ المدرس اتجاه وتر آخيل "Tendon of Achilles" فى الطالب ، فاذا كان الطرف الاسفل لهذا الوتر يتجه الى الخارج فيكون لدى الطالب فى هذه الحالة ضعف فى قدمه أو تسطح فيها • كما أن بروز المفصل بين الساق والقدم الى الداخل دليل على وجود القدم المسطحة عند الطالب •

وهناك طريقة أخرى لفحص ذلك العيب الجسمى عند التلميذ وذلك بوضع الاصابع تحت القوس عندما يكون التلميذ واقفا على كلتا قدميه • وأيضا اذا تغير قوس القدم بالتراب من الداخل بعد المشى على سطح مترب اعتبر ذلك دليلا آخر على وجود القدم المسطحة •

اسبابه :

- ١ - ضعف عضلات القدم •
- ٢ - الاوضاع الرديئة التى يوضع فيها القدم •
- ٣ - زيادة الوزن الفجائية او الفائقة الحد •
- ٤ - بعض الاعمال التى يضطر معها التلاميذ الى الوقوف مددا طويلة وعلى الاخص على سطح خشن الملمس •
- ٥ - حمل الاوزان الثقيلة ، اذ أنه من شأنه ان يلقي مجهودا على عضلات القدم فيضعفها ويعرضها للتمدد ومن ثم ينشأ تسطحها •
- ٦ - الاحذية الضيقة •
- ٧ - الضعف فى عضلات القدم الناشئ من اصابة القدم او المرض

- الطويل • والقدم المسطحة تكون عادة مقرونة بالجنف والجنأ
- واصطكاك الركبتين فى الاطفال • ويحتمل ان يكون السبب
- فيه نقصانا عاما فى قوة القوام •

## التمارين العلاجية :

### ١ - تمارين تمهيدية :

- ( يخلع المصاب حذاءه عند تأدية تمارين القدم ) •
- أ - السير والوقوف ، يقف التلميذ مع ثنى اصابعه وطبها تحت
- القدم • يمشى التلميذ بخطوات قصيرة فى خط مستقيم على
- الارض • يستمر التلميذ بالحركة حتى تدفىء القدمين •
- ب - ( الوقوف ) - رفع الكعبين وخفضهما مع المحافظة على اتجاه
- راس القدمين الى الامام •

### ٢ - تمارين تدوير القدم foot Rolling

- أ - ( الوقوف - اليدان على الخاصة ) • رفع ساق واحدة ، تدوير القدمين
- بالتناوب على الصورة الآتية :

(١) ثنى القدم foot flexion

(٢) قلب القدم الى الداخل قلبا تاما full Inversion

(٣) مد القدم او بسطها foot Extending

(٤) شتر القدم او ( قلب القدم الى الخارج ) foot Everting

يمكن اجراء هذا التمرين فى وضعية الجلوس ، بقدم واحدة او  
بكليهما معا •

يستحسن ان يجرى تطبيق هذا التمرين بالمساعدة أولا • ثم يقوم  
المريض باجرائها بدون مساعدة • يجب تجزئة الحركة خلال فترة محدودة •  
[ انظر شكل (٢) ] •



ثني القدم



قلب القدم الى الداخل



بسط (مد) القدم



الشَّهْر (قلب القدم الى الخارج)

### شكل (٣) تمارين تدوير القدم

٣ - تمارين ثني القدم foot flexing

لهذه التمارين صفة مهمة وهي تقوية العضلة القصية الامامية واستطالة عضلة بطن الساق . وهذه التمارين هي :



- أ - ( الوقوف - اليدين على الخاصرة ) • ثنى القدمين بالتناوب •  
 ب - ( الوقوف بالاستناد ) - ثنى القدمين على التوالي ( احذر عدم ثنى الورك ) •  
 ج - ( الوقوف ) - السير على العقبين مع ثنى القدمين ( الركبتان مستقيمتان ) •  
 ملحوظة :- يجب ان يكون السير بخطوات قصيرة ثم تتسع تدريجيا لحفظ عضلة العجل من الطول او التمدد •  
 د - ( الوقوف باتجاه السلالم - اسناد القدمين الى اسفل ركن السلم - مسك ركن السلم باليدين على مستوى الكتفين ) - ميل الجذع الى الوراء ثم الرجوع الى السلم •  
 ملحوظة :- توضع القدمان اسفل ركن السلم اكثر ما يمكن ، وعند ازدياد قوة العضلات تسحب تدريجيا حتى تبقى الاصابع فقط تحت ركن السلم •

#### ٤ - تمارين تقويس القدم foot Arching

يستعان بهذه التمارين فى معالجة عضلة قابضة الاصابع القصيرة



شكل (٣) تمارين تقويس القدم

وعضلتى القصصية الامامية والخلفية [ انظر شكل (٣) ] • وهذه التمارين هي :-

- أ - ( الوقوف ) - تقويس القدمين بالتناوب •
- ب - ( الوقوف ) - تقويس القدمين ومدهما بالتوالى •
- ج - ( الوقوف ) - التقاط بعض الاشياء من الارض بوساطة اصابع القدمين كالذبل او القلم او البندق او الجوزة الصغيرة ....
- الخ •
- د - ( الوقوف ) - السير على خط مستقيم من العقب الى الاصابع ومحاولة تقويس القدم •
- هـ - ( الوقوف • اليدان خاصرة ) - قلب القدمين الى الداخل ثم تقويسهما • وهذا يؤدي الى تقلص عضلة قابضة الاصابع القصيرة والعضلة القصصية الامامية فتتكمش الاصابع وتقصر القدم على قدر الامكان •

#### ٥ - قلب القدمين الى الداخل والخارج ( الشتر )

feet Inverting and Everting

ويستفاد من هذا التمرين في تقوية عضلاتى القصصية الامامية والخلفية وعضلات الشظية • يجب اجراء هذا التمرين على الصورة التالية :-

( الجلوس بمد الساقين • اليدان ممدودتان الى الوراء ومسدتان على الارض ) - قلب القدمين الى الداخل والخارج بالتناوب •

ملحوظة :- ( يجب خلع الاحذية عند اجراء التمارين المذكورة سابقا والتي ستذكر فيما بعد • كما يجب التدرج فى التمارين من السهل الى الصعب على قدر المستطاع ) •

لا يسمح بالقفز او الوثب ما لم تقو العضلات ، وما لم يكن المفصل اكثر مرونة ، وذلك عند ممارسته التمارين مدة من الزمن ليحصل على فائدة من الوثب او القفز • ويحسن بنا ان نتم ذكر التمارين الاخرى التى قد

لا تخلو من فائدة ، اذا احسن المصاب ممارستها حسب الاصول وهى :

١ - ( الوقوف - اليدين على الخصرة ، اصابع القدمين متقاربة والعقبان

متباعدان ) - رفع العقبين وخفضهما على التوالى • ( يعاد التمرين

عشر مرات ) •

٢ - ( الوقوف بضم القدمين ) - رفع العقبين وخفضهما على التوالى مع

رفع الذراعين الى الامام وخفضهما • (يشترط عند اجراء هذا التمرين

فتح العقبين الى الخارج بقوة عند رفعهما • ( يعاد التمرين عشر

مرات ) •

٣ - ( الوقوف بفتح الساقين ، اليدين على الخصرة ) - نسي الركبتين

وفتحهما الى الخارج ثم مدهما الى الاعلى ( يعاد التمرين عشر مرات ) •

٤ - ( الوقوف بفتح الساقين ، القدمان متوازيتان والمسافة بينهما خمسة

عشر انجا ) - رفع الحافة الداخلية للقدمين وتركيز ثقل الجسم على

الحافة الخارجية لهما • ( يعاد التمرين خمس عشرة مرة ) •

٥ - يمكن اجراء التمرين الرابع بالسير الى الامام والخلف مع حفظ

القدمين متوازيتين • ( يفيد هذا التمرين فى ازالة الالم الشديد الناتج

عن استطالة الاربطة • )

٦ - ( الوقوف بضم الاصابع وفتح العقبين ) - السير الى الامام او الوراء

مع المحافظة على وضعية القدمين •

٧ - ( الوقوف ) السير برفع العقبين ( ان هذا التمرين مفيد جدا ، فيجب

ممارسته كثيرا •

### صحة القدمين :

ان العناية بصحة القدمين ، يجب ان لا تقل عن العناية باى عضو آخر

من الجسم • كما يجب الا تقل عناية السليم بهما عن عناية المصاب ، ( الوقاية

خير من العلاج ) وان كان هذا القول لا يحظى باهتمام يسير ممن لم يقعوا

فى شرك الامراض عرضا • ان عناية بسيطة بقدمينا تكفيانا تحمل آلام شديدة

قاسية ، واذا كنا نضجر ونألم لوجود مسمار فى احدى اصابعنا فكيف بنا اذا اصبحت قدمنا ، لا سمح الله ، بالتهاب فى المفصل او خروج عظم من محله ؟ هذا سؤال لا اظن احدا يحسن الاجابة عنه الا من ابلاه الله بمثل هذه الاصابات لقلة عنايته بقدميه فى وقت كان ذلك يسيراً عليه .

ان اصابة القدم بألم مزعج ناتج عن :-

- ١ - عدم ملائمة الحذاء للقدم .
- ٢ - عدم استعمال القدمين بصورة صحيحة .

وعلى أساس هذين السببين ننصح باتباع النصائح الآتية :

أ - يجب ان تكون القدم مع محورها الطويل Long Axis أثناء المسير موازية لاتجاه تقدمها مما يجعل الامشاط ممدودة الى الامام وعلى هذا فليدرب الاطفال منذ الصغر . واذا خولفت هذه القاعدة اثناء المسير يشعر الانسان بتعب وتقل مقاومة قدميه وتضعف قابليتهما .

ب - يجب ان يطأ العقب الارض اولاً ثم ينتقل الثقل تدريجياً الى كرة القدم بانتقال الجسم الى الامام .

ج - يجب ان تؤدي كل خطوة فى رفع الجسم عن كرة القدم لتقلص عضلات القدم مما يؤول الى تقويتها .

د - اما عن الحذاء ، فيجب ان يكون له خط داخلى مستقيم نسبياً من العقب الى مقدمة الحذاء . مع ان اقدام الافراد متباينة الا ان اغلب اقدام يلائمها الاحذية ذات الحدود المستقيمة .

هـ - يجب ان يكون ثمة تناسب بين مقدمة الحذاء وعرض القدم .

و - يجب الا يكون الحذاء ضيقاً بحيث يضغط على القدم وخاصة الاصابع ، فلا تتوفر الراحة للشخص .

ز - يجب الا يعلو كعب الحذاء عن الانح الواحد والا ينقص عن

ربع انج ، كما ان قاعدة الحذاء يجب الا تقل عن مساحة عقب القدم •

ح - كلما ازدادت مسام المادة التي تصنع منها الاحذية ، كانت تلك الاحذية هي المريحة والصحية •

ملحوظة :- مما لا شك فيه ان جعل عقب الحذاء مطاطية ، مما يخفف من وطأة الصدمة بالارض الصلبة •

ان اتباعنا النصائح الانفة يوفر علينا جهودا في تحمل الالام نحن في غنى عنها •

#### مصادر البحث

1. Fundamentals of Health.  
by T. Bruce Kirkpatrick & Alfred f. Huettner.
2. Anatomy & physiology of phy. Education.  
by Major R.W. galloway.
3. Massage & Swedish gymnastics.  
by Thomas D. Luke, M.D.
4. Elementary Anatomy & Physiology.  
by Mary Rees Mulliner, M.D.
5. Theory of gymnastics.  
by J. Linhard.
6. Phy. Education in Boys' Schools.  
by F.J.C. Marshall, M.C. & W. Russell Rees.

7.

معجم العلوم الطبية والطبيعية - للدكتور شرف

# مميزات الحياة القبلية الكردية

الدكتور شاكر خصبك

المدرس في قسم الجغرافية

يبدو للباحث أن المميزات العامة للحياة القبلية الكردية تنحصر في ثلاث صفات أساسية هي الرئاسة والقتال والمسؤوليات القبلية .

## ١ - الرئاسة :

يمكننا أن ندرس مميزات الرئاسة القبلية الكردية من خلال ناحيتين ، الأولى هي متطلبات الرئاسة والثانية هي مزايا الرئاسة .

### متطلبات الرئاسة :

تنبثق رئاسة القبيلة الكردية من الحاجة الى تنظيم وتوجيه النشاطات المختلفة للقبيلة ، ومع أن منصب الرئاسة وراثي في العادة إلا أنه مع ذلك يتطلب صفات معينة أهمها القوة الحربية والثروة والمقدرة الشخصية . فالقوة الحربية ميزة ضرورية للغاية ان لم تكن شرطاً أساسياً لرئاسة القبيلة الكردية ، ذلك أن القتال يعتبر وجهاً مهماً من نشاطات القبيلة ، وإذا ما علمنا أن القبيلة الكردية هي مجموعة من الأفخاذ ترتبط بعضها عن طريق السكنى في أرض معينة والخضوع الى رئاسة معينة أدركنا أهمية تمتع الرئيس بالقوة الحربية ، والواقع أن فخذ القبيلة الذي تنحصر فيه الرئاسة لا يمكن أن يحتفظ بزعامته ما لم يكن متمتعاً بقوة حربية تؤهله لغرض سيطرته على بقية الأفخاذ والدفاع عن القبيلة ازاء غارات الأعداء .

ان نواة القوة الحربية التي يحتفظ بها الرئيس هم المرافقون . لذلك كان عدد المرافقين ذا أهمية بالغة من وجهة نظر أبناء القبيلة أنفسهم أو أفراد القبائل الأخرى ، ويقوم المرافقون بالإضافة الى أعمالهم الحربية بحماية الرئيس وتأييد معارضة . ويتعهد الرئيس بدوره بالانفاق عليهم وعلى عوائلهم ، ويختار الرئيس هؤلاء المرافقين من شتى الأفخاذ وهم لا يرتبطون

مع بعضهم برابطة النسب ، الا أنهم يشتركون بصفة واحدة هي كونهم رعاة مترحلين ، وهؤلاء بدورهم يكرهون الارتباط بعمل نمطي ويميلون بطبيعة حياتهم البدوية الى القتال .

أما الثروة فهي صفة ضرورية للرئاسة لانها ترتبط بعدد المرافقين وبدرجة ضيافة الرئيس . وقد ذكرنا أهمية عدد المرافقين ويمكننا القول أن درجة الضيافة لا تقل أهمية في أثرها عن عدد المرافقين . وتحدد درجة ضيافة الرئيس نوع « المضيف » الذي يتعهد بالاتفاق عليه . فكلما اتسع هذا المضيف وكثر عدد زواره ارتفعت سمعة الرئيس وازداد نفوذه . ويمكن القول أن مضيف الرئيس يعتبر رمزا لوحدة القبيلة . ففيه يعلن الرؤساء الصغار ( رؤساء الأفخاذ ) عن ولائهم للرئيس ، وبين جدرانه يحس أفراد القبيلة بالأمان والاطمئنان . ولعل أبرز دليل على أهمية صفة الضيافة لرئيس القبيلة هو ما يقوم به رؤساء القبائل بالفعل من اتفاق أغلب وارداتهم على المضيف ، حتى أن بعضهم كثيرا ما يضطر الى الاسدانة من التجار والمرايين .

أما المقدرة الشخصية التي لا بد للرئيس من التحلي بها فتتمثل بتوفر صفات متعددة أهمها الشجاعة والتدين والذكاء . فانشجاعة صفة ضرورية للرئيس ما دام النظام القبلي يعرض القبيلة لحروب مستمرة ، وما دام رئيس القبيلة مسؤولا عن القيادة الحربية . أما التدين فهو صفة مهمة برأى الاكراد . واذا ما كان الرئيس ذا نسب أو صفة دينية كان مركزه أقوى وأرسخ . ولعل ذلك يعلل لنا كثرة رؤساء القبائل ممن يحملون ألقابا دينية في كردستان كلقب ( الشيخ ) أو ( الملا ) . أما الذكاء فانه يساعد الرئيس على توسيع نفوذه داخل القبيلة ( بين الأفخاذ ) وخارجها ( بين موظفي الحكومة ) .

#### مزايا الرئاسة :

ان رئاسة القبيلة الكردية تضمن للرئيس ثلاث مزايا رئيسة هي السطوة المطلقة ورئاسة القضاء القبلي والسيطرة على أراضي القبيلة .

فأما السطوة المطلقة فهي صفة مميزة للرئاسة في القبيلة الكردية ،  
وان كان الرئيس يستشير في العادة الرؤساء الصغار أو الرجال المسنين في  
القبيلة • ويقول نيكيتين انه متى ما تسلم الرئيس الفردى سلطاته فليس  
للفرد القبائلي أن يناقش مدى نفوذه في أية قضية كانت<sup>(١)</sup> • أما ملينجن  
فقد وصف سلطة الرئيس القبائلي الكردي بما يلي : ( ان الرئيس القبائلي  
الكردي هو ديكتاتور مطلق ، ولا حد لسلطاته • وبوسع أن يصادر  
ممتلكات أي فرد قبائلي ، وأن يأمر بقتله متى ما وجد ذلك مناسباً )<sup>(٢)</sup> •

وتعد قرارات الرئيس في شؤون القبيلة نهائية ولا يمكن لأي فرد  
أو جماعة دحضها أو إلغاؤها • أما من تحدثه نفسه بمعارضة الرئيس ومخالفة  
أوامره فلن ينجو من عقابه أو بطشه • ويقول شاكر فتاح في صدد الحديث  
عن سلطات الرئيس القبلي : ( يحاول رئيس القبيلة في العادة حل المشاكل  
التي تحصل بين أفراد أفراد القبيلة أو العشيرة حسب الأصول العشائرية  
أو الدينية • أما القضايا التي تمس مصالحه أو كرامته أو حياته فلن يقيد  
في حلها أي قوانين دينية أو قبائلية ، وسيله الوحيد الى حلها هو الانتقام •  
وقد يبلغ انتقام الرئيس أحياناً أقصى حدود القسوة ان لم توقفه قوة فوق  
قوته • فالرئيس يتمتع بسلطة غير محدودة ضمن قبيلته لا تشابهها الا سلطة  
الملك المطلق • وكل من يتجاهل أوامر من أفراد القبيلة فانه يعرض نفسه  
للعقاب الصادم بالضرب أو النفي بل وحتى القتل • وهذا هو الأسلوب الذي  
يتبعه جميع رؤساء قبائل الزيارى والهركى والسورجى التي تقطن لواءى  
الموصل وأربيل ) •<sup>(٣)</sup>

أما رئاسة القضاء القبائلي فانها بيد الرئيس الكردي ، فهو حامى القبيلة

---

(1) Nikitine, B., 'Les Kurdes', Paris 1956, p. 133.

(2) Millengene, F., 'Wild life among the Kurds', London 1870,  
p. 240.

(3) قضاء عقرة — بقلم شاكر فتاح ( كتاب غير مطبوع ) عام ١٩٥١

ص ٦٢ — ٦٣ •



من الاعتداء الداخلى أو الخارجى • والنواقع أن الفرد القبائلى يفضل قضاء الرئيس على قضاء الحكومة لسيين أولهما أنه يعتقد أن الرئيس هو مرجعه الحقيقى ، وثانيهما أن شكواه لدى المراجع الحكومية لا تأتى فى العادة بنتيجة سريعة كما قد تكلفه بعض النفقات •

ان المحاكمات القبلية تعقد فى العادة فى مضيف الرئيس ويحضرها الرؤساء الصغار وبعض أفراد القبيلة • ولا يتدخل الرئيس فى الخصام بين الافراد المتخاصمين ما لم يطلب منه أحدهم التدخل ، وتدخله فى الحقيقة نوع من التحكيم • ويحاول الرئيس الحصول على تعويض للطرف المتضرر الذى قد يدفع على شكل مال أو حيوانات أو نساء ( فى القضايا الخطيرة ) • وقد يقرر الرئيس فى قضايا القتل نفى الشخص المذنب خارج أراضى القبيلة ومصادرة أملاكه • ولا يصدر الرئيس حكما بالسجن أو الموت • وعلى العموم فإن قضايا القتل لا تعرض فى العادة على الرئيس بل يلجأ الطرف المتضرر الى المقاتلة بالمثل بقتل فرد من أقرباء القاتل • وفى هذه الحالة تعد القضية مغلقة ، لكن أعمال المقاتلة بالمثل قد تستمر فى بعض الحالات زمنا طويلا مما يحمل الرئيس الى التدخل وحسم النزاع • وتعرض فى الوقت الحاضر قضايا القتل على السلطات الحكومية مباشرة •

أما سيطرة الرئيس على أراضى القبيلة المشاعة فانه أمر يتمثل فى جميع الاشكال القبلية الكردية • وفى قبيلة يشدر يمثل الاغوات الميرادولين - وهم رؤساء القبيلة - طبقة الملاكين • كذلك شأن السيكات الذين كانوا رؤساء قبيلة الجاف المترحلة والذين يمثلون الآن ملاكى أراضى قبيلة الجاف • وهذا هو شأن بقية أجزاء كردستان ، حيث يشير تايلور الى حالة شبيهة فى كردستان التركى (١) •

ويمكن أن تفسر هذه الظاهرة على ضوء طبيعة تكوين القبيلة الكردية ،

---

(1) Tylor, "Travels in Kurdistan", Journal of Royal Geographical Society, vol. XXXV, 1865, p. 50.

فألتخذ الحاكم ينال مركزه بقهر الأفخاذ الضعيفة و إخضاعها لسيطرته ثم الاستيلاء على أراضيها • ولهذا فالرئيس الكردي يتمتع بمزايا المالك الاقطاعي ، وهو ذو مركز شبيه بمركز البارونات الاقطاعيين في القرون الوسطى • وقد كان اعتماد الدولة العثمانية على رئيس القبيلة في جمع الضرائب عن الارض عاملا هاما في تثبيت حقه في اراضي القبيلة بمرور الاعوام •

## ٢ - القتال :

ان القتال من الصفات المتميزة للحياة القبلية الكردية • وقد كانت الحروب بين القبائل الكردية دائمة أثناء السيطرة العثمانية • أما في الوقت الحاضر فان الحكومة تتدخل في أي صدام قد يحدث بين القبائل • والواقع أن أسباب تلك الحروب ترجع الى عوامل سياسية وجغرافية ولا ترجع الى حب الاكراد للسلب والنهب كما زعم كثير من الرحالة الاجانب • ويتمثل أثر العامل السياسي بفشل الادارة العثمانية في السيطرة على القبائل الكردية • والواقع أن السلطات العثمانية لم تكن تتدخل في شؤون القبائل الداخلية اذا كانت تدفع الضرائب ، فوعورة المنطقة الكردية وندرة المواصلات فيها يجعل من الصعب فرض السيطرة عليها • ويعود أثر العامل الجغرافي في تشجيع القتال بين القبائل الكردية الى طبيعة ارض كردستان الوعرة • فوعورة المنطقة الكردية قد أدت الى التنافس الدائم على الاراضي الزراعية الخصبة وعلى المراعي الغنية • ولهذا فان عامل الاحتكاك بين القبائل المختلفة كان متوفرا على الدوام • هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان قلة مصادر المياه في القرى الكردية كسببت تحمّل السكان الزائدين الى ترك القرية والهجرة الى أماكن أخرى لتخفيف الضغط عن المياه • وكثيرا ما يكون أولئك الجماعة المهاجرون الذين تربطهم رابطة النسب فرقة حربية تشن الغارات على القرى الضعيفة وتغتصب أراضي سكانها •

ويقول برتون Burton ان انعزال السكّنى الكردية في قرى

متفرقة - وهو أمر ناجم عن وعورة تضاريسها - قد جعل التعاون بين سكانها أمرا متعذرا . وقد أدى هذا بدوره الى أن تستقل كل أسرة كبيرة بقرية خاصة وتعتمد على نفسها في انتاج حاجاتها الضرورية ، وأن تقف في وجه كل غريب يتطفل عليها معتبرة اياه تهديدا لأمنها واطمئنانها الاقتصادي<sup>(١)</sup> .

وهناك أسباب ثانوية أخرى للحروب القبلية منها الانتقال الشخصي والنار ، الا أن أمثال تلك الحروب تحدث في أحوال نادرة للغاية ، وعلى نطاق محدود .

ويقوم الرئيس بقيادة المعارك المهمة ، أما الاغوات الصغار فيقومون بتهيئة جماعاتهم المسلحة ليكونوا تحت أمره الرئيس ، ويشترك في المعارك الواسعة النطاق جميع الافراد القادرين في القبيلة الذين تتراوح أعمارهم بين سن الخامسة عشرة حتى الستين ممن يمتلكون السلاح ، بينما يقوم بقية أفراد القبيلة بإعانة المتحاربين . أما المعارك الصغيرة فلا يشترك فيها الا أشخاص معينون ممن لهم وِلع خاص بالقتال .<sup>(٢)</sup>

ان الغزوات والحروب القبلية الكردية تلتزم بتقاليد خاصة تكاد تشبه في سطوتها القوانين . وقد ذكر ويغرام Wigram في صدد الحديث عن تقاليد الغزوات الكردية انها تسمح بنهب الحيوانات والاسلحة والاثاث المنزلي ولكنها تحرم حرق البيوت واتلاف المزروعات وتخريب قنوات الري . كما ذكر أن تقاليد الغزوات تحرم التعرض للنساء أو الشيوخ بأذى حتى أنهم لا يحتاجون الى أية حراسة أثناء الهجوم .<sup>(٣)</sup> وقد أيد هذه الأقوال مارك سايكس Sykes وأكد أن الغزوات القبالية لا تمس الممتلكات الثابتة بأذى ، الا أنها لن تقيد بأية قوانين اذا ما اشتركت السلطات

(1) Burton, H.W., 'The Kurds' Journal of Royal Central Asian Society, No. 8, p. 72, vol. XXXI, 1944.

(2) Barth, F., Principles of social organization of Southern Kurdistan' Oslo 1953, pp. 54-55.

(3) Wigram, W.A. & Edgar, T.A., 'The cradle of mankind' London 1914, pp. 167-8.

الحكومية فى تلك الحروب ، بل تحاول أن تنزل بها أفدح الأضرار <sup>(١)</sup> .  
ويتصف الأكراد بكونهم محاربين شجعانا وصبورين . ولقد وصفهم  
الكاتب هاى Hay الذى اشترك فى عدة معارك ضدهم بأنهم محاربين  
فاشلين <sup>(٢)</sup> ، إلا أن مارك سايكس الذى شهد أيضا عدة معارك من معاركهم  
يؤكد أن قهرهم فى القتال أمر غير يسير <sup>(٣)</sup> .

### ٣ - المسؤوليات القبلية :

لقد ذكرنا بأن الرباط العام بين أفخاذ القبيلة يتمثل بسكنائها فى منطقة  
واحدة وخضوعها الى رئاسة مركزية . لذا نجد أن الرباط الوحيد الذى  
يربط الأفخاذ المختلفة ببعضها هو الاشتراك فى القتال ، ولا يوجد أى رباط  
اجتماعى أو سياسى أو اقتصادى بين الأفخاذ المختلفة ، ولكن أفراد الفخذ  
الواحد يرتبطون بروابط متنوعة تتمثل بالمسؤولية المشتركة والتعاون  
الاقتصادى والمشاركة فى الاحتفالات المختلفة .

فالمسؤولية المشتركة تتمثل بالاشتراك فى القتال مع أية جماعة من  
جماعات الفخذ تعرض للاعتداء . ولا تظهر هذه المسؤولية فى الحوادث  
الفردية . فحادثة القتل التى تقع على فرد من أبناء الفخذ لن تجر أفراد  
الفخذ الآخرين الى معركة مع الطرف الآخر ، بل يتكفل أقرباء القاتل  
الأقربون بالانتقام ، إلا اذا كان الشخص المقتول أحد الرؤساء . لذلك  
لا يمكن اعتبار ( الثأر ) مسؤولية قبائلية بل هو مسؤولية عائلية .

أما التعاون الاقتصادى فيتمثل بالملكية المشتركة لأراضى المراعى  
ولمصادر المياه ، وحتى للأراضى الزراعية فى بعض الأحيان . ولعل هذا  
التعاون يبدو أكثر وضوحا فى حالة القبائل المترحلة ، فالفخذ يمتلك مساحة  
معينة من الأرض بصورة اجماعية كمرعى لحيواناته ، أو قد يؤجر أفراد  
بصورة مشتركة أرضا معينة كمرعى لحيواناتهم .

(1) Sykes, sir Marks, 'The Caliphate last heritage' London 1915, p. 234.

(2) Hay, W. 'Two years in Kurdistan' London 1921, p. 72.

(3) Sykes, Marks, 'Dar ul-Islam' London 1904, pp. 191-2.

وفي حالة القبائل المستقرة يتقيد أفراد القبيلة بالملكية المشاعة لمصادر المياه • ويتحمل الكوخا ( مختار القرية ) في العادة مسؤولية تطبيق هذا القانون الاجتماعي بحيث لا يحاول أحد الأفراد الاستيلاء على مياه للرى تفيض عن حقه • وبما أن الملكية الاسمية للأرض الزراعية تعود الى الأسرة الحاكمة فى القبيلة فإن الرئيس الحق فى الاراضى الزراعية بين أفراد المجتمع القبائلى • والواقع أن لكل فلاح من أبناء القبيلة حقا تقليديا فى مساحة معينة من الأرض • ويتم إعادة توزيع الأرض بين الفلاحين كل عام أو كل عدد من السنين • وليس من الضرورى أن يقوم الرئيس نفسه بهذه العملية • فقد يتولاها مجلس مؤلف من الشيوخ فى القرية يقوم بتوزيع الأرض على فلاحى القرية كلا حسب طاقته وحقه المتوارث • أما مراعى القرية فانها تعتبر ملكا مشاعا لجميع السكان • ويتضح التعاون الاقتصادى بين أفراد الفخذ الواحد أيضا فى داخل القرية بتأجير راع معين للقيام برعى حيوانات القرية بصورة مشتركة •

أما المشاركة فى الاحتفالات فانها تشمل الاعياد والزواج والوفيات ، ففي أيام الاعياد يقوم أبناء الفخذ أو القرية بتبادل الزيارات • كذلك ان أعضاء الفخذ ملزمون بالمشاركة بحفلات الزواج وتقديم الهدايا لأسرة المتزوج • ولكن أعظم المناسبات أهمية هى مناسبة الوفاة ، فتجاهل تقديم التعزية لأسرة المتوفى وعدم الحضور الى حفلات الوفاة أمر لا يمكن أن يغتفر ، وخاصة اذا كان الشخص المتوفى أحد رؤساء القبيلة ، لذلك فإن حفلات الوفاة للأفراد القبائليين تستغرق وقتا أطول من حفلات الاشخاص غير القبائليين ، وهى لا تقل عن أسبوع على أية حال من الأحوال ، وفى حالة وفاة رئيس القبيلة أو أحد الرؤساء الصغار فإن حفلة الوفاة قد تستغرق أكثر من شهر • وفى هذا الاثناء يتقاطر أفراد القبيلة على بيت المتوفى حاملين معهم الهدايا من السكر والشاى والرز والحيوانات •

هذه هى أهم المميزات للحياة القبلية الكردية وهى كما يبدو شبيهة فى أغلب مظاهرها بصفات الحياة القبلية العربية •

# المياه الجوفية في العراق

بقلم : الدكتور عباس احسان البغدادي

رئيس شعبة الهيدروجيولوجيا في مديرية  
الخدمات الريفية العامة ( وزارة  
البلديات ) والمحاضر في علم الجيولوجيا  
بكلية الآداب

## كلمة تمهيدية

لئن كان العراق بلدا زراعيا اشتهر منذ عشرات القرون بخصب تربته ووفرة محاصيله الزراعية فان ثروته المعدنية الآن أصبحت لا تقل شهرة عن شهرته الزراعية تلك بل أنها فاقتها بمراحل . ولما كان علم الجيولوجيا يعتبر الوسطة للولوج الى تلك الكنوز والثروات المعدنية المخبأة بين الطبقات الارضية لذلك وجب أن يولى ما يستحقه من الاهمية البالغة ويشجع الجيولوجيون بأن تقدم لهم كافة التسهيلات التي من شأنها تيسير مهمتهم في الكشف عن تلك الكنوز المندثرة . فهم الذين يعينون المواقع المناسبة لاستخراج المياه الجوفية واستعمالها في شتى الأغراض سواء كان ذلك لغرض الشرب أو الاستعمالات المنزلية أم لغرض الري وهم الذين يثبتون أماكن وجود النفط تحت سطح الأرض ، واليههم يعود الفضل في اكتشاف واستخلاص المعادن المختلفة كالذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والكبريت والبلاتين واليورانيوم وسائر المعادن الأخرى الفلزية التي هي عماد حضارتنا الحديثة والتي منها تستمد موادها الأولية .

فلولا هذا العلم الحيوى - علم الجيولوجيا - لما بلغت حضارتنا هذا الشأو من التقدم والرقى ، ولما انتشرت العلوم والمعارف والصناعات من أقصى المعمورة الى أدناها .

والواقع أن علم الجيولوجيا أخذ في الآونة الأخيرة يحتل مكانا رفيعا

بين العلوم لما لفروعه المختلفة - بالتضافر مع سائر العلوم الاخرى - من أثر بارز في تقدم مدينتنا ، هذا التقدم السريع الذي لم يسبق له مثيل في التاريخ . ولا أدل على مدى تأثيره على مدينتنا من أخذ النفط كمثل للدلالة على أهميته البالغة . فالنفط ومشتقاته هو في الحقيقة عصب المدينة الحالية ، فيه تدار معظم الآلات التي تتركز عليها صناعاتنا التي هي بدورها عماد نهضتنا الحاضرة .

والماء - كما هو معلوم - مادة ضرورية للحياة اذ لا تستقيم حياة بدونه ذلك لان انعدامه أو شحته في منطقة ما يحيل تلك المنطقة الى أرض جدياء يصعب العيش فيها وربما يستحيل . ولذا فان دراسة المناطق المختلفة لمعرفة وجود المياه فيها ، ثم تعيين مقدارها وعمقها عن سطح الارض فضلا عن بيان نوعيتها وخصائصها الاخرى تدخل كلها ضمن علم الجيولوجيا . وعليه فاننا ان أولينا هذا العلم العناية التي يستحقها ، وحاولنا الاخذ به وتطبيق ما يمكن تطبيقه فان آفاقا من الرخاء تفتح أمامنا ونحصل على منافع عديدة . وبناء على ذلك فان دراسة العراق جيولوجيا امر ضروري جدا كي يمكن تقدير ثروة البلاد المعدنية والمائية . فاذا علمت مصادر المياه ومقاديرها مثلا وامكن تعيين الطبقات الارضية التي تحتويها ونوعية كل منها فان ذلك يفتح الباب على مصراعيه امام المشاريع المختلفة كي تستثمرها وتفيد منها .

هذا وساتطرق في بحثي هذا الى التاريخ الجيولوجي للعراق والوضع الطبوغرافي والجيولوجي وبيان الطبقات الارضية المختلفة مع الاشارة الى انواع الصخور التي تتكون منها ثم انوء عن علاقة المياه الجوفية بهذه الطبقات الارضية لانها الهدف من هذا البحث .

### التاريخ الجيولوجي للعراق :

لقد اظهرت الدراسات الجيولوجية لاراضي وادي الرافدين بان سطح العراق قد غمر تحت مياه البحر مرات عديدة ولمدد طويلة وفي كل مرة يغور فيها تتكون طبقات ارضية جديدة تتميز عما سبقها من طبقات سواء

كان من ناحية الصخور وخصائصها أم من ناحية المتحجرات التي تحتويها واختلاف انواعها • وعلى كل حال فالجيولوجيون أى علماء طبقات الارض يعتقدون بان اول ظهور لارض العراق فوق سطح مياه البحر كان فى عصر الكامبريوم الذى هو احد عصور الحقب الابتدائى المعروف لدى الجيولوجيون بالاليوزويك • ولم تكن الظروف وقتذاك كما هى عليه الان وانما كانت تتألف من قارتين واسعتين شمالية وجنوبية يفصلهما بحر متوسط وكان هذا البحر يؤثر بين حين وآخر على ساحلى هاتين القارتين فيغمر بعض اجزائهما ثم ينحسر عنهما • وعندما ظهرت ارض العراق للمرة الاولى كانت متصلة بشبه جزيرة العرب وايران غير ان الامر لم يدم على هذه الشاكلة بل غمرت هذه الاراضى فى اواسط الحقب الابتدائى ثم عادت وانغمرت ثانية بتأثير هجوم مياه البحر مجددا عليها •

وكان هذا الهجوم على نطاق واسع بحيث شمل اجزاء شاسعة من قارة آسيا ودام زمنا طويلا قبل ان ترتفع فوق سطح الماء • وفى ابتداء الحقب الثانى او المتوسط الميزوزويك كان القسم الجنوب الغربى من قارة آسيا - بما فيه العراق - عبارة عن قطعة واحدة الا انها انغمرت فى اوائل هذا الحقب لتتكون طبقات جديدة من الصخور وبعد فترة من الزمن ارتفعت الارض فوق سطح البحر حتى اذا شارف الحقب الثانى على الانتهاء ازداد تقدم مياه البحر على الارض اليابسة بحيث بقى الجزء الشمالى من العراق مغمورا تحت المياه لمدة طويلة •

ثم اعقب ذلك الحقب الثلاثى ( ترشيرى ) وقد تميز اوائله بالنشاط حيث ازدادت خلاله فعالية البراكين وكذا حركات القشرة الارضية بتأثير الانفعالات فى باطن الارض وقد صاحب هذه الفعالية تكون سلاسل جبلية فى انحاء مختلفة من العالم • اما الجبال الحالية التى نعرفها كجبال هملايا والالب وطوروس وجبال كردستان والبرنة والابنين وغيرها فقد تكونت فى اواخر الحقب الثالث الذى تميز بدوره بحصول اندفاعات وفعالية هائلة للبراكين • ويمكننا القول استنادا الى الدراسات الجيولوجية بانه فى اواخر



الحقبة الثالث أخذت الارض بما فيها من قارات وبحار شكلها الحالى .  
وفى الحقبة الرابعى تجددت فعالية البراكين ونشطت حركات القشرة  
الارضية وكانت هذه هى آخر الاندفاعات الكبيرة التى حصلت وقد نجم  
عنها تكون بعض السلاسل الجبلية من جهة وفقدان سطح العراق مستنداً  
يستند عليه مما جعل سطحه يهبط ويظهر هذا بجلاء فى جهات العراق  
الشرقية حيث يبدو مبتورا فى خط مستقيم تقريباً اتجاهه العام هو شمال  
غرب - جنوب شرق .

### الوضع الجغرافى والطوبوغرافى :

تبلغ مساحة العراق حوالى ٤٥٣ الف كيلو مترا مربعا وتبلغ نسبة  
القسم الجبلى منه حوالى ٢٠٪ من مجموع مساحته وتبلغ مساحة الاراضى  
الواقعة ما بين النهرين حوالى ٢٠٪ . اما ما تبقى منها وتقدر بحوالى ٦٠٪  
فهى عبارة عن صحراء شاسعة تمتد غربى نهر الفرات .

يحد العراق من الشرق ايران ومن الغرب سوريا وشرق الاردن  
وجزاء من المملكة العربية السعودية ومن الشمال تركيا ومن الجنوب  
المملكة العربية السعودية والكويت وخليج البصرة .

اما الوضع الطوبوغرافى فيمكن تقسيم سطح العراق الى ثلاثة اقسام  
رئيسية .

**القسم الاول -** وهو الذى يشمل المنطقة الجبلية ويتألف من سلاسل  
جبلية مختلفة الارتفاعات يربو ارتفاع بعضها على ثلاثة الاف متر كجبل  
حصارروست وجبال سلساتى حيث يبلغ كل منهما حوالى ٣٧٠٠ متر وجبل  
رشكروان ويبلغ ارتفاعه ٣٣٠٠ متر وجبل افرازداغ ويبلغ ارتفاعه ٣٠٠٠ مترا  
واتجاه الجبال فى شمال العراق هو اتجاه شرق - غرب ثم تأخذ فى الانحراف  
فى الشمال الشرقى منه بحيث يصبح اتجاههما العام شمال غرب - جنوب  
شرق . وبذا يكون خط الحدود موازيا لها .

هذا ويلاحظ ان الجبال تزداد ارتفاعا كلما ابتعدنا عن سهل العراق العراق بصورة مطردة وتكون فيما بينها جبالا متوازية منتظمة الشكل ويستثنى من ذلك منطقة صغيرة ضيقة تمتد ما بين حلبجة وشمالى قلعة دزه والتي يطلق عليها الجيولوجيون اسم منطقة الزحف Nappe Zone ان جبال منطقة الزحف تتميز بفقدان الانتظام فى ارتفاعاتها ووديانها وتوازيها فليست المرتفعات بأنطواءات محدية ( إنتكلاين ) كما وليست وديانها انطواءات مقعرة ( سنكلاين ) كما هو الحال فى السلاسل الجبلية الاخرى • فالوديان قد حصلت بفعل التعرية ونحت المياه لها وانها تتميز بتعرجاتها الكثيرة وشدة انحدار جوانبها •

**والقسم الثانى -** ويشمل الاراضى الواقعة ما بين النهرين وقد تكون القسم الشمالى منها من الرواسب التى خلفها البحر بعد تقهقره فى الاتجاه الجنوب الشرقى فى حين ان القسم الاوسط والجنوبى من هذه المنطقة يعتقد بأنها كانت تشكل دلتا النهرين دجلة والفرات فى ذلك الزمن وقد تكونت من الرواسب التى نقلها كلا من النهرين مع روافدهما بدليل طبيعة هذه الارض وعناصر التربة المكونة لها غير ان هناك رأيا جديدا يشجب قصة الدلتا •

**والقسم الثالث -** ويشمل الصحراء الممتدة غرب نهر الفرات وهى تزداد ارتفاعا كلما اتجه المرء غربا الى ان تبلغ اقصى ارتفاعها قرب الحدود السورية - العراقية حيث يقرب ارتفاعها من ٩٠٠ مترا تقريبا • ويتميز القسم الشمالى من هذه الصحراء والمعروف بالبادية الشمالية فى كون وديانها ضيقة وعميقة وليس لمعظمها مصبات بل تنتهى بمنخفضات طبيعية تعرف بالفيضة • وان معظم سطح البادية الشمالية تغطى بطبقات من الصخور الصلبة فى حين ان القسم الجنوبى من الصحراء والمعروفة بالبادية الجنوبية يتكون بعض سطحها من رمال وحصى متخلخلة الامر الذى يجعل جريان مياه الامطار المكونة للسيول على سطحها ولمسافات بعيدة غير ممكنا بل انها تغور

سريعا في الاعماق وهذا مما يحول دون تكوين الوديان والاخاديد في هذه المنطقة .

### الوضع الجيولوجي :

لقد اظهرت الدراسات الجيولوجية التي اجريت في العراق بان الطبقات المكونة للجبال تغور تحت مجرى نهري دجلة والفرات في اعماق مختلفة الى ان تقترب من سطح الارض ثانية في غرب نهر الفرات وهذا مما يشكل انطواء مقعرا واسعا ( سنكلاين ) أو يتكون منه عدة انطواءات مقعرة صغيرة تعرف باسم سنكلاينوريوم وفي هذا الانطواء المقعر تجمعت مواد مختلفة نقلت بواسطة الانهر من المناطق الشمالية والشرقية او انتقلت اليه بواسطة السيول الآتية من شبه جزيرة العرب او ما ذرته الرياح العاتية . أجل ان هذا التقرع الواسع مضافا اليه المواد التي تراكمت فيه قد اسبغ على سطح العراق طابع الوادي . ولذا فلا يجب ان يلتبس الامر علينا ونظن ان وادي الرافدين قد حصل نتيجة لفعالية النهرين وحفرهما له ، بل مرد ذلك الى وضع الطبقات الارضية التي جعلت للسطح شكلا يشبه الحوض محوره الطولي يمتد في الاتجاه شمال غرب - جنوب شرق .

اما كيف حصل هذا الحوض وما هي العوامل التي ساهمت في تكوينه فيجب الجيولوجيون على ذلك بان القشرة الارضية لمنطقة العراق وما جاوره من مناطق تعرضت فيما مضى الى ضغط هائل مصدره في هضبة ايران واتجاهه الى الجهة الجنوبية الغربية وهم يعتقدون كذلك بان هذا الضغط قد خفت وطأته عند اصطدامه بالكتلة الصلبة التي تتكون منها شبه الجزيرة العربية التي يعتبرونها جزء من قارة عريقة في القدم يطلقون عليها اسم ( كوندوانالاند ) وكتيجة لذلك الضغط فقد تكونت التضاريس الارضية التي تتمثل بالجبال الشاهقة في منطقة كردستان حيث كان الضغط على اشدّه في حين ان الطبقات التي كانت بعيدة عن مركز ذلك الضغط نالتها بعض التضاريس البسيطة هذا وقد كان من اثر الضغط الشديد في الجهات الشمالية الشرقية ان حصل زحف لمساحات واسعة نسيا من

القشرة الارضية من ايران ثم استقرارها فى المنطقة الواقعة ما بين حلبجة وشمالى قلعة دزة هذه المنطقة التى يطلق عليها الجيولوجيون اسم منطقة الزحف •

ان التضاريس الارضية من جبال ووديان فى المنطقة موضوع بحثنا تشير كلها الى حداثة عهد تكوينها بدليل تطابق التركيب الجيولوجى للطبقات الارضية مع الوضع الطبوغرافى فى لهذه المنطقة فان كل مرتفع سواء كان جبلا او تالا - عدا منطقة الزحف طبعا - هو فى الحقيقة انطواء محذب (انتكلاين) وكل منخفض هو انطواء مقعر (سنكلاين) ومن هذا يستتج بان المدة التى مضت على تكوين هذه المرتفعات والمنخفضات اى الجبال والوديان لم تكن من الطول بحيث اتاحت لعوامل التعرية وحركات باطن الارض ان تغير من اوضاعها وبالتالي من تعقيدها •

اما العصور الجيولوجية التى تعود اليها الصخور المنتشرة فى انحاء العراق فقد وجد بعد دراستها بانها تعود الى الاحقاب الجيولوجية الاربعة وهى الحقب الابتدائى (الباليوزويك) والحقب الثانى او المتوسط (الميزوزويك) والحقب الثلاثى (ترشيري) والحقب الرباعى (كواترنري) •

فالصخور التى تعود الى الحقب الابتدائى توجد فى منطقتى حلبجة والعمادية وهى تشغل مساحة صغير نسبيا والصخور التى تعود الى الحقب المتوسط فهى أكثر انتشارا وان صخور العصر الترياسى والجوارسى وهما اللذان يشكلان القسم الاول والثانى من هذا الحقب فتوجد فى منطقة الجبال كما توجد فى المنطقة الواقعة فى شمال الرطبة وتتكون هذه الصخور على الغالب من الطفل (مارل) والحجر الكلسى (لايمستون) واحيانا الجبس والصخور التى تعود الى العصر الطباشيرى وهو الذى يشكل الفترة الاخيرة من الحقب المتوسط فهى واسعة الانتشار فى منطقة الجبال ومنطقة الرطبة ويقدر سمك هذه الطبقات بما لا يقل عن عشرة آلاف قدم ان لم تزد عن ذلك بكثير وتتكون هذه الطبقات غالبا من صخور الحجر الكلسى والطفل والرمل •

اما صخور العصر الايوسيني وهو الذى يشكل اوائل الحقب الثلاثي فتغلب ان تكون من الحجر الكلسي وهي توجد في المنطقة الجبلية وفي مساحات شاسعة من الباديتين الشمالية والجنوبية اما صخور الاوليكوسين فتوجد بقلّة في بعض الجبال ويعود ذلك الى انه قد تكون صخور هذا العصر قد زالت بعوامل التعرية او ان المواد المكونة لها لم يتهأ لها الرسوب بسبب ظهورها فوق البحر آنذاك .

وصخور الميوسين تتكون على الاغلب من الحجر الرملي ( ساند ستون ) والطفل والحجر الكلسي والجبس في الشمال يقابل ذلك الرواسب الرملية والحصى الناعمة المعروفة بطبقات الدبدة في الجنوب .

وصخور عصر البلايوسين وهو العصر الذى يمثل اواخر الحقب الثلاثي فيغلب ان تكون من الحجر الرملي والطفل . اما صخور الحقب الرابعي ( كواترنري ) فيغلب ان تكون ترسبات غرينية وحصى الانهار والسيول او رمال ومواد ذرتها الرياح .

هذا هو مجمل العصور الجيولوجية مشفوعا بذكر انواع الصخور المكونة لطبقات كل عصر منها . والآن لا بد لي ان اشير الى الطبقات الارضية التي تعود الى العصور المختلفة والتي لها فائدة مائية ويمكن اتخاذها كمصادر جيدة لتجهيز المياه الصالحة للشرب كالطبقات الارضية التي تعود الى العصر الرابعي وهي التي تتكون غالبا من الطمي والغرين والطين والحصى فقد يكون لها فائدة في تجهيز مياه جيدة اذا كان سمك طبقاتها كافيا وكان الغالب فيها الحصى . فقد وجدت في بعض الاماكن كما في بدره ومندلي ان الآبار المحفورة في طبقات الالوفيوم المتكون من الغرين والحصى يجهز الآبار المحفورة فيها بكميات كافية من المياه اذا كان سمك هذه الطبقات مناسباً اما صخور البختاري فتتكون اجمالا من حصى ومكتلات ( كونكلومرات ) تتخللها طبقات طينية ويبلغ سمك هذه الطبقات في المنطقة الجبلية اكثر من ١٠ الاف قدم الا ان سمكها يتناقص كلما اتجهنا الى سهل وادي الرافدين هذا النوع

من الطبقات يمكنها ان تستوعب كميات هائلة من المياه ولذا فهي أفضل الطبقات التي تجهز المياه في العراق واحسن مثل على منطقة تستمد مياهها الجوفية من هذه الطبقات البختيارية هو سهل اربيل فالآبار هناك قليلة العمق ومياهها غزيرة للغاية • ان طبقات البختيارى واسعة الانتشار فهي توجد فى منطقة كبرى وكر كوك واريل وشمال سنجار وزاخو كما وتوجد ما بين دجلة ووادي الثرثار وغيرها من الاماكن وهي تعتبر اهم مصدر للمياه الجوفية •

وبلى الفارز الاعلى طبقات البختيارى فى الاهمية ذلك لانه يتكون من حجر رملى تتخلله طبقات طينية الا ان انتشاره اقل من سلفه ولذا كانت اهميته محصورة كمنطقة سنجار مثلاً •

اما صخور الحجر الكلسى المعروف باسم الحجر الكلسى الفراتى "Euphrates Limestone" فيبلغ سمك طبقاتها حوالى ٦٠٠ قدم وان هذه الصخور تجهز مياه العيون المنتشرة فى الشمال وربما كانت هى التى تجهز المياه لمنطقة العيون التى تمتد من عانة الى الناصرية غربى نهر الفرات •

#### المياه الجوفية ومناطقها فى ضوء التركيب الجيولوجى للعراق :

لقد اشرت آنفا فى سياق بحثى الى ان تركيب العراق الجيولوجى الذى هو على شكل حوض امتداد محوره الطولى فى الاتجاه شمال غرب - جنوب شرق هو وضع ملائم جدا لحزن مياه وفيرة تحت سطحه ذلك لان الصخور المسامية كالخصى والحجر الرملى والمكثلات ( الكونكلومرات ) وبعض انواع الحجر الكلسى منتشرة فى المنطقة الجبلية والمناطق المجاورة لها عند سطح الارض او فى عمق قليل تحته ولما كانت الامطار تهطل فى تلك المناطق بغزارة لذا فان كميات هائلة من مياه الامطار تتغلغل خلالها وتسرب الى الاماكن السفلى حيث تتجمع فى اعماق مناسبة لدى مصادفتها لطبقات غير مسامية ثم تنساب عليها فى اتجاه انحدار الطبقات التى تمتد تحت مجرى نهري دجلة والفرات حتى تبلغ الصحراء غربى نهر الفرات

واعتمادا على هذه المعلومات فإنه يعتقد بان الطبقات التى هى تحت سطح وادى الرافدين تخزن كميات هائلة من المياه غير ان الامر يتوقف على عمق هذه الطبقات عن السطح فاذا كانت قريبة منه عندئذ يمكن الاستفادة منها واستغلالها على نطاق واسع اما ان كانت عميقة الغور فانها تصبح عند ذلك غير اقتصادية نظرا لتكاليف الحفر الباهظة و ثم اقتناء آلات الضخ الكبيرة اللازمة وعلى كل حال فان معلوماتنا عن عمق الطبقات الحاملة للمياه الجيدة قليلة جدا فى الوقت الحاضر بحيث لا نستطيع معها البت فى الموضوع وسيكون فى وسعنا قريبا ان نتوصل الى معلومات أوفى بعد ان تتم أعمال الحفر التجريبية العميقة التى تجرى فى انحاء مختلفة من القطر • وبهذه المناسبة فاني ارجب ان اشير الى ما يعتقد به بعض الجيولوجيين من انه لو امكن حفر بئر عميقة فى اواسط وادى الرافدين بحيث يتجاوز عمقها الالفين أو الثلاثة آلاف قدما فان المياه الجوفية قد تتدفق بشدة الى ما فوق سطح الارض ، ان صحة هذا الاعتقاد من عدمه ستعلم بعد انتهاء حفر الابار فى هذه المنطقة •

اما مناطق المياه الجوفية فيمكن تقسيمها على أسس شتى وسأتبع هنا فى تقسيمها على أساس مقادير المياه المخزنة فى كل منطقة وعلى ذلك يمكن تقسيم العراق الى خمسة مناطق •

#### **المنطقة الاولى -** وهى منطقة الجبال ومياها الجوفية تكون غزيرة جدا

نظرا لكثرة ما يهطل عليها من امطار سنوية فلا غرابة ان وجدت العيون بكثرة فى هذه المنطقة اما نوعية المياه فتعتبر من النوع الممتاز نظرا لان صخورها هى من الحجر الكلسى التى تجهز افضل انواع المياه دائما •

#### **المنطقة الثانية -** وهذه تشمل الاراضى المتاخمة للمنطقة الجبلية

وتمتد من منطقة سنجار غربا وتمر بالموصل وأربيل وكركوك وتنتهى قرب خانقين شرقا تخزن الطبقات الارضية لهذه المنطقة كميات كافية من المياه

ونوعيتها جيدة اما الصخور فتكون على الغالب من الحصى والحجر الرملى  
والمكتلات والحجر الكلسى • اما الابار التى تحفر لغرض الاستفادة من  
المياه الجوفية فليست آباراً عميقة وقد لا يتجاوز عمقها عن المائتى قدم •

#### **المنطقة الثالثة -** وهى تشمل الاراضى الواقعة ما بين النهرين

تقريباً - عدا بادية الجزيرة - ويضاف اليها الاراضى الواقعة شرقى نهر دجلة  
فى وسط العراق وجنوبه ان كمية المياه الصالحة ليست معلومة نظراً لقلة  
دراسة هذه المنطقة جيولوجياً وقد يكون سبب ذلك لان معظم سكان العراق  
الذين يقطنون هذه المنطقة يعتمدون فى شربهم واستعمالاتهم الاخرى على  
مياه الانهار والجداول والقنوات المتفرعة عنها • اما نوعية المياه الجوفية فتختلف  
 باختلاف الموقع الجغرافى والوضع الجيولوجى • أن عمق الابار الى تحفر  
فى هذه المنطقة مختلفة ايضا فقد تكون فى موقع ما قليلة العمق وقد تكون  
فى موقع اخر عميقة جداً نظراً للرغبة فى التخلص من المياه غير الصالحة  
للاستعمال والتي قد تكون موجودة فى اعماق قليلة •

#### **المنطقة الرابعة -** وهذه تشمل اراضى بادية الجزيرة ويمكن ان تجهز

بعض اقسام هذه المنطقة مياهها غزيرة الا ان نوعيتها بصورة عامة رديئة لكثرة  
الاملاح الذائبة فيها وتكون الآبار التى تحفر فى هذه المنطقة غالباً عميقة •

#### **المنطقة الخامسة -** وهى منطقة الصحراء التى تشمل على الباديتين

الشمالية والجنوبية • ان مياه هذه المنطقة عميقة اجمالاً ونوعية المياه الجوفية  
للبادية الشمالية افضل بكثير من المياه الجوفية للبادية الجنوبية اما كمياتها فهى  
قليلة فى كلتا الباديتين نظراً لقلة هطول الامطار وعدم وجود موارد اخرى  
للمياه الجوفية من مصادر اخرى •

#### **تصنيف المياه الجوفية بالنسبة الى نوعيتها :**

لقد بحثنا آنفاً مناطق المياه الجوفية وقد اخذنا ذلك باعتبار مقدار المياه



فى تلك المناطق وبوسعنا ان نشير ولو بأختصار الى نوعية تلك المياه وما تحتويه من املاح ذائبة فيها • وعليه فبوسعنا ان نقرر ما يأتى :-

### أولا - المياه الحاوية على الكربونات :

وهى التى توجد فى المنطقة الجبلية وفى الباديتين الشمالية والجنوبية حيث تحيط بمنطقة الرطبة وتمتد الى النخيب فى البادية الشمالية كما وتوجد فى المنطقة الممتدة ما بين الشبكة والمنطقة المحايدة بما فيها الجبل وعيدها فى البادية الجنوبية • وتتكون اغلبية صخور هذه المناطق من الحجر الكلسى التى تعود الى عصور الحقب الاوسط وبعض عصور الحقب الثلاثى • وهى تكون بذلك ذات نوعية ممتازة واملاحها الذائبة تكون قليلة اذا ما قورنت بمياه المناطق الاخرى •

### ثانيا - المياه الحاوية على الكبريتات :

وهى المياه الى تحتوى على الكبريتات سواء كانت على شكل كبريتات الكلسيوم او غير ذلك وهى توجد غالبا فى المناطق التى تكثر فيها صخور الجبس العائدة الى عصر الميوسين الاوسط • ان طعم هذه المياه غير مستساغ • وتكثر هذه المياه فى المنطقة الممتدة ما بين الموصل - تلعفر - الشرفاط فى لواء الموصل ، كما توجد فى بادية الجزيرة وكذا فى منطقة مخمورة فى لواء اربيل وكذا فى منطقة طوز خرماتو وكفرى والحويجة فى لواء كركوك وكذا المنطقة المتاخمة للحدود الايرانية من الوية دبالى والكوت والعمارة ومنطقة هيت وغربى الفرات • هذا وتوجد مثل هذه المياه فى الباديتين الشمالية والجنوبية حيث تشغل المنطقة الممتدة ما بين بصية والسلمان والشبكة وكور الصحن وشنانة والنخيب •

### ثالثا - المياه الحاوية على الكلوريد :

ان هذه المياه اقل انتشارا من تلك المياه المذكورة آنفا واهم منطقة لها هى التى تحاذى نهر الفرات من جهته الغربية بالقرب من هيت الى الرحالية

وعين تمر ( شثاة ) كما وتوجد منطقة اخرى فى جنوبها وتشغل الارض  
الممتدة ما بين البصرة والساواة وبصية فى البادية الجنوبية •

#### رابعاً - المياه الحاوية على التترات :

ان رقعة الارض التى تشغلها المياه التى تحتوى على التترات صغيرة  
نسبياً وقد وجدت مثل هذه المياه فى بادية الجزيرة والمنطقة الواقعة شمال  
سامراء التى يحدها جبل حمرين شمالاً ، كما وتوجد مثل هذه المياه فى  
منطقة الهبارية من البادية الشمالية •

#### خامساً - المياه القلوية :

وهى المياه التى توجد فيها القلويات بنسبة اكبر من تلك العناصر التى  
تكون الحوامض القوية ، ومثل هذه المياه توجد فى منطقة القعرة الواقعة فى  
الشمال الشرقى من الرطبة •

ان هذا النوع من التصنيف لا يزال بحاجة الى مزيد من الدراسة  
للوصول الى معلومات اتم وادق ولا شك ان الجهود خلال السنين القليلة  
القادمة ستحقق هذه الرغبة •

هذه هى مناطق المياه الجوفية ذكرتها بأختصار تام ومنها يظهر ان بعض  
مناطق العراق تكثُر فيها المياه الجيدة غير انها لم تستغل استغلالاً تاماً ولذا  
فأن دراسة المياه الجوفية بصورة تفصيلية تفسح المجال لزيادة الاستفادة منها  
لاغراض الشرب وربما لسقى المزروعات ايضا واذا امكن الاستفادة من  
المياه الجوفية على نطاق واسع فى المناطق التى تقل فيها المياه السطحية فعندئذ  
يمكننا ان نتوقع تحسناً ملموساً فى صحة السكان لاستعمالهم مياهها غير ملوثة  
بالجراثيم كما يمكننا ان نتوقع زيادة فى الانتاج الزراعى الذى يزيد حتماً  
من ثروة البلاد وبالتالي يؤدى الى رفع مستوى القرى والارياف اجتماعياً  
واقتصادياً وصحياً •

# رأس المال والاقتصادات

الدكتور عبدالرحمن الحبيب

مدرس علم الاقتصاد

كلية الآداب

اهتم الاقتصاديون ، خاصة في القرنين الماضيين ، في فهم طبيعة واسباب ثروة الأمم • ولكن الذى يؤسف له هو ان هؤلاء الاقتصاديين قد ضحوا بالنظرية الحيوية (Dynamic Theory) ليشرحوا لنا الاثمان النسبية • وهذا العمل هو غير محمود لان معالجة اقتصاد غير نام (Static Conditions) هو خروج عن الواقع والحقيقة وقد حرمانا من بحث موضوعات حيوية وشائقة • وجاء جان مينرد كينز بنظريته العامة وحطم الحواجز وبحث لنا مشكلة حقيقية وهى أسباب البطالة<sup>(١)</sup> • والذى يواخذ عليه كينز هو اقتصاره على بحث الموضوعات للفترة القصيرة •

وفى الآونة الاخيرة اتجه اهتمام الاقتصاديين الى مشكلة كلاسيكية وهى النمو العام فى اقتصاديات البلد • وقد زاد هذا الاتجاه الأهتمام بالعوامل التى تسهم فى النمو الاقتصادى والاهتمام بالعوائق التى تقف فى وجه النمو الاقتصادى<sup>(٢)</sup> •

يعتمد النمو الاقتصادى على البيئة والعوامل الانتاجية المتوفرة • ويقصد بالبيئة هنا مجموع الاحوال والمؤثرات التى تؤثر فى حياة الانسان وفى

(١) انظر

John Maynard Keynes, The General Theory of Employment Interest and Money (New York: Harcourt, Brace and Company, 1935).

(٢) انظر

R.F. Harrod, Towards a Dynamic Economics (London: MacMillan and Co. Ltd., 1952) esp. 1-34.

تطوير سلوكه فى الجماعة • ومن هذا العوامل التى نود الآن بحثها هى  
تجميع رأس المال والاختراعات •

يعتمد التطور الاقتصادى على تجميع رأس المال وعلى مدى استخدام  
ما لدى الإنسان من معلومات فنية وتسخير هذه المعلومات فى تحسينات  
وابتداعات<sup>(٣)</sup> • تسعمل كلمة رأس المال Capital من قبل المحاسبين  
والمحامين والصارفة والاقتصاديين ولكنهم يختلفون فيما يقصدون • فى  
بعض الأحيان يقصد برأس المال الادوات الوسيطة (Intermediate Products)  
كما يفعل بوم بوفرك<sup>(٤)</sup> • وقد يقصد به النقد (Money) كما يفعل الرومان  
وكنت وكسل حيث يقصدون برأس المال المبلغ الاصلى عدا الفائدة<sup>(٥)</sup> •  
وفى احيان اخرى تستعمل كلمة رأس المال لتدل على ساعات عمل مجسدة  
فى سلع او ادوات كما استعملها كارل ماركس<sup>(٦)</sup> • وكثيرا ما تذكر الكلمة  
لتدل على الادوات والمصانع والمنشآت التى يحتاج اليها المنتجون فى الانتاج •

(٣) انظر

C.D. Tuska, Inventors and Inventions (New york: McGraw-Hill  
Book company, Inc, 1957), chapter VI, pp. 68-77.

شرح أساليب الاختراع

(٤) انظر

Eugen V. Bohm-Bawerk, the Positive Theory of capital (New york:  
G.E. Stechert & Co., 1888), p. 22; Joseph A. Schumpeter, History  
of Economic Analysis (New york: Oxford University Press, 1954), pp.  
322-327, 633.

(٥) انظر

André Gabor and I.F. Pearce, "The place of Money Capital in the  
Theory of Production," The Quarterly Journal of Economics, Volume  
LXXII, No. 4 (November, 1958), 537.

(٦) انظر

Karl Marx, Capital, Volume I (Moscow: Foreign Languages Publishing  
House, 1958), pp. 41-46;

ويصنف ماركس رأس المال الى صنفين : الثابت والدوار أنظر  
Volume II, pp. 189-214

والاستاذ نركسى يتبع هذا الاستعمال فى كتابه<sup>(٧)</sup> . وتوجد مدرستان :  
 (١) المدرسة التمساوية ورأس المال بالنسبة لها هو النقد ويحدث الانتاج  
 للحصول على عوائد اكثر من من استثمار النقد . ان الحاجة الى رأس المال  
 النقدى تظهر لانه فى الواقع لا يمكن خلق سيل من الانتاج آتيا . ولذا  
 وجب تجميع هذا الانتاج فى فترة بناء . ولبناء هذا السيل يلزم شراء  
 واستخدام عوامل الانتاج . فالنقد وسيط وليس له اى انتاج حدى .  
 (٢) المدرسة التى تسمى بالمدرسة النيوكلاسيكية التى تركز نظريتها على  
 فكرة العلاقة الانتاجية (Production Function) وتعتبر النقد كأحد عوامل  
 الانتاج ويمكن الحصول على النقد لقاء ثمن يدفعه المنتج الذى يكون  
 غرضه زيادة عوائده وهى الفضلة او الربح . ومن مثلى هذه المدرسة  
 لتر وجوان روبنسن وهكس<sup>(٨)</sup> .

ويمكن تكوين رأس المال بالطرق التالية<sup>(٩)</sup> : (١) التوفير الشخصى  
 (٢) الصرف التضخمى (٣) الضرائب (٤) الاقتراض . والتوفير الشخصى يمكن  
 الحصول عليه لسبيين : (١) يوفر بعض الناس لان لديهم نقدا يزيد على ما  
 يحتاجون اليه فى مصروفاتهم . (٢) ويوفر الناس لان القيم الاجتماعية  
 تتطلب منهم التوفير . وصعوبة الدافع الاول هى ان كثيرا من المال الموفر لا  
 يستخدم بطريقة منتجة . فكثيرا ما استثمار الاغنياء وخاصة فى البلدان

(٧) انظر

Ragnar Nurkse, Problems of Capital Formation in Underdeveloped Countries (Oxford: Basil Blackwell, 1955), pp. 1-3.

(٨) انظر

Friedrich and Vera Lutz, The Theory of Investment of the Firm (Princeton: Princeton University Press, 1951), pp. 3-15, 67-86.  
 Joan Robinson, The Accumulation of Capital (London: Mac Millan & Co. Ltd, 1956), vii, ix, 414 n., J.R. Hicks, Value and Capital, Second Edition (Oxford: At the Clarendon Press, 1953), pp. 78-88.

(٩) انظر

Charles P. Kindleberger, International Economics (Homewood, Illinois: Richard D. Irwin, Inc., 1955), pp. 384-387.

المتخلفة اقتصاديا اموالهم الطائلة فى بناء او شراء القصور الشامخة  
والاقطاعات الواسعة او اقتناء الخيول الجميلة ( والحيوانات والطيور الاخرى  
كالكلاب والغزلان والديكة والحمام والبلابل ) والسيارات الكبيرة او  
المجوهرات والمعادن الثمينة • ويوقف هذا الاستثمار عملية التجميع المجدية •  
ولما يوفر الافراد من جراء العادة تبقى مشكلة ما سيصنعون بهذه الاموال  
الموفرة مهمة ولا بد من ايجاد حل لها • ويجب ان تشجع قيم الجماعة التوفير  
المنتج وعلى المؤسسات العامة والخاصة ان تسهل هذا الامر وترعاه • وهذا  
ليس معناه ان نبجل الاقطاعيين ( الزراعيين والصناعيين ) ونترك لهم العنان  
بل يجب تحديد الملكية وفرض الضرائب المناسبة كما تقتضيه المصلحة  
العامة •

وقد يتم تكوين رأس المال بطريقة فرض الضرائب • والحكومة  
تجبى الضرائب وتستثمر المقبوضات فى مشروعات منتجة كالكهربائية  
ووسائل النقل والمواصلات والمدارس والمصانع الكبيرة • وتدخل الدولة  
لازم لعدم وجود التنظيم المتطور فى القطاع الخاص ولا يتمكن المرء ان  
يعتمد على الدافع الشخصى للحصول على توفير كاف او لدفع التطور  
الاقتصادى • فالافراد مع حسن نياتهم غالبا ما نجدهم غير قادرين ، بدون  
مساعدة الدولة ، على انجاز الاعمال التى تعود بنفع عام على الجماعة • فقد  
تقص الافراد والشركات المواد والمهارات والقدرة على الاختراع او  
ادخال الابتداع فى المشروعات الاقتصادية • وبلاضافة الى هذا نجد ان هذه  
المشروعات تميل الى ان تكون كبيرة وتكلف مبالغ طائلة وكذلك فان بعضها لا  
يدر أى ربح (١٠) • وتوفر هذه المشروعات اقتصاديات خارجية للقطاع  
الخاص •

اما طريقة تجميع رأس المال بالتضخم فهى منتشرة فى البلدان المتخلفة  
والمقدمة • وهذه الطريقة شبيهة بطريقة الضرائب • فالحكومة تقوم

---

(١٠) انظر بحثى « التخطيط الاقتصادى نظريا وتطبيقا » فى مجلة  
كلية الآداب - العدد الاول حزيران ١٩٥٩ • ص ٥ - ٨ •

بالاستثمارات وترتفع الاثمان ويسهم اصحاب الدخل الثابت اكثر من غيرهم فى تكوين هذا الدخل بينما اولئك الذين يحصلون على ربح عال لا يقدمون شيئا • ولهذه الطريقة مخاطر كثيرة • فربما يؤثر التضخم فى خلق رد فعل سلبى فى التوفير الشخصى • وربما يتقاعس الافراد عن التوفير فيمتنعون عن شراء السندات الاستثمارية ولا يودعون مبالغ كبيرة فى المصارف ويركزون على شراء الاراضى والسندات ذات الربح الثابت المضمون • وان ارتفاع الاثمان قد يوجه الاموال المستثمرة فى مجالات غير مفيدة للجماعة<sup>(١١)</sup> •

اما الاقتراض فقد يتم من المصارف الوطنية او من الخارج • والاقتراض الاجنبى قد يقبل لانه لا يخفض مستوى المعيشة ولكن المخاطر السياسية والاقتصادية تخيم على رأس الدولة المقترضة • فمخاوف النفوذ السياسى والعسكرى والاقتصادى هى من اهم العوامل التى لا تشجع على طرق هذا السبيل • ولكنه مع هذا يجذب اذا ادى الى خلق توفير شخصى وتكوين رأس مال حكومى باستمرار وزيادة تستعمل لتسديد الديون نفسها •

اي طريقة تتبع يتوقف على مرحلة التطور الاقتصادى وعلى مقدار المال اللازم وكذلك فالأوضاع العامة لها اثرها الكبير •

ان الحاجة الى رأس المال المنتج ومصادره تبقى تحت الاشتراكية كما هى تحت الرأسمالية • فاذا اريد رفع مستوى العيش تحت الاشتراكية<sup>(١٢)</sup> اصبح ضروريا ان تساعد قدرة الانسان المادية والعقلية بكميات متزايدة من الادوات والمكائن المختلفة • وعلى الجماعة بصورة عامة ان تستهلك سلعا وخدمات اقل مما تتمكن عمليات الانتاج ان تقدمه لهم • ويكون الفرق رأس مال منتج يستخدم فى انتاج سلع وخدمات اخرى • وفى هذه الاحوال يجب اتباع التقشف والاكتفاء بالقليل والبسيط •

(١١) فافرضين اقتصادا حرا غير مخطط •

(١٢) ويعتد الاشتراكيون بهذه الرغبة ويقولون ان مستوى العيش سيرتفع بأسرع وقع وأكبر خطوات مما كان عليه فى العقود الاخيرة المنصرمة William N. Loucks and J. Weldon Hoot, Comparative Economic Systems (New york: Harper & Brothers, 1952), pp. 313-314.

يتم تجميع رأس المال فى النظام الرأسمالى من قبل الافراد والشركات حسب المجالات المتوفرة لاستثمار المبالغ<sup>(١٣)</sup> . اما التوفير فى النظام الاشتراكى فهو مرسوم وليس له صلة بالمجالات النقدية المريحة للأفراد . ويتم حسب حاجة الاقتصاد الوطنى بصورة عامة . فسر الفائدة فى المدى الطويل يسيطر على كمية التوفير ، يزيد بها تارة ويقلها تارة اخرى . اما النظام الاشتراكى فيحطم السلوك الذاتى للاقتصاد الوطنى ويجعل التوفير او تجميع رأس المال وظيفة مباشرة للتنظيم الاقتصادى المخطط .

وتتدخل الدولة تحت الاشتراكية فى السيطرة على نتائج الفعاليات الانتاجية فى اية مرحلة تعتقد انها مناسبة وتحول ما تعتقد انه مناسب من السلع والخدمات الاستهلاكية الى سلع منتجة . وتحكم الاحوال الاقتصادية ( والعسكرية ) فى طبيعة ومدى هذا التدخل . ويعتقد الاشتراكيون ان اساليب التدخل مرنة وقابلة للتغيير . ويمكن اختيار المجالات التى يتم فيها التوفير بوساطة الرسم او التخطيط وتحت اشراف وكالات ذات اختصاص . اما السيطرة على الاثان والضرائب فتستعمل كوسائل لتكوين رأس المال . فرفع اثمان بعض السلع والخدمات فوق التكاليف يمكن الدولة من استثمار الفرق فى تشجيع الصناعات والفعاليات الاقتصادية اللازمة . وهذه الطريقة تمكن الدولة من تقليص بعض الفعاليات وتوسيع فعاليات اخرى . والمستهلك هو الذى يتحمل التكاليف . والمهم هنا هو حسن التخطيط وكفاية الوكالات التى يجب ان يكون هدفها تخفيف العبء عن المستهلك وجعل هذه الاساليب سهلة التطبيق<sup>(١٤)</sup> .

ان كلا من الابتداع وتجميع رأس المال مهم حيث ان الاول يمكن الانسان من التغلب على ميل ريع رأس المال الى الانخفاض كلما ازداد رأس

(١٣) لاسباب غير اقتصادية انظر

Ralph H. Blodgett, Comparative Economic Systems (New York: The MacMillan Company, 1944), pp. 122, 124.

(١٤) انظر

Blodgett, Comparative Economic Systems, pp. 125-140.



المال نفسه والثاني يدفع الانسان على تجنب التبذير وعلى التوفير في مستويات الفائدة الواطئة وتكوين رأس مال جديد • وقد ركز الاقتصاديون على هذين العاملين ( الابتداء وتجميع رأس المال )<sup>(١٥)</sup> • واهمل بعضهم اهمية توزيع العمل والتخصص في التطور الاقتصادي<sup>(١٦)</sup> • ونظروا الى تقسيم العمل كنتيجة او كمصاحب للابتداء والنمو بدلا من كونه مسببا له وبينوا ان تقسيم العمل قد سهل ويمكن استخدامه كاملا للادوات وهذا بدوره ادى الى الحصول على عوائد عالية لرأس المال المنتج<sup>(١٧)</sup> •

تتناقص العوائد التي يحصل عليها رأس المال ببطء ولكن باستمرار تحت الاحوال الستاتيكية وبانعدام الزيادة في المعرفة واستخدامها في الابتداءات • ويختلف تجميع رأس المال باختلاف العوائد • ويتأثر ايضا برغبة الناس المؤثرة على التجميع وتصميمهم على التضحية ، تضحية كمية من السلع والخدمات في الحاضر للحصول على كميات اكبر في المستقبل • وعدم التأكد مما يمكنه المستقبل يدفع المرء الى تفضيل الحاضر على المستقبل • فاي تأمين او تقليل في عدم التأكد ( مثل السلام والاستقرار والضمان وطول العمر ) يقوى الرغبة للعدة للمستقبل • ويجذب الانسان الحاضر على المستقبل ولو تساوت الظروف وكانت كلها مضمونة • وای شيء يزيد في علاقاته مع ابناء جنسه ( روابط العائلة والجمادية الاجتماعية ) يزيد في رغبته المؤثرة على التجميع • وكذلك فالاستقرار وحكم القانون يزيدان في رغبة الانسان على التجميع • وفي المدى الطويل يعتمد تجميع رأس المال وتحسن احوال الانسان

---

(١٥) ومنهم جون رى وجوزيف شومبيتر انظر Joseph J. Spengler, "John Rae on Economic Development: A Note," The Quarterly Journal of Economics, Vol, LXXIII, No. 3 (August, 1959) 395; Joseph A. Schumpeter, The Theory of Economic Development (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1951), pp. 57-94.

(١٦) ومنهم جون رى •

(١٧) لم يعرجون رى اهمية كبرى لنمو السكان كما فعل آدم سميث الذي اعتبر نمو السكان مصدرا لتقسيم العمل •

على تجميع المعلومات وادخالها فى المخترعات وعلى الابتداعات • وعدم وجود الاختراعات يؤدى الى زيادة التكاليف وتأخر فى المقبوضات مما يقلل العوائد كلما تجمع رأس المال الى ان يبدأ تجميع رأس المال بالتكون ببطء • وهذه الظاهرة جلية حتى فى الاقطار ذات التجميع العالى وهذا لا يقدم كثيرا فى تحسن احوال الجماعة •

وقد تخلق الاختراعات والابتداعات الرغبة الى التجميع وقد يزيد التجميع فى الحصول على اختراعات وابتداعات جديدة • وتميل الاختراعات ان تزدهر عندما تكون الفنون كثيرة ومختلفة لانه غالبا ما تتكون الاختراعات من ربط عدة فنون • وكثرة الفنون تقلل من التقليد وتؤدى الى التباين الثقافى • وتوفر المواد وتباينها بفسح المجال امام الافراد لاختبار الروابط والمسالك الجديدة مما يشجع الاختراع • فوجود الفنون تتقدم الاختراعات وتتقدم الاختراعات ينشط الابتكار وقد يستثمر الانسان الصحارى والقمر واجراما اخرى (١٨) •

لم يحصل الانسان حتى الآن على الخبرات الضرورية التى تمكنه من الحصول على الحد الاقصى من النمو الاقتصادى • وهذه الخبرات ناقصة ولاسيما فى الاقطار المتخلفة اقتصاديا • وكثير من الاقطار ينقصها النمو الاقتصادى الملموس نتيجة للتوانى فى استغلال الموارد الاقتصادية المتوفرة فيها • والانتاج الحدى واطىء فى البلاد المتخلفة بسبب فقر مجموعات العوامل الانتاجية ولكنه ليس صفرا • وفى مثل هذه الاحوال يكون الانتاج الحدى للعامل واطئا لجميع اصناف العمل وليس فى الحقل فقط • ومن الضرورى للحصول على نمو اقتصادى ذى اهمية فى هذه الاقطار المتخلفة ان توزع وتستغل الجهود ورأس المال المنتج سعيا وراء :-

١ - زيادة فى الناتج ، أى زيادة فى السلع والخدمات سواء كانت للاستهلاك أو الاستثمار •

(١٨) ان وجود الاختراعات وادخال الابتكارات فى اقتصاديات البلد يرفع الاجور ويزيد فى الارباح •

٢ - تحسين نوعية الناس كعامل انتاج ( أى رفع مستواهم الصحى والثقافى والتدريبى ) •

٣ - رفع مستوى فن الانتاج الزراعى والصناعى (١٩) •  
وتتمكن الحكومة ان تشجع الاختراعات وتزيد الرغبة فى التجميع وترفع المستوى العلمى والفنى وتستورد العلوم والفنون والصناعات والخبراء من البلدان الاخرى وتحمى الصناعات الوطنية • وخير خدمة تسديها الدولة لاقتصاديات البلد هى توطيد السلام والطمأنينة والامان ومنع التبذير والتخريب وتأسيس المؤسسات العامة كالمصارف والمواصلات والاحتكارات الوطنية والمؤسسات العلمية والفنية •



(١٩)

Theodore W. Schultz, "The Role of Government in Promoting Economic Growth." Unpublished paper read November 12, 1955 at the 25th Anniversary of the social sciences at the University of Chicago. Revised Copy, p. 1.

# مفيدة القانون الدولي\*

بقلم : كى . ستويانوفتش

ترجمة : الدكتور فاضل زكى محمد

المدرس فى قسم العلوم السياسية

(١)

١ - تكتف نظرية القانون العامة ، والتي يكون القانون الدولى جزءا منها ، الكثير من النواحي المليئة بالغموض والتعقيد . فبينما نجد القسم الكبير من النواحي التى بقيت قرونا عديدة تنتظر حلا ، فان حالات كثيرة أخرى لم تحض حتى بأية محاولة لتفسير ما فيها من غموض . وحتى النظرية القانونية ذاتها التى هى الهدف الاساسى لهذا الجزء من بحثنا ، فانها لا تزال تحتاج الى التأييد الاجماعى . فهناك فى الواقع عدد من التعاريف للقانون . قدّر ما هناك من عدد للفقهاء . واذا كان كانت (Kant) محقا فى سخره من الحالة المرتبكة ، فانه هو الآخر قد فشل فى ايجاد حل مقنع . واليوم وبعد مرور أكثر من مائة وخمسين سنة على وفاة ذلك الفيلسوف الكبير ، فاننا لا نزال ندور حول نفس النقطة بالضبط . وربما كان من المفيد حقا التأكيد على العوامل النفسية التى دعت الى كل ذلك ، اذ المتوقع أنها تستطيع أن تقدم لنا بعض الجواب الشافى . لان الاسباب التعليلية ليس من الميسور ادراكها تماما : فالمفروض أن يكون لفرع من فروع العلم هذه أهدافه ليقف على رسمها بصورة واضحة . أما اذا كان الامر بالعكس فما عمله اذن ؟

تعتبر نظرية القانون الدولى فى الواقع مثلا نموذجيا لفوضوية النظرية العامة للقانون . فلا يقتصر الامر على عدم وجود أى اتفاق حول النظرية

---

(\*) عن مجلة القانون الدولى ، السنة السادسة والثمانين ، العدد الاول ( كانون الثانى - شباط - مارت ) ١٩٥٩ .

From: 'Journal du Droit International' No. 1 (Janvier - Février - Mars), 1959.

القانونية فحسب - ونعنى بذلك قواعد القانون الدولى - وانما ما هو مبالغ فيه بدرجة أكبر ، هو وجود أو عدم وجود هذه القواعد ذاتها والتي لاتزال فى دور المناقشة • فنحن نجد من جهة ان قواعد السلوك العالمى قد حظيت لقرون مضت بالتقحيح والتفسير والتطبيق ، وانها عوملت معاملة القانون ، لان مصطلح القانون الدولى قد طبق فى مدارس القانون ، فمن الجهة الاخرى نجد الحاجة تدعو للوصول الى قرار واضح من حيث هل القانون الدولى هو قانون حقيقة •• ونعنى بذلك هل هناك مقياس قانونية موحدة لها قوة الزامية على مواضع ذلك القانون •• نجد أن هناك هروبا من هنا ورأى متردد أو متضارب من هناك ، مما يؤيد فعليا بالنظر لما يوجد من تطرف متحایل أو تحزب زائد من أن الشخص الذى يقدم الآراء لا يقف على أسس رصينة •

ولا شك أن اسباب ما تقدم ناتجة عن نقص فى طريقة البحث وعلى الاخص الباب القانونى بوجه عام • فالقانون هو موضوع لابد وأن يشعر الباحث فيه فى مستهل بحثه أنه متصل به اتصالا وثيقا • لأنه ذو صلة بمصير البشرية على الرغم من المحاولة التى تجرى عادة للتمييز بين القانون كما هو وبين ما يجب أن يكون : اذ أن كثيرا مما يعود الى الشق الاول قد حل بصورة لا شعورية فى الشق الثانى ، وخاصة فى الحالات التى تهدف الى بناء نظرية عامة • وربما كان هذا ناتج من طبيعة الاتجاه الانسانى التى لا يتمكن من التغلب عليها ولكنها من الناحية العلمية غير دقيقة كونها آراء متلبسة بثوب العلم • لان العلم - أى علم - اذا ما انحدر الى مستوى الآراء ، فلن يستطيع أن يظل علما بسبب امكانية ظهور اختلافات كبيرة فى الآراء السياسية حول مسألة واحدة ، وعدم امكانية اثبات أكثر من وجود علم واحد فى الوقت عينه •

٢ - ان عدم وجود خطة واضحة المعالم لدراسة القانون الدولى أمر ظاهر لدى المناصرين والمعارضين • والسبب هو أن كلا الفريقين يقدمون

عددا من البراهين والمناقشات المتناقضة التى - هى بدلا من أن تحقق أهدافها المرجوة - نراها تتوصل الى اثبات أمور أخرى بعيدة كل البعد عنه • لذا فانه من المفيد استعراض كل ما قيل ( من مؤيدين وغير مؤيدين ) حول حقيقة القانون الدولى منذ بدايته • اذ أن بحث الموضوع من دون تقدير للزمن الدقيق والظرف الذى نشأت فيه جميع هذه الآراء المتباينة ( وهنا يجب أن يكون التفسير والبحث بروح علمية ) يوصلنا الى أجوبة مغلوبة كونها تستند على التخمين فقط • لان الاخذ بنظر الاعتبار لواقع الظروف والزمن يزيل الكثير من المعميات ويوسع من دائرة معرفة المتبع، وتفتح آفاقا جديدة للنقد العلمى لكل ما يحيط بهذا الجزء من أمور غريبة ونقص فى وحدة الاجزاء وحتى التناقض فى اتجاه كل جزء على حدة • والواقع ان فاحص الأمر يجد بكل وضوح أنه أمام مناقشات وضعت لكى تثير خيال الحكام أكثر منها آراء مستندة على مبادئ هدفها استقصاء الحقائق التى هى فى طبيعتها سهلة وواضحة المعالم • وعلى ما يظهر أن الذين مروا بدراسات قانونية يفضلون فى اتجاههم دور المحامى على دور البحاثة • وللأسف ان مثل هذا الاتجاه يفقدنا البحث عن الحقيقة العلمية •

ولما كان من المستحيل استعراض جميع الآراء المتباينة ، فاننا سنقتصر على القسم الذى يحتل المكان العلوى من الاهمية بينها •

## (٢)

٣ - ان الذين ينكرون القانون الدولى العام من الكتاب ، أو بصورة أدق ما يدعى بصورة عامة الصفة الالزامية فيه ، هم فى الواقع قليلون • ويأتى على رأس هذه الفئة الفيلسوف الالماني هيغل (Hegel) • ولكن جذور هذا الموقف تعود الى زمن أبعد بكثير • وعلى ما يبدو أن ذلك نشأ فى القرن السادس عشر بظهور معالم القوة والاستقلال والسيادة والتوسع فى الدولة الحديثة • ويعد ما كيفلى (Machiavelli) من الاوائل الذين كونوا هذه الفكرة •

وبالطبع فإن نظريته لم تكن لتحتوى النواحي التعليلية التى احتوتها الافكار التى جاء بها كانت (Kant) أو هيغل (Hegel) والتى لا بد أن نقول عنها أنها جاءت لتعكس الزمن الذى عاشت فيه • فمما لا يخفى ان السلطة الروحية للدول المسيحية فى القرون الوسطى كانت قد استبدلت بعد الحوادث السياسية ، بسلطة زمنية تخص كل دولة على حدة • وبهذا أصبحت الدولة تفخر بنفسها وتحدد أعمالها بمصالحها المطلقة وتضعها أمام كل مصلحة أخرى • وهذه المصلحة المطلقة التى ظهر اسم ما كيفلى مرادفا لها ؛ تقدر قانونا واحدا للدولة ، وهو القانون الذى يسمح بالحكم المطلق على أبعد حدود المتطرفة • ولكن مصلحة الفرد المطلقة تقف ضد نفس مصالح الافراد الآخرين المطلقة ؛ والتى هى فى نفس الوقت ضد ضمانات القانون بوجه عام والقانون الدولى نفسه (١) •

فبالنسبة لهيغل ، فإن الدولة هى مصطلح دايكتيكى متطور من ناحيته الاجتماعية • وهى أعلى درجة للتفكير الموضوعى • فعن طريق الدولة يستطيع الفرد أن يجد حريته الكاملة والتعبير عما يدور فى خلد • وفوق الدولة درجة هو الحاكم المطلق • والدول بناء على ذلك متساوية ولا يسكن لها أن تخضع لسلطة انسانية ؛ وبذا فلا وجود للقانون الدولى • (٢) ثم ان الخلافات التى تنشأ بين الدول تحسم عن طريق قاعدة طبيعية هى الحرب •

#### (١) انظر فيما يخص نظرية ما كيفلى :

Charles De Visscher, theories et réalités en Droit international Public, paris 1953, (ص ١٩)

Louis Le Fur, Règles générales droit de la paix, Recueil des Cours de l' A.D.I. de La Haye, 1953, t. 54 (ص ١٩) ؛

(٢) لقد توصل بعض الكتاب الى القول بان وجود المساواة بين الدول معناه وجود للقانون الدولى ؛ لانه بسبب هذه المساواة يجب على الدول احترام بعضها البعض الآخر ، ومثل هذا الارتباط المتقابل ما هو الا ارتباط ملزم • انظر :

G. Gidel, Droit et devoirs de Nations, Recueil des Cours de l' A.D.I. de la Haye, 1925 t. 10 (ص ٥٩٣) •

ولكن اذا ما سألنا ما هو وكيف يكون الجواب ، ان الحرب ليس بالحل العادل ولا بغير العادل ، كما أنه لس بالشرعى ولا بغير الشرعى .<sup>(٣)</sup>

ويشترك كل من هوبز (Hobbes) وسبينوزا (Spinoza) وكانت (Kant)

فى وجهة نظر مشابهة لما تقدم • فيقول هوبز فى هذا الصدد ان الدول مسئلة بعضها عن بعض • وبناء على ذلك فان نوع العلاقات بين الدول مرهون بعامل القوة • وعلى هذا الاساس فلا يمكن أن يوجد ما يسمى بالقانون الدولى •<sup>(٤)</sup> وعلى حد اعتقاد سبينوزا فان الافراد ينظمون أنفسهم على هيئة مجتمع بدافع ضعفهم ونتيجة تفكيرهم • ثم ان الدول ، من الوجهة الاخرى ، لا ترى حاجة الى رص أنفسها بصورة مجتمعة • لان لها من القوة ما يصد أى نوع من الاخطار ، وانها على النقيض من الافراد ، لا تندفع بعامل الخوف • وفى حالتها الطبيعية<sup>(٥)</sup> فانها تحتاج أن تأخذ بنظر الاعتبار مصالحها الانانية فقط : اذ ان القانون الوحيد الذى يحكمها هو قانون الامن العام •<sup>(٦)</sup> أما كانت (Kant) فانه يميز بين السلوك والقانون وبين النواحي الشرعية والنواحي الاخلاقية • فالقانون بنظره قاعدة للسلوك مشفوعة بضمان • واذ أنه لم يتحسس أى ضمان شرعى اعتيادى فى قاعدة من قواعد القانون الدولى ، الا أنه لمح بأن القانون الدولى ليس بقانون ،

(٣) انظر فيما يخص Hegel

George Delvechio, Philosophie du droit, Paris, 1955

( ص ص ١٣٢ - ١٣٦ )

انظر كذلك : Paul Roubier, Theorie générale du droit, paris, 1956

( ص ٥١ وما بعدها ) •

(٤) انظر

Hobbes, Leviathan, chap. XII, in Fine - Re. this see Charles De Visscher,

مصدر سبق ذكره (ص ٢٧) •

(٥) علينا ان نكون دقيقين الا نخلط بين الحالة الطبيعية وبين القانون الطبيعى كالخلط الذى وقع فيه بعض المفسرين لآراء هوبز • انظر مثلا : (ص ١٤) •

Roberto Ago, scienza e Diritto internazionale, Milano, 1950,

(٦) انظر

Spinoza, Tractatus ideologico - politicus Re this see charles de Visscher

مصدر سبق ذكره (ص ٢٨) •



وأنه في أعلى مراحلها يمكن أن يكون فقط كعلم للسلوك الخلقى (٧) .  
وهكذا نرى أن حقيقة القانون الدولي قد أنكرها الكتاب  
لوجود ما أسموه بمبدأ سيادة الدولة . لأن هذا المبدأ إذا ما نظر إليه من  
ناحيته المطلقة ، فانه يبعد من حيز الوجود كل احتمال بوجود قانون آخر  
بجانب القانون الداخلي .

وعلى غرار هذا المبدأ نرى الماركسيين ينكرون وجود القانون الدولي  
العام . ويجب ألا يخفى عن البال ، أن الماركسيين تلاميذ هيكل بصورة غير  
مباشرة الذي كان في وقت من الاوقات ، استاذ كارل ماركس . وتبدو  
الحقيقة غريبة ، على أية حال ، حين يجد المرء ، من جهة ، ان هذا المبدأ  
يعود بتاريخه الى القرن السادس عشر وهو التاريخ الذي يبدأ به نشوء  
الدول المستقلة القوية ، ومن الجهة الاخرى ، فان السلوك الماركسي السلبي ،  
لا يدين ضعف الدولة المستمر فحسب وانما تلاشيها نهائيا . وهذا يرينا بأن  
من المحتمل التوصل الى خلاصة متناظرة على الرغم من أن احداها قد أتت  
بعد أربعمئة سنة من تاريخ الاولى بطراز تفكير مختلف . لانه يجوز ان  
نصل الى تعادل في المصالح بطريقتين مختلفتين للمعالجة حين تكون كلا  
الغيتين متعادلتين ذاتيا أيضا . وعلى هذا يصبح موضوع العقيدة أمرا ذا تقدير  
ثانوى محض .

فبالنسبة للماركسيين ، يوجد القانون في الدولة في حالة اندماجه  
الكلى معها فقط . وبهذا الفحوى ، يصبح القانون واسطة تستخدم من قبل  
الطبقة المستغلة للتضييق على الطبقة المستغلة في مجتمع رأسمالى ، أو  
لتستغل الطبقة المحكومة . والقانون و ( الدولة ) ، كونه ناتج من وسيلة  
معينة للانتاج المتضمن لناحية معينة من العمل الاجتماعى ، يبقى قائما  
ما دامت تلك الوسيلة للانتاج قائمة ويظل يستلك خصائص  
نفس الطبقة المارة الذكر . وحين يصبح القانون معربا عن  
رغبات جميع أفراد المجتمع ، يظل عمله كقانون : اذ أن الوقت المناسب

سيأتي حينما تظهر وسائل جديدة للإنتاج الاشتراكي تستطيع فيه ازالة جميع الطبقات الاخرى والقضاء على استغلال الطبقة الواحدة للآخرى .

فالمجتمع العالمي ليس بدولة : وانما يحتوى على عدد من الدول المستقلة . وهو لا يستطيع أن يصنع القانون : اذ كما رأينا أن القانون من صنع الدولة وحدها . ذلك لان المجتمع العالمي ليس بدولة لان الدول المكونة ليست فيما يتعلق بعلاقة بعضها ببعض ، طبقات اجتماعية ولا تستغل احدها الاخرى اقتصاديا عن طريق أية وسيلة عامة للإنتاج . ويصح هذا بقدر ما تكون كل دولة منها مستقلة وذات سيادة . فحينما تفقد الدولة سيادتها وتنقل تلك السيادة الى دولة أو دول أخرى ، فسوف تظهر دولة أخرى ذات سيادة وحسب . وبنفس الطريقة ، اذا ما فقدت جميع الدول المكونة للمجتمع العالمي سيادتها ، فسيكون بمكانها دولة واحدة ، وعلى ما يظهر دولة ذات سيادة منذ أن تصبح الوحيدة ، وكما هو فى السابق ، فانه بدلا من أن يوجد عدد من القوانين الداخلية فسيكون قانون واحد ، ولكن لن يكون هناك قانون دولى لانه فى مثل هذه الحالة لن يكون له مكان لانه لا يوجد سوى دولة واحدة فى هذا المجتمع العالمي . وأخيرا ، فانه فى اليوم الذى تزول فيه الدولة من عالم الوجود بحسب نظرية الانحلال التدريجى للدولة ، فسوف يكون مجال ظهور القانون الدولى ضرب من المستحيل ، ولن يكون هناك أى قانون آخر مهما كان نوعه . ثم تنعدم الطبقات وينعدم معها استغلال الانسان للانسان ، فلا قانون هناك عندما يكون مجرد آلة لسيطرة طبقة معينة . (٨)

(٨) انظر فيما يخص النظريات القانونية الماركسية :  
Hans Kelsen: The Communist Theory of Law, London, 1955.  
انظر كذلك :

Ivo Lépenna, Les theories Soviétiques de droit international, paris, 1954.  
يعترف الجزء الكبير من مبدأ الـ U.S.S.R. احتمال وجود القانون الدولى ، ولكن على اساس اشتراطى مستقل كونه واسطة ضرورية للتعايش السلمى بين الدول الرأسمالية والدول البروليتارية . وهذه الخاصية التى ميز بها القانون الدولى ليست بذات اهمية . وبصدد الموقف الذى يتخذه المبدأ بوجه عام ، انظر Hans Kelsen. مصدر سبق ذكره (ص ١٤٨) .

ان اشتراط صفة الالزام فى القانون الدولى يمكن أن يكون منطقيا لو كان بإمكان الفرد الاخذ بمبدأ سيادة الدولة كونه مبدأ صلب • والحقيقة فى هذه الحالة أن القانون الداخلى يستمد ضمانه من الدولة التى تتمتع بالسيادة • وبما أن جميع الدول تؤلف المجتمع العالمى ( وهو مجتمع فعلى (de facto) وليس بمجتمع قانونى (de jure) ) هى دول مستقلة ذات سيادة ، فان وجود القانون الدولى أمر مستحيل ، لأن وجود سلطتين اجتماعيتين أحدهما سلطة وطنية والاخرى سلطة عالمية ، شئ مخالف ، كما لو كان كلاهما وطنيين ، طاردا أحدهما الآخر بنفس المبدأ الذى يوجدان بموجبه • كيف وبأى مبدأ يستطيع المرء أن يطبق ضمانا لقاعدة دولية عامة كالتى جاء ذكرها فى المادة (٢٦) من ميثاق عصبة الأمم فى حالة رفض الدولة التى يرجى منها تطبيق تلك القاعدة الدولية ، ويساعدها فى رفضها المبدأ الشرعى ، وهو مبدأ سيادتها ، والنقد الذى يمكن توجيهه لمثل هذا الموقف ؟ نقول انه اذا نجحت احدى الدول فى مخالفة هذه القاعدة ، وهذا أمر محتمل الوقوع بتطبيق جزاء ضد دولة أخرى ، فان مركز الأخيرة كدولة يزول ، ونتيجة لذلك فان حكم القانون الدولى المرجو اثباته ، سوف يفقد خاصيته الدولية : وسيصبح فى حكم قانون داخلى لدولة أو لدول ترغم المقصر الرضوخ لحكمها • وبهذه النتيجة فلا يوجد أى أثر للقانون الدولى • والأشياء التى تبقى فعلا هى بعض قواعد العلاقات الدولية الخاصة أو قواعد التعايش السلمى بين الدول والتى تستند فى أساسها على السيادة لكل منها والتى يمكن الغاؤها من قبلها متى شئت هذه الدول •

### (٣)

٤ - والكتاب الذين يقررون حقيقة حكم القانون الدولى هم أكثر عددا • ويحمل هؤلاء الكتاب نظريات مختلفة تكون بمجموعها العام مادة بحث المبدأ التاريخى لهذا الجزء من القانون ان لم تكن مادة للنظرية القانونية العامة • وهذه النظريات تشكل فى الغالب مدارس فكرية عاشت الاجيال الطويلة بسبب ما احتوت عليه من افكار غنية •

واقدم هذه المدارس الفكرية التى ظلت تتمتع بتأييد المناصرين بصورة مستمرة هى مدرسة القانون الطبيعى • ويبدأ تاريخها الجزء الذى يمس القانون الدولى - منذ نهاية القرون الوسطى ، اى منذ ظهور اللاهوتيين الاسبان مثل فيتوريا (Vitoria) وسوريز (Suraze) • ولكن افكار هذه المدرسة حظيت بالتعديل وبصورة خاصة من قبل هوجو كروشيوس (Hugo Grotius) الفقيه الهولندى الذى يعتبر خطأ المؤسس لهذه المدرسة وللقانون الدولى<sup>(٩)</sup> •

ولقد هاجمت مدرسة القانون الطبيعى منذ نشوئها الاول نظرية السيادة المطلقة للدولة • فهى تقول : وان كانت الدولة صاحبة سيادة ( وهو كذلك اذ بدونها لا تستطيع ان تكون دولة ) فانها ليست بصاحبة القوة المطلقة • اذ ان القوة غير المحدودة تؤدى الى اساءة استعمالها : وفى اية حال فهى لا تمنح تلك لتحفز الآخرين على الطاعة • ومثل هذه القوة لا يمكن ان توجد اذا لم تستند على رضا الشعب وتحقق الرفاهية العامة وهى الامور الضرورية التى تضع الاسس والحدود لقوة الدولة • وعلى هذا الاساس يقول فرانسيسكو دى فيتوريا (Francesco de Vitoria) ان سيادة الدولة لا قوة لها حين تتخطى حدود المجتمع الدولى • وهذا يثير مشكلة عالمية فى القانون الدولى ، لان العالم لم يعد يضم العالم المسيحى كما كان الحال فى السابق وانما الانسانية جمعاء • ولكنه يذهب الى ابعد من ذلك ، فيفرق بين القانون الدولى الطبيعى وبين قانون الشعوب (Jus Gentium) او القانون الدولى الخاص الذى يستند على قبول اغلبية الجنس البشرى • وهذا التمييزبقى حتى اليوم سائدا كخاصية اساسية لهذه المدرسة الفكرية •<sup>(١٠)</sup> اما سوريز (Surez) فانه يقبل الوحدة السياسية للدولة على ضوء مبدأ السيادة ولكنه يحاول ايضا ان يوصله بوحدة الجنس البشرى اجمع • وهذه هى

(٩) انظر فى هذا الصدد : Louis Le Fur. (ص ١٥) •

(١٠) انظر

Francisco de Vitoria, Relectiones de Indis et de Jure belli, Ed. Carnegie, 1952.

النقطة بالذات التي تجعله يميز بين القانون الطبيعي والقانون الوضعي •  
لان القانون الدولي الوضعي يفرض على الدول بسبب نشئه العام وهو يشق  
اصله من موافقهم جميعا • اما القانون الطبيعي فانه يفرض نفسه بسبب أن  
مصدره يستند على وحدة الانسانية كلها • فالقانون الطبيعي الذي هو الوجه  
الايجابي لقانون الشعوب هو قانون ذو غاية موضوعية لا تتغير لانه يتطابق  
مع نعليل لا يقبل التبدل • ولكن يجوز تطور القانون الدولي ، فيصبح  
قانونا وضعيا مستمدا من الضرورة ، وبهذه الوسيلة يستطيع ان يفي  
بالحاجة (١١) •

يشعر المرء بعد هذا ان كلا من هذين الكاتبين يسعى الى ايجاد توافق  
بين مبدأ سيادة الدولة الذي يوجد لاغراض تتصل بالمصالح الفردية للدولة  
والمعترف بها في القانون الدولي الخاص وبين الحاجة الناجمة من تحديد  
التوسع الذي تسعى اليه كل دولة تلبية لمصالحها الانانية ، والى فرض  
احترام للقرارات التي تتفق عليها هذه الدول على اساس تبادل المنفعة والعرف  
والعادة ، لغاية عامة هي حفظ الجنس البشري الذي هو الاساس الصحيح  
لكل قانون وعلى الاخص القانون الدولي •

على ان الباحث يرى في اراء كروشيوس انه اكثر ميلا في تفضيله  
فكرة انتشار نور العدالة الذي يبرهن عليه بطرق تحليلية تستند على القانون  
الطبيعي من فكرة المنفعة العامة المبنية على القانون الوضعي • لان الاخير ما هو  
الا مادة للقانون الطبيعي يأتي على ذكرها ليؤكد عليها وليكون ضمنا لها •  
ولكن حقيقة القانون الطبيعي كما وردت اعلاه تنكر قبل كل شيء وجود  
القانون الوضعي • فكيف يمكن تصحيح هذا الانكار ؟ ويتم ذلك بالرجوع  
الى التعليل والتحسس بوجود الدولة والاراء التي تساندها المبادئ • ولكن

Francesco Surez, Tractatus de legibus,

(١١) انظر

( الفصل التاسع عشر ) •

c. Barcia Trelles, Francesco Surez,

انظر كذلك

Recueil de cours de I.' A.D.I. de la Haye, 1932

( المجلد ٤٣ ) •

هذا يرينا بكل وضوح استعداد القانون الطبيعي للتغلغل (١٢) .

ولقد وجدت هذه المدرسة الفكرية منذ ذلك الحين مناصرين لها في جميع الاقطار وفي جميع الاوقات . واستطاعت بفضل عمرها الطويل ان تغير اتجاهاتها السياسية بصورة كلية عن الاتجاهات التي دعت بها في الاصل . فقد كانت ايام كروشيوس تحارب سياسة الامراء المطلقين والتي اعتبرت من جراء موقفها بانها مبدءا تقدما ، فانها اليوم تسعى ضد التقدمية الزائدة والحركة ، تحت شعار الاستقرار والامان . على اننا اذا ما اخذنا باى من الحالتين فاننا نجد هذه المدرسة تسعى الى ارغام الدولة ، على الصعيد الداخلى ، الى اخضاع نفسها للقانون الوضعى الذى ينظم حياة مواطنيها . اما على الصعيد الخارجى فلا يقتصر الامر على الاخذ بتعاليمه فحسب وانما الاخذ بالعادة والعرف الدولى ايضا . انها تفرض هذا الواجب على الدولة باسم هذا النوع من التعليل الذى ينتهى ان عاجلا او آجلا الى مقاومة كل من يعاديه .

وعليه ، فان هذه المدرسة الفكرية ، كما يبدو ، تستند على مبدءا خلقى وروحى لاتخاذ واسطة له من القوة والقسوة ما يمكنه من فرض حدود تعليلية لاعمال الدولة .

والجدير بالذكر ان دور هذه المدرسة يختلف فى حاله علاقة بالقانون الداخلى عنه فى القانون الدولى . ففي الحالة الاولى ، فان هذا الدور يدور حول جعل القانون الوضعى قانونا موضوعيا ؛ اما فى حالة القانون الدولى فانها تفرض وجوده حتى اذا ما اختلف مع اى فكرة للقانون الطبيعى صدقة . وهنا يمكن القول ان مثل هذا القانون الوضعى لا يمكن ان يكون دائما - اذ أنه سيمر بتجربة مقاومته من الافراد الذين يعملون على هدمه

(١٢) انظر :

Louis Le Fur, La théorie du droit naturel depuis le XVII Siècle et la doctrine moderne, Recueil des cours de r. D.A.I. de La Haye, 1927, t. 18, (ص ٢٦٥ - ٣٩٩) .

ان عاجلا او آجلا • ويترتب على وجوده الفعلى ، مدى تطابقه مع القانون الطبيعى • هذا هو الحال ، ولكن ماذا يحدث لو كان هذا القانون موجودا فعلا ؟ لا يمكن الادعاء بصورة جازمة انه ليس بقانون وتسميته بالقوة مثلا • اذ أن جميع احكام القانون المشرعة فى قطر يسير على النظام الدكتاتورى تصبح حينئذ غير ذات أثر او قيمة او بعبارة اوضح ملغية حين يقضى على ذلك النظام • وعلى ما يظهر فان هذه القوانين لا يمكن ان تلغى جميعها فجأة • وعلى كل حال فان دور مدرسة القانون الطبيعى فى نطاق القانون الدولى ذو نطاق اوسع من غيره • ومهما كانت نوعية احكام القانون الوضعى ودرجة تطابقها مع العدالة والتعليل فانها لا تزال تحتاج الى قوة الزامية واخرى تشريعية • وسنرجع الى توضيح هذه النقطة فيما بعد •

#### (٤)

٥ - لم تكن نظرية السيادة المطلقة للدولة ، التى تكرر وجود أى احتمال للقانون الدولى ، ولا نظرية القانون الطبيعى التى لم تقبل احتمال وجود القانون الدولى فحسب وانما سعيها الحثيث لاثبات وجوده فعليا ، بإمكانهما ، على الرغم من انهما اقدم النظريات وارسخها قدما ، من اثبات وجودهما فى موضوع دراسة كل منهما • وأن اول هاتين النظريتين ابدتا معارضتهما للقانون الدولى لا لانه غير موجود ، كما تدعيان ، وانما لانه يرى ان السيادة المطلقة التى تستخدم كنفذ ضد نظرية القانون والدولة لا تتفق والحقيقة • وسنرى فيما بعد ان القانون الدولى هو حقيقة واقعة ، اذ أنه يمتلك لعنصرين يحتويهما اى حكم قانونى ، الا وهما القاعدة القانونية والضمان ، وعلى الرغم من هذه ، فانه ليس بجزء يحتل مرتبة علوية ودائمة فى الدولة ، ويعود الى حكومة معينة ، وله قوة لازمة وجيش وشرطة كما هو الحال فى الدولة القومية • واذا كان صحيح ان وجود مثل هذا القانون لا ينسجم ومبدأ سيادة الدولة (وهو كذلك) ، فانه من المفضل ، من الوجهة العلمية ، تعديل مثل هذا المبدأ بدلا من انكار الحقيقة • كما سنرى ايضا ان مبدأ السيادة



النسبي او على الأقل اللاعلى بإمكانه ان ينسجم بنفس الطريقة التى ينسجم بها مع المبدأ القانونى بصورة عامة والقانون الداخلى بصورة خاصة .

وما هو صحيح بالنسبة لنظرية السيادة المطلقة للدولة هو كذلك ايضا بالنسبة للمبدأ الماركسى القانونى للدولة الذى ، على الرغم من انه لا يأخذ بنفس الاتجاه ، لكنه يصل الى نفس النتائج . واذا كان ادعاؤه بحرب الطبقات يمنعه من الاعتراف بالقانون الدولى فى الوقت الذى لا يوجد مثل هذا الحرب ، وان القانون الدولى بذاته هو حقيقة ، فان على مثل هذا المبدأ تعديل أسسه ومواقفه بدلا من رفضه الدليل الواقعى .

اما بالنسبة لنظرية القانون الطبيعى ، فانها النظرية الاولى بحق التى احتجت على الصفة المطلقة لنظرية سيادة الدولة ، والتى قبلت باحتمال وجود القانون الدولى . ولكن مهمتها ذهبت الى ابعد من ذلك : حيث تضمنت - ليس مجرد قبول الوجود المنطقى للقانون الدولى - ولكن الاكثر من هذا فانها برهنت على حقيقة وجود هذا القانون . فهل حققت اية نتيجة ؟ والجواب . . لا . . لانها توصلت بالنتيجة الى افتراض قاعدة لهذا القانون بدلا من البرهان على وجوده . فلقد سعت الى التساؤل عن وجود احكام القانون الدولى او لماذا يجب ان توجد فى الوقت الذى هى ليست موجودة فعلا . وبعبارة اخرى ، فانها بدلا من البرهنة على حقيقته ، تفترض ان تلك الحقيقة او تلك الحاجة مبرهن عليها مقدما ، كونها متفق عليها بداهة ؟ مكتفية بوصف الاسباب التى هى بنظر مؤيديها البرهان لارغام الدول على الاخذ به . وبناء على ذلك فانها تضع امامها نفس المهمة التى تضعها النظريات السياسية والقانونية ذات العلاقة بحكم القانون الداخلى الذى هو جزء منه والذى يعتمد عليه هذا الحكم لاثبات وجوده . لماذا تسير بهذه الطريق ؟ انها بنظرنا ترى فى احكام القانون الدولى ، كما هو الحال فى الواقع مع حكم اى قانون ، ناحيته القواعدية ، ومؤهلاته كحكم تطيقي ، وناحيته الامرية فقط من دون أى ضمان مادى . ذلك هو السلطة الاجتماعية المستقلة المتميزة بقوتها الالزامية او استعادة سطوتها حين مخالفة احكامها . اذ على هذه السلطة



يعتمد وجود احكامها القضائية الكلية التى نحن بصددھا وبمسلكھا المتردد هذا يستطيع المرء ان يقول - خاصة اذا كان من نوع متھكم - انه بالرغم من جميع محاولاتها للبرھنة على العكس ، فان مدرسة القانون الطبيعى تنكر بصورة غير مباشرة وصريحة ، حقيقة وجود القانون الدولى بالذات •

٦ - وردا على هاتين النظريتين القديمتين اللتين لم تثبتا القدرة فى موافقھما ، فقد جرت محاولة بناء نظرية اخرى هدفت بالاساس الى تأييد احكام القانون الدولى • والواقع ، وبناء على قبولھا مبدأ سيادة الدولة المطلقة ، فقد بات من الصعب عليها التأكيد على اية ناحية اخرى ، تزيل من الصعوبات التى تقف امام القانون الدولى • ولكنها مع كل هذا فقد التفتت بصورة تساؤلية ( فضولية ) الى ناحية ارادت منها ايجاد وفاق بين نظريتها السلبية وبين حقيقة القانون الدولى • وهذه هى نظرية التحديد الذاتى (Self - limitation) لسلطة الدولة التى اوجدها الفقيهان الالمانيان ايرينك (Ihering) وجيلنك (Jellinek) •

فيرى ايرينك ان ارادة الدولة وحدها تخلق القانون • وليس معنى هذا - فى كل الظروف - ان الافراد يخضعون كما توجههم اليه اطماع الحاكمين فقط او انهم معدومون من اية قدرة • فالقانون هو « سياسة القوة » او هو ما يمنحه القوي • ذلك ان السلطان الجبار يتنازل عن بعض ميزاته لان ذلك فى مصلحته ، ولان هذا التنازل يدعم قوته • وعلى هذا الاساس فان الاحكام يحدون من قوتهم • وهذا يقودنا الى القول ان الدولة المالكة لقوة وضع القانون ، تملك قوة تحديدها ايضا • فالدولة تسعى لصالحها فى قبول بعض القواعد الخاصة فى علاقاتها مع القوى القانونية الاخرى • وبمجرد قبولها لهذه القواعد ، فهى تشعر بواجب الوفاء لها محافظة منها على كلمتها • وهذا ما يرينا بالضبط ان الاحكام فى هذه الطبيعة تحدد علاقات الدولة مع غيرها من الدول • ولهذا فهى تفرض تحديدها لسلطانها الخاص بها • ولكن كيف يحدث ذلك ؟ فالقوة لا يمكن ان تحدد نفسها

بنفسها • فاذا كانت هي التي تكون قيودها وحدها فهلا تستطيع ان تحرر نفسها من تلك القيود ؟ يجب على ذلك ايرينك بلا ، لان الدولة لا تستطيع ان تتحرر عن القيود التي قبلتها بنفسها • ولماذا يكون هذا الامر مستحيلا ؟ ولا يمكن ان يكون ذلك مستحيلا كما يبدو من كلا ناحيتي الامر الواقع والناحية القضائية منذ ان الدولة في الحقيقة والواقع تتسلل من احكام القانون عندما ترغب الى ذلك وعندما لا يوجد في القانون اى مبدأ أعلى ، ولا حكم مقصود بالذات ، على الاقل بالنسبة لهذه النظرية ، لارغام الدولة للاخذ بالاحكام الخاصة • ويرد ( ايرينك ) على هذا الاعتراض بقوله ان كل دولة ملزمة بالدخول في علاقات مع غيرها من الدول وان سيادتها بهذه الوسيلة تختفى ؟ اذ أنها نتيجة ذلك تقبل احكاما نشأت من طبيعة العلاقات الدولية • وبذلك تصبح اهدافها مقترنة بهذه الاحكام التي تصبح قانونا وتلزمها بحيث يكون من الصعب عليها حينئذ التسلل منها • ولا يوجد في القانون الداخلى شك من ان الدولة تملك السيادة ، ومع هذا فهناك قوانين يجب على الدولة مراعاتها ، من حيث المبدأ ، فلماذا لا يمكن ان يحدث نفس الموقف في القانون الدولي ؟

وخوفا من الانتقاد اللاذع لنظريته ، فان ايرينك يتقبل هذا الاعتراض بصورة غير مباشرة ، حيث يذهب الى ناحية غير التي بدأ بها ، ثم يتركها كما لو كانت الاساس بالذات الذي يبنى عليها نظريته<sup>(١٣)</sup> •

ولقد تطورت وجهة النظر هذه على يد جيلنك • فهو يرى ايضا ان ارادة الدولة هي المصدر الوحيد للقانون • فكما ان هناك حدودا طبيعية بين القانون الوضعي والقانون الدولي ( المبدأ الفردي في القانون ) فان هناك دوما ارادة الدولة التي تؤمن على الالتزام بالمعاهدات • لذا يجد القانون الدولي مصدره في القانون الوضعي ، والذي يعني « امتداد قانون الدولة الى

(١٣) انظر

Rudolf Ihering, L'évolution du droit (Zweck im Recht) French Translation, esp. pp. 163 s.

الخارج » ، وهو بذلك قانون عام خارجي • وبالنسبة للرأى القائل بان ارادة الدولة تفرض التقييد على نفسها تمكنها من الخروج عنه فيجب جيلنك عليه بالنفى • فهو يؤكد ، كأيرينك ، ان الدولة فى حدود القانون الداخلى كما هو الحال فى حدود القانون الدولى تلزم نفسها بدافع ارادتها الذاتية • فهلا على ضوء هذا التحديد الحاضر ، تكون هذه حدودا قضائية بحد ذاتها ؟ ربما يترتب عليها ان تضع حدودا قضائية لاعمالها ، او ربما توجه ارادتها الى اهداف معينة • فمنذ اللحظة الاولى التى تدخل فيها فى علاقات مع دول اخرى ، فانها تفقد حريتها الكاملة : اذ أنها تكون ملزمة لقبول بعض الاحكام الناشئة منطقيا من طبيعة علاقاتها العالمية ، وكما هى تخضع للتعليلات المختلفة والمصالح وطوارئ العلاقات والى ما يسمى بالضرورات الواجب تحقيقها • ومنذ أن تقبل هذه الاحكام كسبائىء لسلوكها مع غيرها من الدول ، فعليها الخضوع لهذه الاحكام لانها دولة قضائية • ويلخص جيلنك ، كزميله ايرينك ، بناء على ذلك ، قوله ان الدولة ملزمة بسلوك طريقة معينة منذ قبولها احكام معينة فى علاقاتها مع الدول الاخرى .<sup>(١٤)</sup> ولكن وجهة النظر هذه ، كما هو الحال فى وجهة نظر ايرينك ، تنبعث من شىء آخر غير ارادة الدولة فى سيادتها التى تجعلها تقبل الالتزام .<sup>(١٥)</sup>

٧ - ان الفصل الواضح لنظرية التحديد الذاتى للدولة ( التى اعترف بها المدافعون عنها جزئيا ) قد مهد السبيل لظهور مبدأ آخر ، المانى

(١٤) انظر

George Jellinek, L' Etat moderne et son droit: Introduction à l'étude du droit, trad - Française G. Fardis.

Louis Le Fur (١٥) فيما يتعلق بهذه النظرية ، انظر

مصدر سبق ذكره (ص ٢٢ - ٢٥)

انظر كذلك :

Georges scelles, précis de Droit de gens, I, paris, 1932, pp. 35 to 37

Charles De Visscher,

كذلك :

مصدر سبق ذكره (ص ص ٤٦ - ٥٠)

المشأ ، يرى أن قوة القانون الدولي لا تتصل بإرادة كل دولة ، ولكن بمجموع إرادة دولتين أو أكثر • وتستمد هذه النظرية جذورها أيضا من المبدأ الذى يقول ان مصدر القانون هو الإرادة المنبثقة من سيادة الدولة • وان هذه النظرية ترى هذه الإرادة لا يمكن مصدرها للقانون الدولي والقانون الداخلى فى وقت واحد ، وهى تؤكد وجود صفة ثنائية فى القانونين المذكورين الامر الذى لا يتيح معاملتها بنفس الطريقة • لان القانون الداخلى هو القانون الخاضع : أى أن إرادة الدولة العليا توجه إرادة الفرد الخاضعة لها • ومن الجهة الأخرى فان القانون الدولي هو قانون التناسق • فموضوعه الدول والتي تكون متساوية • ثم ان القانون الداخلى يحكم فى العلاقات بين الافراد ، بينما يعترف القانون الدولي بالدول فقط كونها مادته • وعليه فانه من الواجب علينا أن نجد أساسا آخر للقانون الدولي غير الأساس الذى الذى يستند عليه القانون الداخلى •

ولكى تبقى أمينة للمبدأ « الاختيارى » فان هذه النظرية تفترض وجود إرادة عامة لعدة دول (Gemeinnulle) ! وهذه الإرادة ليست دخيلة على إرادة كل دولة بسبب أنها جزء منها ولكنها إرادة من نوع مختلف بسبب أنها لا تتكون بصورة فردية خاصة • هذا وأن الوحدة المتكونة من الإرادة العامة هذه ليست بعقد ، وإنما هى عمل اجماعى (Vereinbarung) ذلك أن العقد يبرم حين وجود إرادتين مضادتين وهدفين مختلفين ؛ وان وحدتها تتم بفضل موضوعية القانون فقط اللذين يكونان مادته • أما فى العمل الموحد فهناك تفسير مختلف للمصالح وهدف عام واحد • وهذا هو الاختلاف الكبير بين عقود المعاهدات والعقود القانونية المعروفة لدى فقهاء القانون الدولي المشهورين • ولكننا حين نتوغل فى النظرية عميقا فان من الصعب ان نرى كيف انها تأتى براء معدلة لكل من إيرينك وجيلنك : وانه من الصعب ان نرى لماذا ان الدولة لا تستطيع الانسحاب ، حين ترغب فى الانسحاب ، من اتحاد للإرادات او تعاقدات قانونيا كمثل ميثاق الأمم المتحدة • وهناك اعتراض آخر على هذه النظرية - وهذا يخص بنائيتها •

ولكننا سوف نرجع الى هذه النقطة متأخراً<sup>(١٦)</sup> .

٨ - وعند تقدير هذه المبادئ الذاتية نجد انها تحاول التأكيد على وجود القانون الدولي ، في الوقت الذي تنكر الاسس الحقيقية للقانون الدولي لما يترتب على الاسلوب الذي تبنت فيه حججها بالذات . فيجب علينا ان نتطرق الى مبدأ يثبت بصورة عملية تطبيقية حقيقة هذا القانون بطريقة تحليلية ملزمة ، تقدم كفكرة منتجة . وهذا المبدأ هو المبدأ القياسي (Normativist) ويطلق عليه احياناً بمدرسة فينا (Vienna School) ، الذي يقوده الفقيه النمساوي المشهور هانز كلسن (Hans Kelsen)

وقد كان كلسن في السابق عضواً ينتمي للمدرسة الذاتية ، وأقصد أنه ربط القانون بإرادة الدولة واعترف بالقانون الداخلي فقط : وكون القانون الدولي هو خارج حدود الدولة فإنه لم يكن له وجود بنظره أو أنه يمكن ان يوجد بقدر ما تعترف به كل دولة كونها عضوة في المجتمع العالمي . ولكن كلسن تبذ هذه الفكرة بعد ذلك بغية ايجاد الانسجام مع تيار الافكار القانونية الجديدة . وكان قد توصل الى مذهبه الفردي (Monist System) ، الموروث من مبدأ التحديد الذاتي للدولة الذي شعر بانها النتيجة المنطقية لتسلسل الحوادث ، ولكنه بدلاً من ان يختار المذهب الفردي للقانون الداخلي ، فقد رضى بالمبدأ الفردي للقانون الخارجي ، وفيه

---

(١٦) ان موجد هذه النظرية هو (Héinrich Triepel) انظر كتابه :

Rapport entre le droit interne et le droit international, Recueil de cours de l' A.D.I. de la Haye, t. I.

انظر كذلك : Dionisio Anzilotti' Cours de droit international  
الترجمة الفرنسية من قبل Gilbert Gidel ، باريس ، ١٩٢٩ .

ان هذا الكاتب يؤكد على المبدأ الثنائي في القانون ، ولكن ذلك يتم بصورة تختلف عن النظريات « الذاتية » . انظر فيما يخص هذا :

George scelle, op. cit. pp. 37 to 40.

يفضل حكم القانون الدولي على حكم القانون الداخلي<sup>(١٧)</sup> . فهنا يتفوق القانون الدولي ، الذى يحتضن ويشرف على القانون الداخلى ، ولو كان الامر معكوسا ، فانه من المستحيل تفسير وجه الالتزام المطلق على الدولة فى الاخذ باحكام معاهدة دولية او تثبيت هوية الدولة عمليا اثناء الثورات الاجتماعية المختلفة التى يعكسها هذا القانون : وهذا الاثبات للهوية يحتاج الى حكم ذى مستوى أعلى يسمح بمثل هذا الاستنتاج المنطقى . وهنا يظهر بالذات المذهب المشهور من ناحيته الشرعية والهرمية ( الحكم الاقل اهمية يصدر غالبا من الحكم الاكثر اهمية ) متوجا بحكم فرضى للقانون ، الذى يراه كلسن ، بدافع الضرورة ، انه قانونى اساسا ، لانه « قانون محض » ... ولكن البرهان على تفوق القانون الدولي يأتى بصورة خاصة عن طريق مبدأ المساواة بين الدول : وهذا المبدأ يكون من دون قيمة عملية اذا لم يوجد هناك ، فوق الدول ، أمر قانونى يحدد العلاقات بين الدول ويمنع اية دولة من التفكير بان لها حقوقا عليا على اية دولة اخرى .

والى هذا الحد ، فان النظرية القياسية لا تذهب ابعد من النظريات الموضوعية (objectivist theories) كمدرسة القانون الطبيعى ونظرية التحديد الذاتى للدولة ، كما رأينا ، تطلب بصورة غير مباشرة وجود قانون موضوعى . ولكن كلسن يأتى بتماس مع جوهر المسألة فيما يخص بحقيقة القانون الدولي ، وانه يقترب اكثر فى هذا الصدد من علماء القانون الاجتماعى الذين يستخدمون طرقا هى غريبة كليا بالنسبة له . وكون من خصائص حكم القانون تأمينه على ضمان عام غير مشروط ، فانه يرى ان القانون الدولي موجود ، بقدر ما يكون الحرب موجودا ، وهو اعلى ضمان له ، باعتباره اما كعمل مخالف او كضمان ضد ذلك العمل المخالف . وبالطبع فان كلسن يؤكد على ان الحرب يمكن ان تفسر بنفس الدرجة كعمل

---

(١٧) انظر فيما يتعلق بتفوق القانون الدولي ، الكتاب القيم لاحد

تلاميذ كلسن Josef L. Kunz :

La primauté du droit des gens, Recueil des Cours de l' A.D.I. de La Haye, 1925 p. 556 et Seq.

غير شرعى او كجزاء لايقاف مثل هذا العمل او كعمل شرعى ، وحينئذ يكون معادلا للقول ان القانون الدولى هو ليس بقانون • ولكنه على أية حال يضمن قوله ان الحرب اما ان تكون مخالفة او ضمان • وهو يبين تعليله على شعور اعضاء المجتمع الدولى فى هذا الصدد • وبناء على ذلك فهو يلمح على ان الدولة ملزمة بصورة فعلية بالقانون الدولى • فكونه بذاته قانون ، فانه يختلف عن القانون الداخلى بذكر الحقيقة وهى انه يمثل نظاما قانونيا لامركزيا ، واقتصد ، بأنه نظام يشرع عن طريقه القانون ويضمن تنفيذه من قبل هيئات الدول المختلفة وليس من هيئة دولية خاصة • وعلى هذا الاعتبار يبدو القانون الدولى حين مقارنته مع القانون الداخلى ، بأنه يمثل كيانا قضائيا من مستوى أعلى ، قانون يوكل صفته القضائية الى القانون الداخلى فى الوقت الذى هو نفسه من نتاج الدولة ، كأي قانون آخر •

ولسوء الحظ فان مثل هذا الحل الذى يبدو لنا الحل الوحيد الممكن ، قد جاء ضعيفا بالطريقة التى اوردتها كلسن ، بسبب التحفظات السياسية - القانونية أو العملية المحضة التى فى الواقع ليست ذات اثر بطبيعة السؤال المثار فى دراستنا هنا • فهو يقول بصورة خاصة ، بأن هذا الحل هو ليس بكاف لتأييد وجود القانون الدولى او لكى يخدم كحجة تقرر فى حالة خاصة فيما اذا كانت مخالفة للقانون او ضمانا له • وهذه التحفظات تستند على تقديرات قانونية ، سار بها كلسن الى درجتها القصوى ولكن كما سنرى هى ليست بالقانونية بصورة خاصة (١٨) •

#### (١٨) انظر

Hans Kelsen, Rapports de système entre le droit interne et le droit international public, Recueil des cours de l' A.D.I. de La Haye, 1926, t. 4; Théorie générale du droit international public, Ibid, 1932, t. 4; Théorie générale de l'Etat, in Revue de Droit public, oct. 1926; Théorie du droit international public, Recueil de cours de l' A.D.I. de La Haye, 1953; t. 84; Principles of International Law, New york, 1952 - See also:

انظر كذلك

Louis Le Fur, op. cit, pp. 33 to 44;  
George Scelle op. cit, pp. 33 to 44;

٩ - ان اقوى المدافعين عن حقيقة القانون الدولى يتمون الى المدرسة

#### • الاجتماعية

وحين ندرك أنه من المستحيل ايجاد التوافق بين نظرية سيادة الدولة وبين حقيقة لا القانون الدولى فقط ، وانما حقيقة القانون نفسه ، فان الكتاب الذين يتمون لهذه المدرسة ، يرسمون خطأ فاصلا بين القانون والدولة ، ملحقين القانون بالمجتمع ، كالمثل الرومانى الذى يقول "Ubi Societas, ibi Jus" ( كما يكون المجتمع يكون القانون ) (\*) . فالمجتمع هو الذى يخلق القانون بينما تكون الدولة ملزمة للاعراب عنه وتنفيذه فى جميع اعمالها ونواهيها . وبعكس ما جاءت به مدرسة هيكل وجميع المبادئ المشتقة منها وبضمنها المدرسة القياسية ، فان الدولة لاتخلق القانون وانما تخضع له . واما قرارات الحكومات فانها ملزمة للمواطنين لا لكونها تتميز بالارادة القوية ، وانما لانها تنسجم مع ضرورات الحياة الاجتماعية التى تنشأ من كل من تضامن جميع اعضاء المجتمع والشعور بالعدالة الكامنة لدى اغليتهم الساحقة . وبسبب هذه الحقيقة الناصعة ، فان هذه القرارات ملزمة للحكومات نفسها لان دور هذه الحكومات هو دور المفسر لنظام مجرد يحتل مكانه الاعلى . وهذا يعنى ان الفرق بين الحاكمين والمحكومين هو مجرد فرق فى الكلمات ، ذلك لان كلا منهما فى الحقيقة افرادا .

ان القانون الدولى ذو طبيعة تشابه طبيعة القانون الداخلى . فهو كالقانون الداخلى نتاج للمجتمع ، الذى هو المجتمع العالمى ( المجتمع الواحد من الناحية القانونية ) . وعناصر هذا القانون هم الافراد كما هو الحال مع القانون الداخلى وليس الدول التى لا تعتبر بالعناصر القانونية . ولكن اذا ما سلك الافراد احيانا مسلك الحكام ، فان ذلك لا يغير شيئا من انهم يظلون افرادا . وعلى هذا الاساس ، ينشأ حكما قانونيا ، على الصعيد الدولى ، ،

---

(\*) المترجم .



يشبه مفعوله حكم القانون الداخلى ، من التضامن والشعور بالعدالة • وفى هذه الحالة فان على الحكومات - كما هو الحال مع الافراد - الاخذ بهذا القانون ، واذا ، ما خالف هذا الالتزام بعض الحكومات او الافراد ، فان على جميع الحكومات استخدام جميع ما لديها من قوة جزاء لسيادة وتطبيق القانون - ولا يستخدم المجتمع العالمى هيأته التنفيذية وانما يستند على هيئات الدول من هذا النوع • ولذا فاننا نرى هنا ان تركيب المبدأ القياسى لكلسن يتوصل الى نفس النتائج ، على الرغم من انه لا يبدأ بنفس النقاط • واخيرا فان المجتمع العالمى هو مجتمع اكثر سعة ، فانه أعلى من الدولة ؛ ونقصد انه أعلى من المجتمع القومى • وهذا هو السبب الذى يجعل القانون الدولى أعلى من القانون الداخلى لكل دولة ( سيادة القانون الدولى ) •

هناك تفاوت بين فى وجهة نظر هذه المدرسة • ويبدو هذا غير طبيعى عند الاخذ بالطريقة الاجتماعية باعتبارها طريقة علمية محضة • ذلك لان فى مثل هذه الحالة يجب ان يكون هناك نظرية واحدة فقط ذات وجهة نظر واحدة للمدرسة الاجتماعية • ولكن هذا يفسر على ضوء اتجاه لا يرقاه الشك ينادى به اغلب الفقهاء الاجتماعيين ويتوخون فيه غالبا استبدال الافكار التى يحصلون عليها من مشاهداتهم واختباراتهم للحقائق المحضة بالافكار السائدة • فهم تواقون للدليل على نظرية شخصية ، او وجهة نظر اصيلة ، دونما انتظار لنتائج بحوثهم كى يتوصلوا الى الموضوعية اللازمة • ويعتبر ليون دو كى (Leon Duguit) <sup>(١٩)</sup> مؤسس هذه المدرسة ، ولكن جورج سيل (George Scelle) يعتبر اكثر الباحثين كمالا

(١٩)

Léon Duguit Traité de droit Constitutionnel, t. no. 13 and 62.

لمبادئ النظرية في القانون الدولي (٢٠) •

ويختلف جورج سيل عن غيره من الفقهاء الاجتماعيين بأنه يستبدل مبدأ التضامن (Principle of Solidarity) ، الذي يستخدمه كآخر وسيلة ، بمبدأ الضرورة البيولوجي (biological necessity) • وبالنسبة للأخلاق والعدل ، والذي يعنونه دوكي بالشعور بالعدالة ، فإنه يعطيه دور المنافس جنباً الى جنب مع مبدأ التضامن ، فهو لا يتجاهل هذين المبدأين تماماً ولكنه يضعهما في موضع ثانوي •

وهو يرى أن كلا من القانون الداخلي والقانون الدولي يملك صفات خاصة به ، وانهما من نتاج المجتمع ويعتبران الافراد مادة لهما • وينطبق ذلك حتى على النواحي الفنية ، فبدلاً من ان يملك كل منهما قواعد مستقلة ، فإن لهما نفس القواعد • وهذه تسبب تداخل قواعد احدهما بالآخر عند تنفيذ احكامها ؟ ففي بعض الاحيان تعمل بمثابة القانون الداخلي : حينما يؤكد على هذا القانون ، وفي احيان اخرى تعمل هذه القواعد بمثابة القانون الدولي : حينما تتوخى تطبيق احكام القانون الدولي ( نظرية العمل المضاعف ) (٢١) •

١٠ - وفي وسط الاتجاهين المتطرفين في الرأي ، الاتجاه الذي ينادى بالسيادة المطلقة للدولة ، وهو الذي ينكر حقيقة وجود القانون الدولي ، والاتجاه الآخر الذي يعترف بوجوده ، على اساس اثباتات نظرية

(٢٠) انظر

Jean Spirupoulos, Théorie générale du droit international, paris, 1930; Traité theorique et pratique de droit international Public, paris, 1933. H. Lauterpacht, Règles générales du droit de la paix, recueil de cours de r' A.D.I. de La Haye, 1937, t. 4 - Roberto Ago, op. cit; Dietrich Schindler, Contribution à l'étude de facteurs sociolog, ques et Psychologiques du Droit international, Recueil de cours de r' A.D.I. de La Haye, 1933, t. 46, pp. 233 to 325.

(٢١) انظر :

George Scelle, précis de droit des gene, mentioned above; Les règles du droit de la paix, Recueil des cours de r' A.D.I. de La Haye, 1933, t. 4.

مختلفة ، هناك نظرية نشأت فى خلال الحرب العالمية او بعدها وهى ترى ، كما رأت الجهتان المتنازعتان خلال نصف القرن الحالى ، ان القانون الدولى يمر بازمة حادة ، لانه لا يملك القوة التنفيذية فى وضعه الحالى ، لعدم استطاعته منع الخلافات العالمية وحفظ السلام ، الامر الذى يوجب فى مثل هذه الاحوال اجراء اصلاحات فعالة لتقويته وجعله متمكنا من تحقيق اهدافه الضرورية (٢٢) .

ان هذا الرأى الوسط يأخذ من كلا النظريتين المتطرفتين ولكنه اكثر تفاؤلا من النظرية الاولى واكثر تشاؤما من النظرية الثانية . وكان النظرية الثانية ، فانه يعترف بوجود احكام القانون الدولى وذلك يجعلها تستقر على احد المبادئ المقترحة من قبل المواقف المختلفة لهذا الرأى . ولكنه كالنظرية الاولى ، يعترف بعدم اهمية هذه الاحكام ، بسبب السيادة الوطنية لكل دولة ، والذى تتمسك بموجبه الدول بدرجة كبيرة ، بدلا من التنازل بجزء منها تحقيقا للاتسجام واحكام القانون الدولى ، بحيث يكون هذا التنازل الذى يخدم هذا القانون ويكسبه كيانا ، فى الواقع لىخدم مصالح الدول ذاتها .

ان عيب هذه النظرية ، ذات النوايا الحسنة يعود فى الاغلب الى فقدانها الاساس العلمى ، ، اذ أن نصفها له اساس علمى فقط واما النصف الآخر فهو بمثابة دعوة سياسية الى وجدان الافراد وحكامهم . والاكثر من هذا انها تخفى خطأ آخر فى المبدأ ولو أن ذلك لا يمكن من القول ان أسس النظرية بكاملها قد فشلت فى تبيان دور القانون فى المجتمع الانسانى .

وبنظر اصحاب هذه النظرية ، فان دور القانون الدولى والقانون الداخلى هو الحصول على السلام وتجنب الحرب او على الاقل منع وقوعه

(٢٢) يطغى على اغلبية الكتاب فى القانون الدولى عدوى هذا التشاؤم . انظر بصورة خاصة

Josef L. Kunz, La crise et les transformations du droit de gens, Recueil de cours de r' A.D.I. de La Haye, 1933, t. 4.

بصورة مستمرة وإلى حصر آثاره إذا وقع بالفعل أضرار وهذا أشبه شيء بالنزول بالقانون الدولي إلى مبادئ خلقية لسلم دائم ، كما حلم بها كانت (Kant) . ويعتبر معهد لاهاي للقانون الدولي نفسه ، كأحد المعابد

المقدسة لهذه النظرية الذي نظم حوالى ١٩٣٠ سلسلة من المحاضرات على هذا الموضوع : قانون السلم<sup>(٢٣)</sup> . ولكن هل إن هذا حقيقة هو الدور الوحيد للقانون على أى مستوى ؟ وهذه هى الناحية بالضبط التى يشير إليها هؤلاء « المتفائلون الفاشلون » وهى ناحية خاطئة ، وسنرى كيف وقعوا فى هذا الموقف الخاطيء . فعن طريق مناقشة هذه الناحية سنستطيع فى فصل واحد أن نبرهن عمليا على وجود القانون الدولي وهو بالنسبة لوجهة نظرنا ، أكثر وضوحا من أغلب النظريات التى عاجلت هذا السؤال .

## (٥)

١١ - لا يقتصر دور القانون على تجنب وقوع النزاع فى المجتمع فقط . فهو يعمل على ضمان ذلك أيضا . وبهذه الوسيلة يقف على اهبة الاستعداد حين وقوعه أو حتى فى تحرى حقيقته . وعليه فإن دور القانون هو دور مضاعف : منع وقوع ما يخل بالنظام القائم ، ومنع مثل هذا الخلل ، أى بارجاع الوضع إلى حالته النظامية . وهاتان الناحيتان ناحية المنع والاكراه هما عنصران أساسيان من عناصر القانون واللذان ينتجان من خصائص القانون القياسية . فإذا كانت صفة المنع هى الهدف الوحيد ، يكون القانون عندئذ موضوعا لما هو وليس فى ما يجب أن يكون . وإذا ما أثبت وجوده على هذه الصورة ، عندئذ يكون عديم الفائدة كما لو كان مطاعا تلقائيا ومن دون اكراه أو تهديد بالاكراه وكما لو كان قانونا طيعيا . فيكون وجوده ومبادئه المهمة معتمدة بالضبط على احتمال وقوعه وعلى نوعية المخالفات التى تحصل ضد ذلك النظام القائم الذى هو غالبا مجرد توضيح

---

(٢٣) إن بعض ما جاء فى هذه المحاضرات قد أشير إليه فى هذه الدراسة .

ضمنى • والواقع ، ان حكم القانون ينص : على « ان الذى يقتل او يسرق سوف يعاقب بـ ... » ( ثم يتبع ذلك وصف الجزاء ) • والناس على انواع • فقسم منهم يخاف من العقوبة وبذلك فهو يمتنع عن مخالفته للنظام القائم ؛ بينما يتجاهل اخرون حكم القانون نهائيا ، اما بسبب عدم ترددهم فى القيام بمجازفة او بسبب عدم ادراكهم تماما للنتائج المترتبة على عملهم او بسبب اعتقادهم ان باستطاعتهم التملص من الجزاء • وعلى ما يبدو من الحالتين ، حالة المنع وحالة الاكراه ، ان الغرض النهائى للقانون هو النظام والسلام ! فعن طريق الحالة الاولى يمكن الحصول على النظام والسلام وعن طريق الحالة الثانية يمكن استعادة النظام والسلام بعد حصول المخالفة • ولكن هذا يعتبر مع كل ذلك خرق او مخالفة للنظام وهنا تستقر صحته •

وبالنتيجة اذا ما أدت الحال فى الغالب الى نشوب حرب فى المجتمع العالمى ، فهذا لا يذهب باى حال من الاحوال بحقيقة القانون الدولى • وحتى يمكن القول ان نشوب الحرب يؤكد على حقيقة القانون الدولى ويبرهن عليه بصورة غير مباشرة وذلك بالكشف عن ضرورة وجوده • لانه ، ونحن نؤكد ثانية ، اذا لم يكن هناك حرب ( المخالفة لاحكام القانون الدولى على حد اصطلاح كلسن ) او الاشكال الاخرى من المخالفات لما هو سائد من اوضاع خارجية ( ونقصد حكم القانون الدولى ) فقد يترآى للمرء ان ليس هناك حاجة لذلك الحكم القانونى بنفس الطريقة التى يرى فيها عدم حاجته الى جميع احكام القانون الدولى •

والواقع ان القانون الدولى الايجابى لم يدع قط انه حذف مصطلح الحرب من كل من معجمه ومن الحياة العالمية • على العكس فانه ينظر اليه بعين واقعية ويضع الشروط التى يجب ان يسير عليها ويضفي عليها صفة « قضائية » • ثم اتنا لا نجد فى ميثاق عصبة الامم ولا فى ميثاق برياند - كيلوك ( Briand - Kellogg ) ، ولا فى ميثاق الامم المتحدة أى مسلك معاكس لذلك • على العكس ، فان الحرب الشرعى او الدفاعى قد رخص

به • اما اذا كان الهدف من الحرب غير ذلك ( ما لم يكن هدف تلك الحرب احداث مخالفة اخرى تعكّر صفو الامن والاستقرار العالمى ) فعندها يصبح حربا غير شرعى او اجرامى •

وما يتأتى من حرب اجرامى وحتى من حرب تأديبى من اعتداء هو بناء على ذلك ليس بالقانون الدولى ، ذلك لان مثل هذه الحرب أمر غير شرعى ولا يخضع للقواعد القياسية والاجتماعية التى يرخص فيها الحرب : فشرعية الحرب تتجلى حين تتبلور تلك الصفة حوله وحين يكون هدفه بالضبط تأمين السلام والامان فى العالم بطرق هى غير استخدام القوة الفظيعة • ويراقب تطبيق النظام الشرعى عن طريق المنظمات العالمية ، ( منظمة الامم المتحدة ، محكمة العدل الدولية ، مجلس الوصاية الخ •• ) ، وباعداد قواعد للعمل ( المعاهدات ، العادات والعرف ، والمبادئ العامة للقانون ) التى هى ليست من الضرورى ان تكون قانونية ، وبالمحاولات لحل الخلافات العالمية بطرق سلمية ( المفاوضة او التحكيم ) ، وبطرق خاصة اخرى ممكنة التطبيق ، الخ • وهذا الطريق الشرعى على المستوى العالمى وان كان طريقا غير مضبوط ، الا انه ليس بالقانون نفسه • وحينما فشلت عصبة الامم فى محاولاتها فى منع وقوع الحرب العالمية الثانية ، كانت العلة فى الامر ترجع الى عدم صلاحية النظام القانونى الذى كانت العصبة تسير بموجبه وليس القانون الدولى : اذ أن القانون الدولى نفسه لم يتأثر بأية طريقة من الطرق • وتنطبق نفس الحالة اليوم مع خلفها ، الامم المتحدة •

١٢ - وهذا الاتجاه نفسه يسبب ارتباكا فى المواضع القانونية المستقلة ويؤدى بها الى اعتبار القانون الدولى قانونا منفصلا عن القانون الداخلى • فلقد شهدنا مولد المذهب المزدوج (dualist conception) الذى له صلة بالنظريات الجرمانية المستقلة • ولكن حتى أولئك الكتاب الذين اختاروا المذهب القانونى الفردى (monist conception) فانهم يعترفون

من أن النظامين القانونيين ليسا بالمتكافئين بالصورة المطلقة • ويعتبر كلسن (Kelsen) الكاتب الوحيد خارج الفقهاء الاجتماعيين ، الذى يقول ان الاختلافات القائمة بين النظامين القانونيين هى اختلافات فنية (٢٤) ، والتي يجب أن توضح كاختلافات على أية حال حين البحث فى النظامين المذكورين •

والذى يجعل هؤلاء الكتاب يعتقدون أن القانون الدولى ليس من نفس طبيعة القانون الداخلى من حيث المبدأ ، هذه التقديرات السلبية الثلاثة : عدم وجود أية هيئة تشريعية ، فقدان ناحية الالتزام فى نطاق القانون ، وعدم وجود سلطة تنفيذية له • (٢٥) وبناء عليه فانهم يعتبرون القانون الدولى مختلفا عن القانون الداخلى وهو نظام قانونى غير كامل • فهو يحتوى على قاعدة معينة للعمل ( المعاهدات ، العادات ، المبادئ العامة ) ولكنه يخلو من أى ضمان قانونى • ومن هذه الناحية ، فان بعض الكتاب يجد مقابلا للقانون الدولى فى القانون الداخلى : وهذا هو القانون الدستورى ، الذى توجد فيه أحكام معينة يعوزها الضمان القانونى • مثلا : مسؤولية الحكومة بالاستقالة بعد حصولها على أقلية فى المجلس الوطنى عند التصويت لها بالثقة أو مسؤولية عقد البرلمان فى فترة معينة بعد الانتخابات العامة • فليس هناك ضمان ، كما يقال ، يضمن تطبيق هذه الاحكام حين لا تود الحكومة مراعاتها • (٢٦)

ووجهة النظر المزدوجة هذه ، تدعونا الى البحث فيها بشئ من التفصيل • أولا ، وهذا أيضا الجواب للمبدأ الذى يحمل فى الحقيقة هذا

(٢٤) انظر

Hans Kelsen, Théorie du droit international public, op. cit, p. 5.

(٢٥) انظر

Charles Rousseau, Droit international public, paris 1953, no 7.

انظر كذلك

Louis Le Fur, op. cit, p. 103; Charles de Visscher, op. cit., p. 9.

(٢٦) انظر مثلا ، فى هذا الصدد Paul Roubier, op. cit, p. 40.



الاسم • فاذا ما ادعى المرء ان هناك قانونين مختلفين ، الاول قانون داخلي والثاني قانون دولي ، فان ذلك يؤدي الى انكار أحدهما • فالقانون من هذه الناحية اما أن يكون واحدا أو لا • ومن دون التعرض الى جميع التعاليل التي تخيلها كل من في تدعيم المذهب الفردي ، فهناك تعليل واحد من هذه يسيطر عليها جميعا - والذي يقول ان السلطة القضائية لها غرضها وتعريفها الدقيق الخاص بها • ولكن هذا الهدف يجب أن يكون محصورا بقانون واحد وليس بقوانين عديدة • وأولئك الذين يقدررون ، بالرغم من كل ما تقدم ، ان القانون الدولي يختلف عن القانون الداخلي ، فان ذلك يعنى أن هذا القانون أو ذاك ليس بقانون ، وبناء على ذلك فلا يمكن ادخال ذلك القانون في النطاق القضائي • فأما بالنسبة للقانون الداخلي باستثناء جزء من أجزاء القانون الدستوري ، فمما لا يتنازع فيه أحد أن نوعيته لا يوجد مثلها في القانون الدولي •

وهذه الملاحظة هي صحيحة كذلك بالنسبة لآخرين ، وما عليهم أن يحملوا وجهة النظر المزدوجة بصورة واضحة ، والذين يقولون بوجود قانون كامل ، هو القانون الداخلي أو ان هناك قانونا ناقصا وهو القانون الدولي وجزء من القانون الدستوري الداخلي • وعلى كل حال فان هذا يحتاج الى جواب أدق • فماذا يقصد « بالقانون الناقص » ؟ لا يمكن أن يعطى ذلك غير هذا المعنى : قانون يعوزه بعض الشيء لكي يصبح قانونا • وبناء على ذلك فان القانون الناقص هو ليس بالقانون ولكنه شيء آخر • وبالنسبة للقانون فان الاوصاف كامل وغير كامل هي اوصاف لا تناسبه • فقد يستطيع المرء أن يقول ، بإمكان الانسان أن يصبح كاملا أو غير كامل - ولكن ذلك لا يغير بأى حال من الاحوال الفكرة العامة فيما يخص الانسان : لان وجود فكرتين عنه لا يقلل من حقيقته • فكالاتان الكامل أو غير الكامل ، فان القانون الذي يشتمل على نفس الالقاب الموضوعية يفترض مقدما امكان اجراء المقارنة ، ولذا فيمكن القول ان علاقة الانسان



بالقانون هي منتصف الطريق بينهما ، أى أنها علاقة « حيادية » فما هو هذا القانون اذا ؟ انه ليس بقانون موضوعي بالتأكيد ، سواء أكان ، أعلى أم أدنى من قانون معين ، والوضح أنه ليس بقانون وهذا ما يجعله أقل موضوعية من القانون الايجابى . والسؤال هنا يخص العلاقة وليس التطابق او عدم التطابق مع فكرة مثالية معينة . ويترتب على ذلك ، ان المرء اذا ما اعتقد ان القانون الدولى هو قانون ناقص ، أى أنه غير كامل ، فانه ينكر وجود ذلك القانون من دون شك ، لان القانون غير الايجابى هو ليس بقانون . أما اذا رغب المرء ، العكس ، أى بتسميته بالقانون ، فعليه عدم اقام كلمة « قانون » الى الصفة « غير كامل » لان ذلك من غير معنى . (٢٧)

وعلى كل حال فان هذا الفقدان للمعنى ليس مقصودا فالمرء لا يستطيع أن يقصد « قانونا غير كامل » بل حكما قانونيا غير كامل . فهى توضح الفكرة من أن هذا القانون لا يقترن ، كما هو الحال مع القانون الداخلى ، بجميع تلك الوسائل العملية الكافية التى تكون نظاما قانونيا ، أى تطبيق حكم القانون بناء على سنن واجراءات وصفت فى السابق ، التى تساعد ذلك القانون من تحقيق هدفه الاسمى المعنى بالبحث : النظام الاجتماعى والسلام عن طريق الامان والعدل . ولكن ذلك لا يمكن أن يشير الى أن ذلك القانون غير كامل اذا ما اعترف المرء بوجوده .

والاكثر من ذلك ، فاذا ما اختبر المرء أى من الخواص الثلاثة التى يفترضها القانون الدولى ، فبدلا من القول أنها غير متوفرة فى أحكامه ، فانه سوف يقتنع أنها ليست أجزاء أساسية من هذا القانون ، وحتى الاخير منها ، الذى هو السلطة التنفيذية وهو الذى يخص ناحية الاكراه .

---

(٢٧) وهذا لا يمنع من القول ان حكم القانون يجوز ان يكون حسنا أو سيئا ، وعندئذ يكون هذا التقدير مبنيا على وجهة النظر التى تؤكد على النظام القانونى أو الشرعية . وهذا لا يتضمن فحوى القانون المنوه عنه بالذات .

فمن ناحية مسألة التشريع ، فإن القانون ، كما يعلم كل فرد ، يمكن أن يقوم من دون تشريع . فالعرف المكتسب الصفة القانونية هو بالتأكيد سابق للقانون المسجل أو للحكم الافتراضى العام . ولكن لا يوجد أحد يجادل فى أن العرف عامل أساسى فى تكوين القانون وأن القانون الناتج عنه هو قانون كامل لا ينقصه أى عنصر من عناصره الضرورية اللازمة لوجوده . كما نعلم أيضا أن القانون المسجل كان قد ظهر فى مرحلة تطور المجتمع الانسانى التى دعت الحاجة فيها الى ايجاد أحكام عامة ودقيقة للقانون المشرع وذلك لتنظيم العلاقات الجديدة فى اجتماع المتطور . ولكن هذا واضح لدينا تماما ، لان القانون تحت هذه الاهداف والظروف يخلق نوعية معينة من الشرعية ، وكما سنرى هى مترادفة مع نوع معين من القانون ، ولا علاقة لها بالقانون بوجه عام ولا بأى قانون من نوع آخر .

أما مسألة الحاكم ، فمع أنها أكثر تعقيدا ، الا أنها تتبع نفس النظام . والبرهان على ذلك ، هو أن الفرد المتضرر ، فى مجتمع مستقر ، يستطيع أن يطبق حكم القانون من دون حضور أية جهة أخرى تطالب بحق الفرد المتضرر (جهة ثالثة تأخذ بالتأثر) . فالمبدأ الذى يقول أنه لا يجوز لاي فرد تطبيق حكم القانون بنفسه هو مبدأ معترف به فى كل من القانون المحلى والقانون الدولى ، وانه فى القانون الدولى يطبق بحماس مفهوم ولكن هذا المبدأ يعود الى النظام القانونى ، أى الشرعية القانونية وليس القانون .

وأخيرا مسألة السلطة المسيطرة ، وهذه تنطبق عليها المناقشة الى حد ما . لان السلطة التى تطبق حكم القانون على مسألة معينة هى ليس بسلطة تنفيذية ولكنها السلطة الاجتماعية ذات السيادة التى تقف وراء تلك السلطة ، والتى تخولها العمل وتضمن لها النجاح . وسنرى بعدئذ ان هذه السلطة موجودة بالفعل فى القانون الدولى وأنها مسؤولة عن تطبيقه من دون وجود جهاز يصدر الصلاحيات لتحقيق هذه المهمة . وهنا أيضا

فان النقص يخص شرعية القانون وليس فى القانون • (٢٨)

١٣ - واذن ، فما هو ضرورى لوجود حكم قانونى هو وجود سلطة عليا ذات سيادة ضمن المجتمع ، وهى السلطة التى يرجع اليها تقدير الحكم الاخير • فاذا ما كان هذا العنصر غير موجود ، فلن تكون أية قيمة للنظام القانونى بأسره • وعندها لن يكون أى أثر لهيئة تقوم بتشريع القانون الدولى بصورة منتظمة ( والمقصود هنا أية منظمة عالمية أو مجمع علمى عالمى ) ، ولا فائدة من وضعه فى مجاميع قانونية مصنفة ولا معنى من اهتمام الدول اليه فى خلافاتها من تلقاء نفسها بصورة منظمة ولا منفعة من محاولة المجتمع العالمى من تعيين هيئة تنفيذية ، لان عدم وجود تلك السلطة العليا المستقلة لا يستتبع وجود أى شىء يمكن تسميته بالقانون الدولى •

وعليه فانه من الثابت، وعلى ضوء ما فصلناه ،سهولة تجاوب القانون مع النظام القانونى ، وهو أمر مرغوب فيه • وبألباسه هذا الثوب من الشرعية ، فان القانون نفسه يتغير كما لو كان ذلك من طبيعته • وبهذه الوساطة يصبح قانونا من نوع معين ، قانونا خاصا محددًا بالزمان والمكان لان النظام القانونى المطبق هو قانون ، وانه قانون مكمل من حيث أنه يبدله ويعدله بصورة ثانوية • وعلى هذا النوع من التحليل فقد كان هناك قانون دولى فى وقت عقد معاهدات ( وستيفاليا ) ، وآخر أثناء عقد التحالف الدينى ( Holy Alliance ) آخر فى وجود عصبة الأمم ولا يزال هناك اخر لمنظمة الأمم المتحدة •

(٢٨) هناك أيضا حالات مشابهة أخرى تبين الاختلاف بين القانون الدولى والقانون المحلى • فمثلا ، نجد فى احداها ، ان الاحكام تقترح من قبل الاغلبية ، وفى اخرى بالاجماع • ولكن المعاهدة هى ليست تماما كالعقد ، لانه يمكن نقض العقد عن طريق استخدام الضغط ، بينما فى حالة المعاهدة فانها مدينة بوجودها له فقط • ولكن كما قلنا فان هناك جميع الاختلافات الفنية : وهذه ذات صلة بالنظام القانونى وليس بالقانون نفسه •

ونتيجة لذلك ، فانه عندما يتكلم المرء عن « الرخاء » و « الاستقرار »  
فى بعض الاحيان وعن « الازمات » فى القانون الدولى فى الكثير من  
الاحيان ، فان ذلك تسمية مغلوطة لان هذا القانون لا يمكن أن يتعامل مع  
أى من هذه المصطلحات المستعارة من الاقتصاد السياسى • اذ أن المقصود  
« بالرخاء » ، « الاستقرار » أو « الازمة » بالضبط هو حدوث هذه الامور  
بالنسبة للنظام القانونى ، وبالنسبة لمنظمة معينة تابعة له ( عصابة الامم ،  
الامم المتحدة ) بشرط عدم الوقوع فى أخطاء فادحة : لانه لا يمكن لركن  
من أركان القانون أن يقع فى مثل هذه الاخطاء الفادحة من دون أن يتأثر  
بها نفسه • (٢٩)

ومن دون شك بالامكان القول ان كل هذا صحيح ولكن بتهرب  
فاتق ، اذ أن المسألة مسألة تعبير وهذا ليس له أهمية كبيرة • ولن نركن  
الى مثل هذا الاتهام التهرب ، لانه اذا كان تمييزنا يستند على التهرب ،  
فانه سيفتح أبوابا أخرى كثيرة هى فى الواقع من نسج الخيال فى الحقل  
القانونى • وأما بالنسبة لما يسمى بـ « مسألة بسطة تخص المصطلحات »  
التي تتخذ فى حالات كثيرة كمجرد واسطة لاهمال عرض فكرة جديدة  
ومن دون التحدث عنها ، فاننا سوف نخوض فى الموضوع بطريقة تتعد  
كل البعد عن اغفال ذكر أية أهمية موجودة ، وعلى غير ما هو شائع • فهناك  
من الحالات ما تستخدم فيها كلمات فى غير معناها الحقيقى وهذا مما يؤدى  
الى سوء الفهم والنتائج غير الحميدة • والاكثر من هذا فاننا فى الحقل العلمى  
يجب أن نستخدم من المصطلحات ما هى دقيقة وبأقصى حد ممكن •  
ولكننا هنا ، كما رأينا ، وجود أمور أخرى : يجب أن نقرر المبدأ المعين  
لموضوع من مواضع الحقل القانونى ، ونقصد به القانون •

١٤ - والمقارنة بين القانون الدولى والقانون الدستورى التى تتوخى

---

(٢٩) تستخدم كلمة ( أزمة Crisis ) بكثرة فى القانون الداخلى  
ذاته أيضا • انظر مثلا :  
Georges Ripert, Le déclin du droit, paris, 1949.

اكتشاف أوجه التشابه بينهما وما يعوزهما من الضمانات ، هو مثل آخر للارتباك القائم بين القانون وشرعية القانون مما ذكرناه أعلاه . وإذا ما استطعنا أن نسكت برهة عن مسألة الضمان فى القانون الدولى ، لنرى ظهور هذه المسألة فى القانون الدستورى الذى هو نظام داخلى للقانون . فمن الواضح أنه حين يؤكد المرء ، بعد ما أجرينا من تطبيق ، ان هذه المشابهة بين القانونين هى قائمة بالفعل ، فان الخلاصة التى يتوصل اليها بصدد القانون الدستورى لا يمكن الا وان تكون بدرجة متساوية من الدقة مع القانون الدولى .

سحيح أن هناك عددا من القواعد الدستورية التى لا يوجد لها ضمان فى حالات يحتمل أن يحصل فيها مخالفة . ولكن هذا يعنى أن تلك القواعد لن تضمن فى النتيجة . فالحكومة التى تتجاوز فى عدم مراعاة هذه القواعد قد تؤول هذه الحالة الى حصول انقلاب أو ثورة شعبية . وهذا هو الضمان ! وقد يجوز لسان نقول ان هذا ليس بضمان قانونى ولكنه ضمان اجتماعى أو سياسى وحسب ، ولكن هذا الاعتراض يستند على تشبيه خاطئ . بين القانون وشرعيته . وإذا ما استخدم المرء ضمانا غير معين لحكم من أحكام القانون المتجاوز عليها ، أو ضمانا يختلف عن ما هو محدد فى حكم معين من أحكام القانون ، فان الضمان المطبق لا هو بالغير الشرعى والاكثر من ذلك فانه ليس ضد القانون . على أنه قانونى لانه نتاج لسلطة اجتماعية لها صلاحية الحكم فى النهاية ، وهى ذات سيادة وهى السلطة الوحيدة الحقيقية الكفوءة التى تستطيع أن تبين مضمون القانون . يضاف الى ما تقدم ، فان عمل القانون هو غالبا ما يتم على قاعدة الامر الواقع (de facto) حتى حينما يكون من عمل الهيئات الكفوءة ، لانه قانون جديد غير مشمول باى حكم قانونى قائم . ولا فائدة من القول ان هذا القانون الجديد لم يكن قط بالحالة المنفية المطلقة للقانون القديم أو بأنه سوف يعمل جنبا الى جنب معه لاننا نعلم أن التطبيق للاشياء هو فى الغالب شئ مختلف تماما .

١٥ - وهذا يقودنا الى تعريف الحكم الذى يسير على هده القانون

الدولى • وما يجب أن يقال مباشرة ان هذا التعريف يجب أن لا يكون محدودا بالنسبة لحكم القانون • ولكى يكون ذا قيمة ، فانه يجب أن يكون قابلا للتطبيق فى نفس الوقت على القانون المحلى وبالنتيجة على أى حكم قانونى مهما كان نوعه •

فحكم القانون فى نظرنا ، هو أية قاعدة يهتدى بها الانسان وتقرن بضمان مادى يقرر ويصان من قبل سلطة اجتماعية عليا •

وليس من الضرورى أن تكون السلطة منظمة سياسية فى شكل دولة حديثة • ذلك ان الدولة قد تغيرت تاريخيا فى اشكالها ومحتوياتها • فلقد ظهرت فى العائلة والعشيرة وفى المدينة او فى مقاطعات اللوردات • ولقد ظلت ردحا من الزمن ينقصها كل التنظيمات المفهومة بالمعنى الحديث • وفى المجتمع العشائرى مثلا ، كان الفرد غالبا ما يقدم التضحيات فى سبيل صيانة وتطبيق القانون • وكان القانون المطبق تحت هذا النظام بمثابة قانون « العلاقات بين الافراد » • ولم يكن لدى السلطة الحاكمة مشرعون لزمان طويل ، اذ كان القانون السائد هو القانون الذى يقوم على العرف • وداخل هذه السلطة ، التى يمكن تسميتها بالوطنية ، كان يقوم سلطة دينية شهدت تعقيدا اكثر ، وكانت تعمل على صوغ قانونها الخاص بها ضمن نطاقها ( الدينى او المهنى ) والتى كان لها فيه الكلمة الاخيرة • وكان هناك المجال لازدياد وتوسع السلطة الدينية بنفس الطريقة التى تتوسع فيها السلطة الحاكمة بحيث لا يمنعها من الوصول الى تملك السيادة داخل نطاقها ( الكنسى الجامع ) • وبوجود جميع هذه السلطات المفروضة بعضها فوق بعضها ، كان المجال محصورا بظهور المتناقضات فى مفهوم مبدأ السيادة لان كل واحد منها كان له الحرية المطلقة فى حقل عمله الذى لم تحدده حدود ، لقد كان صاحب السيادة فى مركز عمله • ونحن نرى ان القانون الدولى يجب ان ينظر اليه من هذا الباب لانه ينبثق ايضا من سلطة اجتماعية ذات سيادة يمكن ان تقوم جنبا الى جنب مع الكنيسة والدولة او المنظمات المهنية •

ان هذا الوجود المزدوج يمكننا تفسير التناقض الظاهر بين السیادات المختلفة هذه . فهی تناقض بعضها بعضا فی حالة تفوق احدها على الاخر فقط . بينما هی فی الحقيقة متناسقة . والذي يجعل المرء معتقدا بوجود مثل هذا التفوق هو وجود المجتمعات المتنوعة التي ينبثق عنها سیادات ذات اتجاهات مختلفة . وللمرء فی مثل هذه الاحوال الحق فی التصور بصورة منطقية وطبیعية ان المجتمع المتوسط يفرض نفسه على المجتمع الصغير وان المجتمع الكبير يفرض نفسه على المجتمع المتوسط . وهذا النوع من التفكير لا یملی على اساس وجود حاجة . وانما هو ثمرة لصورة یمکن ادراكها بصورة مسبقة . وهذا هو السبب الذي يدعونا الى القول بان الحديث الكثير عن تفوق القانون الدولي لا يستند على اساس . فحين كان لهذين القانونين مجالهما الخاص بهما فلا یمکن لای مجال خاص ان يفرض اسبقيته على غيره ما دام ان لهما وجودهما المستقلان . فاذا ما تداخلا مع بعضهما وهذا یمکن ان يحدث بسهولة ، او اذا ما اصبحت احدى احكام القانونين مشاعة لكليهما ، عندئذ لا يبقى هناك اية معضلة بصدد التفوق ، فلن يكون هناك قانونان وانما قانون واحد .

ويمكن القول بصورة عامة ان التفوق غير كائن لا من القانون الدولي ولا من القانون الداخلي لسبب بسيط هو عدم وجود جمع للقانون . فالقانون هو دائما واحد . فالحكم القانوني الرصين لا ينظر اليه بانه متفوق او دون غيره من القوانين . لعدم وجود سلم للتفوق فی مسائل القانون ، واذا ما وجد مثل ذلك فانه لابد وان يبنى على منطق محض او على النظام القانوني او على التعاليم او التعليقات المنطقية وليس على الحقائق والاسس . وبصدد العلاقة بين القانون الداخلي والقانون الدولي ، هناك حالات كثيرة يسود فيها هذا القانون او ذاك . وهذا يعتمد على الظروف التي تقرر وحدها فی كل حالة ای من القانونين يجب ان ينال منال التطبيق وهناك حالات فرضية يؤخذ فيها القانون الدولي بنظر الاعتبار وبصورة ايجابية ولكنه لا يعترف



به من قبل السلطة صاحبة السيادة) اما السلطة التي وضعته او سلطة اخرى غيرها ) ، على ان هذا يحدث ايضا لحكم من احكام القانون الداخلى او حكما اخر من نفس الطبيعة الا انه لا يقال مطلقا ان لا قائمة للقانون الداخلى . فلماذا اذا يقال ذلك بالنسبة للقانون الدولى ؟

ويمكن القول فى هذا الصدد انه اذا لم يكن هناك اسبقية فى حالة القانون الداخلى او القانون الدولى ( والمقصود هنا انه اذا كان كلا من النظامين ينتميان الى نفس الطبيعة والقوة ، بجانب الحقيقة القائلة ان دولة واحدة او عدة دول فى القانون الدولى هى التى تشخص المسك بالسيادة الاجتماعية العليا ) ، فانه من العبث الاعتراف بوجود قانون على المستوى العالمى ، لانا سوف نظل دوما نرفضه قانونا ذا صفة عالمية . فهو ، كما تقول النظريات الذاتية ، قانون داخلى امتد الى الخارج ؟ ان هذا التصنيف المحتمل ، والذي لا يمكن رده ، هو من دون نتيجة : انه فى الحقيقة غير ذى اهمية تذكر عند القول ان القانون الدولى بكيفية مؤثرة هو قانون داخلى أو هو حقيقة قانونا دوليا ، ان المهم فى الامر أنه قانون . لكنه أيضا قانون دولى ، لان المسك بالسلطة الاجتماعية على النطاق العالمى يتميز عن المسك بها على النطاق الداخلى ، وبناء على ذلك فانه يترك له مجال نفوذه ويبقى محافظا على حدوده الخاصة به ، طيلة الفترة التى لا يوجد فيها اندماج بين الدولة « المسؤولة » وبين تلك الدولة أو الدول التى تضمن وجوده .

١٦ - ان السيادة لا يمكن الا ان تكون مطلقة ، وبعبكس ذلك فان مثل هذا المصطلح سيكون مصطلحا مناقضا لنفسه وسوف لا يكون له اية قيمة علمية . ثم ان تناقضا قويا اخر ربما يظهر فى نظامنا القانونى الذى نحن بصددده اذا ما المرء اقرن فكرة السيادة هذه باى من السلطات الثلاثة او الاربعة المتفوقة او المتوازية بماله علاقة بكل حكم من احكام القانون وتحت اى ظرف من الظروف . وهذا بالضبط ما حدث لنظرية السيادة المطلقة للدولة . انها تركت خارجا الاحتمال النظرى للقانون الدولى ، فى الوقت الذى يمكن اثبات وجوده من الناحية العملية . ولتجنب مثل هذا



الخطر ، فان على نظرية السيادة المطلقة أن لا تلحق بالسلطة الاجتماعية كل ماله علاقة بأحكامها النافذة ( التى هى بالاضافة اشتراط فرضى محض ) : على العكس فان عليها ان تقترن فقط بحكم القانون الاسبق ؛ لانها لا تعود الى نقابة مركزية ولا الى الدولة او الكنيسة او المجتمع العالمى ، ولكنها تبدو بالنسبة لما يحيطها من ظروف ، آخذة شكل أى واحد من هذه الاحتمالات • وعلى ما يظهر ، فان فى كل حالة ، اى بماله علاقة بكل حكم ثابت على حدة ، سوف يكون هناك سلطة واحدة سائدة تستطيع ان تطغى على السلطات الاخرى ولكن سوف يكون للسلطات احتمال الظهور مرة ثانية مؤكدة وجودها على أسس وأحكام ثابتة أخرى • ونتيجة ذلك ، فان أصغر سلطة اجتماعية ، كنقابة التجارة مثلا ، سيكون بإمكانها ، من الناحية الاقليمية والعديدية ، القضاء على كل حكم دستورى او قاعدة من قواعد القانون الدولى ، يخلق حكم دستورى جديد او قاعدة من قواعد القانون الدولى ، فى هذه الحالة الخاصة ، والى التأكيد على وجودها ، فيما له علاقة بمثل هذه الاحكام ، والى منع الدولة والمجتمع العالمى : باتخاذ اجراء ضمن نطاق صلاحياتها ( التى يمكن ان تذهب وقتيا وراء حدودها المعروفة ) بحيث تمنع مثلا جيوش قطرها من القيام بحرب ضد دولة اخرى • وتعارض بنجاح اى تحذير نهائى او عمل عسكري • وعلى عكس ذلك ، فربما يكون لحادثة عالمية مهمة ، حادثة ظهرت عن طريق سلطة اجتماعية عالمية ، التأثير على مصير حكم قانونى وضع من قبل الدولة او وضع من قبل منظمة ذات شأن أقل أهمية من الدولة •

١٧ - ولتبسيط الامر ، دعنا نترك جانبا احتمال وقوع تقابل الاعمال

من قبل السلطات الاجتماعية المختلفة ونمسك بأثنين منها فقط : الاولى سلطة الامة ككل والثانية سلطة المجتمع العالمى : دعنا نفترض انه حينما تؤكد اية سلطة اجتماعية سيادتها ، التى غالبا ما تحدث بالنسبة لحكم القانون ( وليس بالمهم اذا كانت محلية او عالمية ) ، يستطيع الفرد ان يتكلم عن الدولة فى مثل هذه الحالة باوسع معانيها او فى حدود المعنى المؤلف

للمصطلح . وفى هذه الحالات ، فما يسمى حاليا « بالدولة » سوف لا يتصف دائما بهذه الميزات ، وذلك لان الدولة لا توجد عندما تكون سيادتها رمزية فقط ، بعكس ما يقال أو يستنتج عن انجازات القانون الدولى الفعلية . على العكس ، فان الدولة توجد عندما تمتلك حقيقة هذه السيادة .

ولاثبات حقيقة سيادة القانون الدولى بصورة عملية وبنفس الوقت الصفة النظرية القانونية ، على المرء ان يحتفظ بفكرة السيادة المطلقة ويهجر المبدأ الذى يقول ان الدول بالنسبة لمفهوم المصطلح فى الحاضر ، صاحبة سيادة فى جميع الظروف . مع علمنا ايضا بجميع نقاط الضعف الخاصة بنظرية التحديد الذاتى للدول ، التى وضعها جيلنك (Jellinek) والمتضمنة الفكرة الخيالية التى تقول باحتمال اجراء توافق بينها وبين سلطة القانون الدولى . وهنا نسأل على حساب من سيكون مثل هذا الانسحاب ؟ هل سيكون لحساب الدولة العالمية ؟ كلا . لانه فى دولة مثل هذه لن يمكن التحدث عن القانون الدولى ، لان القانون الذى سيطبق فيها بصورة نافذة هو قانون داخلى . هل انه لحساب قاعدة موضوعية تستند على القانون الدولى ، أم ان ذلك نسبة الى المدارس الفكرية ، أم الى طبيعة الانسان والمنطق ، أم لكونه ينطبق على مبدأ احترام العهود بين الدول (Pacta sunt Servanda) أو انه يستند على العرف الدولى الذى يصبح بموجبه القانون الدولى فوق ارادة الدول ؟ ثم ما هى السلطة لهذا الحكم حين تستطيع الاعتماد على أسسها فقط ؟ كيف يستطيع الفرد أن يعقب مسألة التنفيذ والضمان ، اذا لم يكن وراءها ما يدعمها من سلطة او قوة مادية ، وهل انها ستكون دولة عليا عند مقارنتها بمفهوم المصطلح الحالى « للدولة » ؟ لقد اثبتنا بالفعل بصورة واضحة ان فكرة القانون الناقص (Lax imperfecta) ما هى الا تناقض للمصطلحات وانه ليس هناك حاجة للرجوع الى هذه النقطة . ولكن هل ان هذه الدولة العليا ، لن تكون ناحية سلبية لحكم القانون الدولى ، الذى كما قلنا انفسا ، سيصبح حكما لقانون داخلى ؟ ان الدائرة على ما يبدو مغلوقة .

ان ما تقدم يوصلنا الى أزمة ، وان الشيء الوحيد الذى يجب عمله ،  
القضاء التبعة على مبدأ السيادة فهو يمنع ايجاد حكم قانونى يتمتع بالاسبقية  
على جميع الدول فى خلافاتها او فى الحفاظ على الحالة الدولية الراهنة ،  
اذ ان تقدير هذا الحكم او تلك الاحكام وتطبيق مبدأ السيادة فى الواقع  
على المناسبة المعينة معناه صيانة الحكم القانونى القائم او تطبيق حكم قانونى  
جديد ، أى الحاق المناسبة بذلك الحكم نفسه .

ولقد قلنا ان فكرة القانون تقرر بعنصرين ماديين غير منفصلين عن  
بعضهما : قاعدة للسلوك الانسانى وضمان مؤمن عليه من قبل سلطة  
اجتماعية لها قوة تنفيذية . وهذه السلطة فى القانون الداخلى هى الدولة .  
ومع ان النظام السياسى للدولة وقواعدها الاجتماعية هى فى تغير مستمر على  
مر الزمن الا أن صفتها القانونية ظلت هى ومن دون تغير . ولكى نمنع  
من تقديم نقد جديد ، فيما يخص القانون الدولى لهذا الرأى ، بالنسبة لما  
تطلبه الوحدة فى المبدأ القانونى ، لذا فالشيء الوحيد الممكن اتخاذه هو  
تقدير هذا القانون من نفس وجهة النظر ، والقول ثانية وبصورة مخصصة  
تماما ، ان تطبيق هذا القانون يتم على يد الدولة . وهذا بالطبع يستلزم  
توفر شرط هو ان ضمان القانون الدولى هو شيء حقيقى ويمكن اثباته  
ماديا . فالحرب مثلا ، كما يؤكد كل من ، هى أحد ضمانات القانون الدولى .  
وهى ضمان كامل من جميع الوجوه .

وما يجب ان نوضح بالاضافة الى ما سبق ، هو مبدأ وجود الدولة ،  
وصاحب السلطة الاجتماعية العليا فى القانون الدولى . فما هو واضح ان  
مبدأ الدولة المشار اليه هنا لا يخص ما جاء فى البداية والذى يناقض الحكم  
القانونى ، لانه اذا كان الامر كذلك فان علينا أن نرجع ثانية الى نظرية  
جيليك (Jellinek) ومعنى ذلك اننا نحطم كل ما شيدناه . فالدولة كما  
نفهمها هنا ، هى الجهاز الذى يؤمن تطبيق حكم القانون الدولى : وقد تكون  
دولة وطنية موحدة ( فيما له علاقة بالحكم المختلف عليه ) او مكونة من

مجموعة دول وطنية • وعلى هذا فاننا نلاحظ ان فكرة الدولة فى القانون  
الدولى ، كما هو بالطبع فى القانون الداخلى ، تبلور دوما حول حكم  
القانون المرجو تطبيقه او استعادة سطوته • وبصورة ملخصة ، فان السلطة  
الاجتماعية ذات الطبيعة العالمية ، على ضوء المستوى الذى نحن بصدد  
اختباره تستخدم قوة رادعة تؤمن لها تحقيق أهدافه المقصودة • وبالنسبة  
« للمدان » او الدولة الوطنية « المسؤولة » ، فانه لا يقصد السلطان او صاحب  
السيادة ، وانما سيادة السلطة الاجتماعية للدولة التى تعمل على تحقيقها •  
وعلى اية حال ، فان هذا لا يمنع الدولة الوطنية من المحافظة على سيادتها  
داخل حدودها بما له علاقة بمواطنيها - الاشخاص الطبيعيين والاشخاص  
المعنويين - أو ممارستها على النطاق العالمى ذاته ، وذلك فى حالة مخالفة  
قاعدة من قواعد القانون الدولى من قبل دولة اخرى غيرها ، بتقمصها ،  
لوحدها او بمساعدة الدول الاخرى ، دور هذه السلطة الاجتماعية  
الدولية ، اذ أن عدم تدخلها لحماية حكم القانون يفقد ذلك القانون صفته  
القانونية • ثم ان شخصية الدولة او التعريف بها كذلك - السلطة الاجتماعية  
الدولية - قد تتبدل فى كل حالة تخص حكما معينا من أحكام القانون •  
وفى نفس الوقت ، فان طبيعة الدولة تتغير ايضا بحسب موقفها • فهى اما  
ان تكون الدولة التى تفرض الجزاء او الدولة المفروض عليها الجزاء •  
فاذا كانت هى الدولة التى تفرض الجزاء ، فانها تصبح دولة علوية او  
عضوا فى عدد من الدول العلوية ، وهذا يعتمد على كونها هى وحدها  
تفرض الجزاء او بالاشتراك مع غيرها من الدول ، واما بالنسبة لنظامها  
القضائى ، فانها بهذا العمل لا تأخذ على عاتقها القيام بأى دور جديد • اما  
اذا كانت الدولة المفروض عليها الجزاء ، فانها تصبح من حيث المبدأ ، فى  
هذا الظرف بالذات ولوحده ، مقاطعة داخل دولة - السلطة الاجتماعية  
الدولية ، التى ترغبها على استعادة حكم القانون الذى خالفته • ثم ان تغير  
الظرف الذى خالفته يجب ان لا يحصل عادة ، وذلك فيما عدا ما له علاقة  
بذلك الحكم القانونى ، ولكنه اذا حصل فانه ربما يجلب عقوبات اوسع

ويجعلها تتحمل مسؤولية على نطاق عالمي : وكل ذلك يعتمد على طبيعة الحكم القانوني الذي خالفته ، وعلى الصفة والنتائج التي يحدثها الجزاء المطبق في صدره ( عقوبات اقتصادية ، حرب محدودة او شاملة ، يتم من دون قيد او شرط ، احتلال لمدة مؤقتة او مدة غير معلومة ، اخضاع جزىء او كلي ) •

وطبيعى ان الدولة التي تعتبر مقصرة فى البداية قد تخرج منتصرة فى نزاعها ضد او مع الحكم القانوني الدولي : وحينئذ سوف يلغى الحكم القانوني المدافع عنه من قبل أعدائها أو أن يستبدل بآخر مناقض له أو مختلف عليه وستكون الدولة قائمة بدور دولة علوية • وفى مثل هذه الحالة ، فان الحكم البدائي على الدولة سوف يعدل : اذ لن يقال أنها خالفت الحكم القانوني الذي يدور حوله البحث ، ولكن سيقال انها اخذت خطوة سباقة للعمل على تعديله وبالطبع فانه يمكن تحقيق هذه النتيجة من دون بذل جهد حقيقى ، اذ ربما تتوصل اليه بمجرد تقديمها تصريح بسيط يعرب عن رأيها بصدد الدولة المطالبة باعادة النظر فى الحكم القانوني المعين • كما ان الموقف السلبي الذي تظهر به الدول الاخرى على ضوء هذا العمل ليس من الضروري ان يعتبر اندحارا لهذه الدول : اذ قد يجوز اعتباره تصريح ضمنى بالموافقة على مثل هذا الاجراء • وعليه فكل شىء يعتمد على حقيقة الظروف للحالة المعينة •

الا ان حكم القانون ، بعد مخالفة تلك الدولة او نزاعها ، لا يجعل منها دولة علوية ، لان تطبيقها الجزاء او انتحالها صفة سلطة صاحب السيادة الاجتماعية العليا ، ليس بحكم قانوني ، وانما هو مجرد اتفاق قياسى ( معاهدة ، العرف ، مبدأ عام ) ليس بكاف ليعطيها تلك الصفة •

وحيثما نضع مسألة حقيقة القانون الدولي بهذه الطريقة ، فانه ليس من المهم أن نعلم كيف تُفصل أحكامه • هل هى أحكام مبنية على العرف او انها وضعت وفق اتفاقية او معاهدة ؟ أم انها وضعت وفق اتفاق أدبي أم

انها وضعت مقدما ؟ والمسألة هنا تخص السياسة أو التشريع الاجتماعى أو الشرعية وليست مسألة تخص القانون . فانه من الواضح ان بمجرد تطبيق القانون الدولى بصورة فعلية لمرة واحدة لا يمنع من البحث عن الاساس الفلسفى المنطقى أو الطريقة التى تجعل منه قانونا « عادلا » و « بناء » ، يعنى ويضمن تحقيق السلام والامن العالمى . ومهمتنا هنا هى ليست دراسة الوسائل التى توصلنا الى الهدف الاخير الذى يقع ضمن مدارك الناس والاكثر من ذلك ضمن مدارك من يقودهم ، ولكن للتأكيد على فكرة حكم القانون على النطاق العالمى . وقد يبدو أن هذا منلا صعبا ، بالنسبة للبعض ، او أن يصل درجة الخطورة بحيث يصبح قوة قسرية ، وهذا ما يتجنبه بالضبط اغلبية الفقهاء ، ولكننا نكرر ، ان ليس هناك شيئا يمنعهم من اللباس لبوسا يلائم أفكارهم . . . فما يطلب العلم اذا منهم سعيهم على اجراء تمييز واضح بين ( الجسم ) ولبوسه ، اذ الاول يوصل الى القانون والثانى يتعلق بمسألته الشرعية .

ورأينا الخاص بحكم القانون يتلخص فى كون أن حكم القانون الداخلى يعيد نفسه بالنسبة لحكم القانون الدولى ، كما رأينا ذلك آنفا بالفعل ، وذلك عن طريق مبادئ مختلفة ومدارس فكرية متقابلة كالمدرسة القياسية ( كلسن ) والمدرسة الاجتماعية ( سيل ) . فكلاهما يؤكدان أن السلطة الاجتماعية العالمية ذات السيادة فى القانون الدولى هى الدولة الوطنية التى تبدل اجهزتها بالنسبة لتعاملها مع القانون الداخلى او القانون الدولى . وبهذه الصورة يحصل القانون الدولى على معناه التام ، ويصل الى ما كان يدعى فى الماضى قانون العلاقات الشخصية على المستوى الداخلى .

ولكننا سوف لا نعقب أيا من هاتين النظريتين الى النهاية . فالنظرية القياسية تبدو لنا نظرية غير دقيقة بسبب انها تربك اكثر من غيرها فى الغالب ، بين القانون وشرعية القانون ، كونها ترى بنظرها القواعدى ان الشرعية هى العنوان الوحيد للقانون . واما بالنسبة للمدرسة الاجتماعية ، وعلى الاقل بالنسبة للمدرسة التى حظيت بتقديرنا ، فاننا نشعر انها ليست

بحاجة الى التعليل للتوصل الى قلب جميع المذاهب الكلاسيكية تقريبا  
والخاصة بالقانون الدولي ( موضوع القانون ، التمييز بين القانون  
الدولي العام والقانون الدولي الخاص ، الخ ٠٠٠ ) : اذ أن الوصول  
الى هذه المذاهب والى المصطلح « القانون لدولي » بالذات ( بدلا  
من قانون الشعوب (Jus Gentium) الذي يفترض ويقود المرء الى  
الوقوع فى الخطأ بسبب أصله الرومانى ) لهى مذاهب تناقض المذهب  
السليم للقانون الدولي (٣٠) .

١٨ - لقد قلنا فى معرض حديثنا السابق ان وجود دولة علوية او  
دولة عالمية يعطى مفهوما سليما للقانون الدولي . ولكن هذا القانون لا يمكن  
ان يوجد من دون دولة علوية تضمن له ذلك الوجود . هذا يظهر لنا

---

(٣٠) للقضاء على نظرية السيادة المطلقة للدولة وذلك للتمكن من  
بحث القانون الدولي ، انكرت هذه المدرسة ان موضوع هذا القانون هو  
الدولة ، وهو المبدأ التقليدى . وبأخذ الشخص كموضوع للقانون الدولي ،  
فانها تجنبت على ما يبدو ما قد يقف امامها من صعوبة فنجحت فى وقوفها  
ضد الاسباب الوجيهة التى تلتف حول السيادة ولكنها اقترفت خطأ  
آخر . وبما ان الفرد لا يستطيع ولا يمكنه ان يكون صاحب السيادة ،  
فى حالة تغييب الدولة ، يصبح المجتمع حينئذ صاحب السلطان فى القانون  
الداخلى والقانون الدولي . ولكن هذا ليس بالحقيقة . ذلك ان مساندة  
القانون لا يمكن ان تأتى من المجتمع ككل . والمحااجة عكس ذلك معناه  
انكار وجود القانون ذاته . واذا ما أخذ المجتمع ككل ليدعم بصورة فعلية  
حكم القانون ، فان هذا الحكم لن يكون حكما قانونيا ولا حتى مجرد حكم .  
اذ حينما يشقف كل فرد ليختار شيئا ما ، فانه ليس هناك حاجة لوجود  
سلطة ووجود قانون من هذه الناحية بالذات . فلا بد فى أى مجتمع ، فى  
الغالب ، من وجود سلطة اجتماعية اصغر منها ولكنها اقوى من المجتمع  
نفسه ككل : وعلى هذه السلطة يعتمد وجود القانون . ولا يمكن ان يكون  
هناك قانونا فى حالة تغييب مثل هذه السلطة . ولكن اذا كان هناك  
مجتمعا بالفعل ، فلا يمكن انكار وجوده واثبات وجود القانون . وهذه  
السلطة نسميها بالدولة باوسع ما للكلمة من معنى .

وبسبب هذا التباعد المستمر عن الحقيقة ، فان هذه المدرسة يجب ان  
تسمى بمدرسة العالم الاجتماعى وليس بالمدرسة الاجتماعية .



تناقضا يجب ازالته او بالاحرى يكون وجهة نظر لابد لنا من تعريفها بصورة اوضح وذلك للقضاء على ما يظهر من تناقض . ولقد حاولنا بالفعل ازالتهما عندما تكلمنا عن العلاقة بين القانون الداخلى والقانون الدولى ، وذلك بمنافستنا ان العلاقة لا يمكن ان تكون من نوع الحاق قانون بقانون ، وانما الواقع عدم التطابق فى مجالات كل من القانونين المذكورين ( انظر رقم (١٥) اعلاه ) وعليه ، فاننا عندما نقول ان وجود دولة علوية يعطى مفهومها سلبيا للقانون الدولى ، فاننا نفكر باقامة دولة عالمية (World State) أى ايجاد دولة واحدة فى العالم تستطيع ان تظم فى نطاقها جميع الامم فى العالم ، دولة كفرنسا او المانيا ولكن على نطاق عالمى . ولكن عندما نقول أنه لا يمكن التفكير بوجود قانون دولى من دون وجود سلطة عالمية ذات سيادة وأسبقية على الدول الوطنية ، فاننا نقصد دولة علوية تقع خارج نطاق حكم القانون الدولى . وهذا النطاق يجب ان لا تخلط مهمته مع حكم القانون الداخلى حيث تحتفظ فيه الدولة كامل سيادتها . وبعبارة أخرى ، فانه اذا ما أمكن وجود قانون دولى من الناحية الفعلية التعليلية ، فانه يجب أن يكون له دولته الخاصة به لضمائه . ولكى يمكن ان توجد مثل هذه الدولة وتقوم بدورها ، فان حكم القانون الدولى الذى تسعى على ضمائه يجب ان لا يكون نفس الحكم فى القانون الداخلى والخاص بنفس الحالة ، ولان عمل العكس من ذلك ، سوف يجعل هذا الحكم الاخير متمكنا من السيطرة على الحكم الاول وتكون هذه الدولة معرفة كالدولة الوطنية ( التى تفرض او يفرض عليها الحكم الذى يجرى البحث بصدده ) والذى سيكون مجرد ناحية سلبية للقانون الدولى . وتصبح المسألة بناء على ما تقدم مجرد مسألة تحديد نفوذ كل من هذه الدول بالضبط ونطاق تطبيق كل من مجموعة هذه الاحكام الذى بواسطته يستطيع الحكم المعين ايجاد درجة سيادته التى هى ضرورية وفى الواقع مفيدة لوجود أى مبدأ وحكم قانونى سواء اكان داخليا او عالميا .



١٩ - ان المبدأ الذى وضعناه ليس مبدأ جديداً أو على الأقل فانه ليس من الحداثة كما يظهر • ذلك لانه مجرد استعادة مذكرة ، على صورة نقد موجز للحالة التى يمكن أن يعبر عنها بكتيب تعقيبي أو كسجل مختصر للبحث فى القانون الدولى ، ماعدا بالطبع المقدمة والقسم العام لهذا الكتيب • لذا يمكن القول ان نظرية القانون الدولى تستند على مشاهدة الحقائق •

ولكن هذه الحقائق هى ليست بالحقائق المادية كالموت او الميلاد مثلا وانها تتضمن العوامل الادبية والتقديرية • وعلى اية حال ، فانه بمجرد وصولها ونشرها فان هذه التقديرات التى هى بالتعريف تتعامل مع المستقبل وتضم عناصر معينة ذات ميزات غير أكيدة وينقصها التبصر ، تصبح حقائق وأهداف اجتماعية وأشياء بالمفهوم الدرخمينى (Durkheimian) ومن ثم موضوعات علمية يمكن تفسيرها والتحدث بها •

ولكن الاشياء تأخذ مأخذاً آخر عندما لا تصبح مسألة دراسة حكم قانونى وانما بناء حكم جديد • وهنا يغير التقدير الحقائق العلمية التى تخدم بمثابة نقطة البدء وبذلك تتغير طبيعتها نفسها : لا يمكن تفصيل قاعدة ، حين اخذها بمجردنا ، لانها جزء من العلم ، أى انها حقيقة فنية او حقيقة سياسية • ويستطيع المرء ان يقول الانتقادات الموجهة ضد المدرسة الاجتماعية تستند على أسس واضحة وان موجدتها الرئيسى وممثلها الحقيقى دو كى (Duguit) كان صحيحا حين اضاف الى مبدئه المسمى بمبدأ التضامن ، والذى فيه كان أول من رأى المصدر الحيوى للقانون ، الشعور بالعدالة التى تعمل بكل سرور عمل « الجسر » بين ما هو اخبارى وبين ما هو امرى<sup>(٣١)</sup> •

فمشاهدة وتفسير حقيقة ما ، هو شيء ، والمساهمة فى خلق هذه الحقيقة هو شيء آخر •

(٣١) فيما يتعلق بهذا الصدد ، انظر

Louis Le Fur, Règles générales du droit de la paix, op. cit, pp. 88-89.

٢٠ - لقد قلنا ان مبدأنا موضح فى أى كتاب موجز للقانون الدولى • ويمكن للمرء ان يقول ان هذا المبدأ يكشف عنه فى نظريات معينة تخص هذا القانون والتي نقدناها فى هذا البحث ، كنظرية القانون الطبيعى مثلا •

وحينما يتحدث الكتاب عن القانون الدولى من ناحية الواقعية الحية ، فانهم يعترفون كاعترافنا بأنه ناتج عن حكم السلوك المقترن بضمان مادى وهذا الضمان غالبا ما يتوضح بالحرب<sup>(٣٢)</sup> • وان حكم هذا القانون وضماناته بنظرهم ليست كافية بحيث تشكل حكما قانونيا • الا انه من الضرورى ، والاكثر من هذا ، انهم يجب ان يوفقوا بين ارائهم ومتطلبات التفكير الانسانى بما فيها من نواح امرية مصنفة واخرى أدبية • وبافتقارها الى هذه الامور ، والذى يظهر فى الحقيقة تحت اسم الحكم القانونى هو من الناحية القانونية عديم الاهمية أو بالاحرى أقل من لاشئ طالما انه قوة قسرية ، قوة فيها من المخالفة ما هو غير انسانى ، يظهر على شكل القمع فيسبب من بعده أعلى أنواع الغضب والثورة الشرعية • وهذه الحالة التكميلية لا نجدها تحمل اية قيمة حقيقية على اية حال ، لعدم وجود احد لحد الآن يستطيع ان يقول تماما ماهية هذه المتطلبات الفكرية ، وماذا تتضمن بالضبط ، وما هو مداها وحدودها ، وكون من الجهة الاخرى ، ان الدول هى الحكم الوحيد لتقرير ما هو حق وما هو غير حق ، وعندها يقل من شأن المسألة بالضرورة لتعود الى مذهب الحكم الواقعى للقانون الذى نختاره هنا لان هذه النظريات نفسها مجبرة فى بحوثها الوصفية لقبول اهداف دراساتها •

اما موقفها الفكرى ، فكما اشرنا اليه بالفعل فى بداية دراستنا هذه ، فهو موقف خطر ، ذلك لانه اذا ما رفض المرء من قبول هذا الحكم القانونى الذى هو قانون بطبيعة ، فان ذلك قد يعتبر غير عادل من قبل البعض ، بسبب الرفض بقبول هذه الصفة ما عدا حالات خاصة هى فى الواقع غامضة وغير

---

(٣٢) انظر مثلا

Louis Le Fur, op. cit., pp. 115 and 116; Précis de Droit international public, nos 377.

ممکن التعریف بها ، اذ أن أنکار المرء لحقیقة القانون الدولی هو العکس تماماً لما هو یحاول تطبیقه •

وهذا النقص فی حججهم لا یتج على کل حال عن قصد وانما من جراء الطريقة المتبعة ، تلك الطريقة التي لا تفصل بین الجزء العلمی والجزء الفنی فی تعالیمهم • فهم لم یوفقوا فی أن فهم دور العلم یتضمن تسجيل الوقائع واختبارها ، وليس بالحکم لان التقدير یعود الى السیاسة تماماً حیث یقدر فیہ کل انواع الحریات والمشاعر والعواطف • ولقبول ، مثلاً ، ان معاهدة فرسای ، حیثما نفذت بالقوة كانت مجموعة من الاحکام القانونیة ، تنطبق على العلم ؟ ولانتقاد مثل هذا الموقف ، من ناحية تحزبیه بقدر ما یتطلبه الموقف ، فانه ینطبق على السیاسة وربما یقود الى ایجاد قاعدة جدیدة للقانون ولكنها لا تنطبق على العلم •

وهذا السبب الذی یجعلنا نقدر هنا ، جنباً الى جنب النظریات التي تنکر صراحة حقیقة القانون الدولی وتلك النظریات التي تؤكد وجوده وتفصله من بعد ذلك ، والنظریات الاخری التي تعترف به كحقیقة ولكنها تؤكد ناحیته الادبیة أو أساسه « الفلسفی العقلی » • ولقد رغبت فی استخدام کل هذه النظریات لتكون كمثل یؤكد لنا ، على ضوء الحکم القانونی ضرورة التمييز بین « القانون »<sup>(٣٣)</sup> وشرعیة القانون<sup>(٣٤)</sup> ، لان مثل هذا التقدير قد

---

(٣٣) لیس من الضروري ان یکون هذا القانون قانوناً ایجابياً وضع تحت قواعد خاصة • انه قانون مهم ، قانون یمکن تطبیقه حتی فی أول نشوئه •

(٣٤) الشرعیة كما نفهمها هنا هی فكرة مرکبة والتي لم نتمكن من دراسة نواحيها منفرداً لضیق البحث • وهی تشتمل على ثلاثة خصائص لحکم القانون : (١) تطابقها مع العدالة حیث الشرعیة تظهر فیها كما جاء فی اصطلاح (Kant) ، فی شکل أدبی ، (٢) تطابق الحکم مع ما یتنافر من حقائق علمیة التي تعطیه الموضوعیة المادیة كما هو ظاهر فی ابیحات (F. Geny) ، (٣) تطابق الحکم مع النظام السیاسی والتنظیم الفنی ( مبدأ اللاسریان على الماضي ، الالزامی ، مبدأ الفصل بین السلطات • الخ • ) ، الذی یتوخى تأمین ، وتشکیل وجهة نظر رسمیة ، والشعور بالثقة فی ابیحات القانون ( الشرعیة الرسميّة ) •

- أغفله تماماً هذه النظريات
- لاننا اذا لم نجر التمييز فسوف يكون هناك خلط يمنع بذاته اجراء أى تفسير
- ولقد كان توضيح هذه الحقيقة بدقة وباسلوب رصين الغرض الاساسى من هذا الدراسة



# نشأة المسرح الاغريقى

للدكتور كمال قاسم نادر

المدرس في قسم اللغة الانكليزية

عندما نتحدث عن المسرح الاغريقى ، اننا فى الحقيقة نتكلم على المسرح الاثينى ، لان اثينا كانت هى السباقة فى هذا المجال بين المدن الاغريقية الاخرى . وكل ما وصل الينا اليوم من مسرحيات اغريقية انما هى مسرحيات كتبت فى اثينا ومثلت امام اهاليها . وقد ازدهرت المسرحية فى اثينا ايام ازدهار المدينة فيها وسمت ايام كان الاثينيون يتمتعون بالديمقراطية وذلك بعد انتصارهم على الفرس بين ٤٠٩ - ٤٧٩ ق.م . والمسرحية بمفهومها الصحيح ظهرت فى اثينا عام ٤٩٠ ق.م . وذلك عندما مثلت فى تلك السنة اول مسرحية وصلت الينا من مسرحيات « اسكيلس » وهى مسرحية المتضرعات (The Suppliants) ولكن هذا لا يعنى أن المسرحية بدأت على هذا الوجه الكامل . فانه من المحتمل جدا أن يكون الفن المسرحى موجودا فى اثينا قبل مئات بل ألوف السنين ومن هذا التاريخ . وأسكيلس لم يكن اول من اخترع المسرحية انما هو طور لفن كان قائما ورسخت اصوله عبر أجيال . ونحن لا نعرف بصورة دقيقة الاصل الذى نشأت عنه المسرحية الاغريقية . اذ تعوزنا الحقائق الثابتة ، وكل المحاولات فى هذا المجال كانت ولا تزال مجرد حدس وتخمين . ولكن هناك حقيقة واحدة مهمة وهذه الحقيقة واضحة لا تقبل الجدل . وهى ان المسرحية كانت منذ تكوينها الاول جزءا من مهرجانات وطقوس دينية ، اى ان الجمهور لم يكن يأتى لاشباع رغبة فردية بل لتأدية فريضة دينية .

والمتفق عليه بين مؤرخى المسرح هو ان المسرحية الاغريقية أنشئت من الدايرم (Dithyramb) ، أى ان النواة التى التى نشأت عنها مسرحيات أسكيلس وسفوكليس ويربدينز هى الدايرم القديم . والدايرم عبارة عن

اغنية تؤديها جوقة من المغنين • يحمدون فيها الالهة ويشكرون نعمتهم •  
وتكون عادة على شكل قصة شعرية تروى سير الالهة ومعجزاتهم • وكان  
الدايرم فى اول امره عملا آنيا يرتجله المغنون عندما تهيج مشاعرهم وتأخذهم  
نشوة الطرب • ثم لم يلبث ان شمله التطور فأدخلت عليه التحسينات تدريجيا  
وكان ذلك فى الغالب حوالى القرن السابع او السادس قبل الميلاد • عندما  
اخذ الشعراء ينظمون القصائد التى يغنيها المحتفلون • وكانت هذه القصائد  
تروى سير الالهة وقصص حياتهم • ولا يمكن - على أية حال - اعتبار  
الدايرم مسرحية مصغرة لانعدام الحركة المسرحية فيه ولانه يعتمد بالدرجة  
الاولى السرد والرواية •

ثم طرأ على الدايرم تطور آخر وذلك عندما ظهر رئيس الجوقة  
وانفصل عن بقية اعضاء الجوقة مما أدى الى خلق الحركة  
المسرحية الحقيقية - او بمعنى أدق - الى تحويل القصة السردية الى التمثيل  
المباشر •

وفى القرن السادس قبل الميلاد حدثت الخطوة الحاسمة حتما • ويعتقد  
المؤرخون ان هذه الخطوة تمت على يد ثيزيس (Thespis) اذ ادخل  
الممثل لأول مرة على المسرح • والممثل غير رئيس الجوقة • فرئيس الجوقة  
يروى القصة والممثل يقوم بالدور بنفسه • اى ان الممثل يأخذ على نفسه  
تمثيل دور الشخصية الخيالية التى يأخذ دورها • واستعملت الاقنعة فى  
التمثيل • وهكذا كان يتمكن الشخص الواحد ان يمثل ادوارا متعددة  
لشخصيات مختلفة • ولكن لا يكون على المسرح اكثر من ممثل واحد فى  
أى حال من الاحوال • وثيزيس يقترب بنا من أسكيلس • وقد كان  
ثيزيس مؤلفا وممثلا • بدأ حياته المسرحية فى مدينة ايا كاريا (Icaria)  
ثم انتقل منها الى اثينا حوالى سنة ٥٦٠ قبل الميلاد • وليس لدينا وثائق مضبوطة  
عن حياته ولكن هناك شواهد تشير الى أنه فى سنة ٥٦٠ قدم مسرحياته فى  
مدينة أثينا ، وربح الجائزة الاولى فى المباريات المسرحية لعام ٥٣٤ ق.م. وقد  
كان لهذه المباريات المسرحية أثر بليغ فى النشاط المسرحى اذ انها شجعت

الكتاب على كتابة المسرحية • فظهر كتاب مسرحيون كثيرون نهجوا نهج  
ثيزيس واقتفوا أثره • فظهر كويرلوس (Choirelos) الذى كتب  
عددا كبيرا من المسرحيات ، ويقال انه ألف (١٦٠) مسرحية كما أنه ادخل  
بعض التعديلات على القناع الذى اخترعه ثيزيس • والكتاب المسرحى  
الثانى هو براتينس (Pratinas) وقد تخصص هذا بكتابة المسرحية  
المعروفة بأسم ساتيرك (Satyric)

ثم جاء فراينيكوس (Phrynichos) الذى ادخل الى المسرح قناع  
المرأة وبذلك اخذت الادوار النسائية تظهر على المسرح مع العلم بأن الذكور  
هم الذين كانوا يقومون - قبل ذلك - بتمثيل الادوار النسائية بعد ان  
يرتدوا قناعا يمثل وجهها لامرأة •

وقد ضاع تراث هؤلاء الكتاب المسرحيين ولم يصل الينا شئ من  
مسرحياتهم • ولم يبق من آثارهم غير تلميحات عابرة وقليل جدا من الوثائق  
التاريخية واجزاء متبورة من كتابتهم لا تتعدى اصابع اليد الواحدة • ولذلك  
فان كل ما نراه عبر القرون ليس الا مجرد بصيص من نور ولم ينبزغ فجر  
المسرح الا بعد ان ظهر ابو المسرح أسكيلس •

**أسكيلس (Aeschylus)**

يعد أسكيلس الكاتب المسرحى الاول • والمتضرعات هى أول  
مسرحية كتبها ووصلت الينا • وقد ألف أسكيلس هذه المسرحية حوالى  
سنة ٤٩٠ ق م •

اقتبس أسكيلس حوادث مسرحيته من أسطورة اغريقية قديمة •  
تدور حوادثها فى زمن ما قبل التاريخ • وهى قصة غرام الاله سوز وآيو  
الكاهنة فى معبد هيرا • وكانت آيو هذه ابنة اناكس ملك اركوس • ولما  
علم هيرا بهذا النرام ثارت غيظه وقلب آيو بقره وسابت مجنونة تجوب العالم  
حتى وصلت أخيرا الى مصر • وهناك ارجعها تروس الى حالتها الاولى أى  
أنها رجعت آدمية ولبسة من يده حملت طفلا اسمته آيامض والذى أنجب

ليا وهذا انجب ولدين هما بلص واكينور وولد بلص ولدان هما ايجيتص ودانوس . وقد ولد لاييجيتص خمسون ولدا ولدانوس خمسون بنتا . وقد نشب بين الاخوين خلاف خطير . فقد رفضت بنات دانوس الزواج من اولاد ايجيتص . فثارت ثائرة ابناء عمهن . وخوفا من شرهم هربت البنات وابوهن الى بلد اراكوس موطن جدتهن آيو . وهنا تبدأ مسرحية أسكيلس ؛ تبدأ عند وصول دانوس وبناته الى سواحل اراكوس طالبين حماية ملكها .

والآن وقد جلس المتفرجون على سفح التل حيث ينتصب معبد الاكروبليس (Acropolis) وعند سفح التل تنبسط الارض على شكل دائري اقيم في وسطها محراب . والوقت هو فجر يوم عيد دايونيسيس رب الخصب والخير ، وهو يوم الاحتفالات والمهرجانات الدينية حيث يشاهد الاثينيون ما يقدم اليهم من نتاج مسرحي . وقد خيم على المتفرجين الهدوء فيصدق الناي معلنا ابتداء العرض المسرحي فيندفع خمسون شبعا نحو مركز الدائرة منتظمة حول المحراب . والخمسون شبعا هي الجوقة وقد ارتدى افرادها ملابس بيضا مطرزة . والجوقة في هذه المسرحية تتألف من بنات دانوس الخمسين . وقد وقف بينهم رجل واحد يرتدى ملابس نفيسة ، « وجزمة » عالية الكعب وعلى وجهه قناع يعلو فوق رأسه على شكل تاج . وهذا هو دانوس والد الفتيات . وتقود الجوقة احدى الخمسين وهي رئيسة الجوقة .

وبعد سكون قصير تشد الجوقة مقطوعة تقدم فيها نفسها لجمهور المتفرجين وتعرض كذلك المشكلة التي تدور حولها المسرحية . فتقول :

زوس يا رب ، يا حارس الايدي المتضرعة ،  
تطلع علينا برحمتك ، نحن المضرعات ،  
ارحمنا - نحن الذين ساقتنا الريح والماء ،  
وجئنا من ارض مصر ذات الرمال السافية ،  
حيث يصب النيل في البحر ،



جئنا من الارض الخضراء التى انعم الله عليها  
هربنا مشردين ، وما شردنا لجريمة قتل جنيناها ،  
ولكن لان ايجيتص قد قرر ان يزوج  
اولاده من بنات اخيه  
فلم نرض بهذا العقد الكريه  
فعرضنا عن زواج الابدان لا القلوب  
اتنا لا نريد قريتنا زوجا لنا •

ثم يتناول النظم الجزء الثانى من الجوقة • والخطاب الآن موجه الى  
الاب دانوس وهكذا يتعرف عليه الجمهور المتفرج :

يا دنوس ، يا سيدنا ورائدنا  
يا من يتدبر الامور ويرقب الحظ  
لقد اخترت من الشرين اهونهما  
فطلبت اليك الفرار وجئت هاربا  
غير آبه بالرياح العاتية ولا البحار الزاخرة  
وجئنا بسرعة عبر البحار الشاسعة  
وقد رسا زورقنا التائه على ساحل اركوس

وهكذا عرفنا من الجوقة هوية الفتيات والمكان الذى هن فيه الآن  
وعرفنا من يكون الرجل الذى يصطحبهن • كما اتنا الآن على علم  
بخطبهن • ويجب ان لا يفوتنا ان المتفرجين من اهالى اثينا يعرفون قصة  
المسرحية قبل ان يروها لانها - كما رأينا - مأخوذة عن أسطورة مشهورة  
من أساطيرهم • واهم ما يتميز به جمهور المتفرجين فى أثينا آنذاك هو  
انه لا يبغي من القصة ان تكون جديدة او غير مألوفة • ولكون القصة  
مألوفة للجمهور يكرس الناس جل انتباههم للتمتع بسماع شعر الشاعر  
وطريقته فى معالجة هذا الموضوع القديم •

وتستمر الجوقة فى انشادها وهى تصحب كل مقطع برقصة معقدة

الحركة • ثم بعد ان تهدأ اصواتهم واجسامهم تنتظم الفتيات حول المحراب  
بينما يقف ابوهن دانوس على حافة الدائرة • فيخاطبهن محذرا وناصحا •  
كما يعلن توقعه وصول ملك اركوس وجنده ويقول :

اعبدن هذا المحراب المقدس  
محراب الالهة الصغار والالهة الاكبر •  
لقد حل في هذه الديار سرب من الحمام المذعور  
ولم يرعه صقر اجنبى  
بل واحد من اهله ولكنه قاسى غير راحم  
كريها ، محروما من الحب

وهنا يدخل شخص يرتدى ملابس وقناعا ملوكيا فيعلن بأنه الملك  
بلاسكس ثم ما ان يرى ملابس الفتيات فيعرف ان الفتيات اجنبيات •  
ويستفسر عن سبب مجيئهن الى اركوس • وهنا تبدأ عقدة المسرحية •  
ما هو مصير الفتيات ؟ هل ينلن الحماية من ملك اركوس • وبعد ان تطلب  
البنات الحماية من الملك يجيب الملك قائلا :

انكم لا تجلسون في دارى  
ورجاؤكم لا يتعلق بي وحدى  
اذا ما كانت المدينة لا تتحمل وصمة ما  
فانه من واجب الجميع ازالتها  
ولذا فانى لا أعد شيئا  
قبل اجتماعى بممثلى الشعب  
واخذ رأيهم

ويكون لهذه الكلمات وقع حسن على مسامع الاثنين لان الجمهور  
دمقراطى يفتخر بأن رأى المجموع هو الحكم النهائى • وهذا ما كان  
سائدا انذاك فى اثينا التى كان يعيش فيها أسكيلس •  
ثم يخرج الملك من على المسرح ليستشير المجلس الوطنى • وعندما

يترك المسرح ترن في اذنيه كلمات الفتيات وهن يهددن بالانتحار اذا  
رفض المجلس حمايتهن •

وبعد ان يترك الملك المسرح تغنى الفتيات دعاءا الى زوس ويطلبن  
رحمته • وهذه الاغنية تعطى الملك فرصة لكي يقوم بمهمته فيدعو المجلس  
الوطني وي طرح عليه القضية وتناقش • وهذا طبعاً لا يجرى امام المتفرجين  
انما يتصورون ذلك • وبعد ان تنتهى اغنية الفتيات يدخل ابوهن وعلى  
شفتيه البشرى السعيدة فيقول :

عبر اهل اراكوس عن رأيهم بصوت واحد  
فاهتز لذلك قلبى العجوز  
وطربت له السماء فرحا

فقد رفع المجتمعون اصواتهم واقسموا هذا اليمين :-  
ستعيش الفتيات بحرية في هذا البلد  
لا يعترضهن ولا يعيث بهن مخلوق  
ولن تستطيع اية يد ، سواء كانت وطنية أم اجنبية  
اخراجهن من هذا البلد •

وعندما تسمع الجوقة هذه البشرى تندفع مغنية شاكرة الالهة على  
حسن رعايتها وعندما تنتهى هذه الاغنية يتطلع دانوس الى البحر فيعلن عن  
وصول سفينة الاعداء • وصل اولاد ايجيتص والآن يخرج دانوس  
ليستجد بالملك • ويستولى الذعر على الفتيات فيجتمعن حول المحراب  
صارخات مولولات •

يا ارض الهضاب والسهول ، يا أيتها الارض المقدسة  
ماذا سيحل بنا ؟  
الى اين المفر ؟  
ها هي سلالة ايجيتص القاسية  
تقتفى أثرنا ككلاب الصيد الضارية

وهنا يدخل رسول اولاد ايجيتص فيعلو صراخ الفتيات ويحاول  
الرسول ان يسوقهن عنوة الى السفينة بينما هم على هذه الحال يدخل الملك  
بلاسكس ومعه ييزغ فجر الامل • فيصيح بالرسول قائلا :

اعلموا انه اذا استطعتم كسب الفتيات بالاقناع  
لا بالقوة • فلكم ان تخرجوا بهن  
ولكن ان يكون ذلك بكامل رغبتهن  
وهاكم قرار مدينتنا وقد اجمعت عليه :  
لا تستطيع اية قوة ان تحمل الفتيات على الرحيل  
لقد اقسموا على هذا ولن يتنازلوا عن قسمهم  
والآن وقد سمعتم قولنا نقوله بملء ارادتنا  
فها اغربوا عنا - سراعا ولا تتأخروا •

وهنا يسحب الرسول مهددا بالويل والدمار • اما الفتيات فيعلوهن  
الفرح وينطلقن منشدات يمتدحن اهل اركوس • وهكذا تنتهى المسرحية •  
وهذه الحلقة الاولى من ثلاث حلقات • ولكن المتفرجين لا يتركون  
مقاعدهم • فما هى الا فرصة قصيرة حتى يعم السكون ثانية وتبدأ الحلقة  
الثانية من القصة • ونحن لا نملك الحلقة الثانية ولكن فحواها معلوم لان  
الاسطورة معلومة • وفيها تدور القصة حول اغتصاب الفتيات  
من قبل اولاد ايجيتص واكرهن على الزواج وفى الحلقة الثالثة نشاهد  
مصيرهم النهائى • فالبنات جميعهن (الا واحدة هى منسترا التى تحب زوجها)  
يقتلن ازواجهن • وهذه هى نهاية الاسطورة •

### التقاليد الدراماتيكية فى المسرحية الاغريقية

والآن علينا ان نستنبط اهم الاسس الدراماتيكية للمسرح الاغريقى  
مستعينين على ذلك بمسرحية المتضرعات لانها دليلنا الوحيد • وهنا تظهر  
اهمية هذه المسرحية فهى تكشف عن العناصر التى ورثها أسكيلس من

الكتاب الذين سبقوه ومنها ايضا نستطيع تمييز خط تطور المسرحية بعد  
اسكيلس •

ان المسرح كما نفهمه اليوم لم يكن موجودا آنذاك • وهذه الحقيقة  
واضحة كل الوضوح فى مسرحية المتضرعات • فالمتضرعات بسيطة وبداية •  
وفىها يتحرك الممثلون فى وسط ساحة خالية من المناظر والاثاث • وهذه  
المسرحية قريبة كل القرب من الشئ الذى عنه انبثقت وهو الدائرم •  
فالحركة المسرحية محدودة جدا • والبطلة فى المسرحية ليست فتاة واحدة  
بل الجوقة بأجمعها والتي تمثل بنات دانوس الخمسين ، اى ان البطلة  
جماعية لا فردية • ولذلك فالتصوير الفردى معدوم وبنات دانوس كتلة  
واحدة لا يفرقها مفرق • اى أنه ليس هناك مجال لاطهار المميزات الفردية  
للشخصيات المسرحية •

ولكن كما سبق ان قلت ان فى هذه المسرحية تبدو جلية اهم مميزات  
المسرح الاغريقى • فالمسرح الذى مثلت عليه المتضرعات كان مسرح  
مناسبات دينية وعليه كان يتبارى الكتاب المسرحيون الذين هم انفسهم كانوا  
ممثلين • اما نفقات الازحاج فكان يضطلع بها بعض الاثرياء من اهالى  
المدينة وهم يقومون بذلك كواجب دينى او كخدمة اجتماعية • وكان فى  
أثينا موسمان للمهرجانات المسرحية • الاول يوم عيد دايونسييس فى الربيع  
والثانى فى عيد لينيا فى الشتاء • اما ملابس الممثلين فقد كانت من صنع  
أسكيلس نفسه • وكانت هذه عبارة عن كساء فضفاض مزركش وكان  
الممثلون يرتدون احذية عالية كى يبرزوا على افراد الجوقة • وكان الممثلون  
يرتبون شعر الرأس على شكل خاص • اذ كان يضفر على هيئة ضفيرتين  
بعقد طرفيهما فوق الجبين •

ويجب ان تذكر ان الكتاب المسرحى كان عليه ان يقدم اربع  
مسرحيات لكل مباراة مسرحية ، ثلاثا منها مآسى كما لاحظنا ذلك فى

المتضرعات والرابعة من نوع يسمى بالساتير (Satyre) <sup>(١)</sup> وهى ملهاة • والعادة هى ان تدور المأسى الثلاث حول قصة واحدة وكل حلقة تتكشف عن جزء من المأساة وتتم كل حلقة الحلقة التى تسبقها • وكل حلقة محدودة بمكان معين تجرى فيه الحوادث • ولا يجوز الانتقال من مكان الى آخر خلال المسرحية الواحدة ففى المتضرعات تجرى حوادث المسرحية الاولى فى اركوس والمسرحية الثانية فى مصر والثالثة عند مشهد الموت • وكذلك الزمن يجب ان يكون محددًا • اى ان جميع الحوادث يجب ان تحدث فى نفس اليوم •

ويجب ان لا ننسى بأن المسرحية الاغريقية مسرحية شعرية • ومعنى هذا انها لا تنقيد كثيرا بالتأثير الواقعى اى انها خيالية اكثر من ان تكون واقعية • فمثلا ملك اركوس يترك المسرح ليعود اليه ثانية بعد فترة وجيزة تغنى خلالها الجوقة ثلاثة او اربعة أبيات من الشعر • وعلى المتفرجين ان يتصوروا ان الملك خلال هذه الفترة الوجيزة قد ذهب الى المجلس وعرض عليه المشكلة وتداول فيها واتفقوا على الدفاع عن الفتيات ثم يعود بعدها ليعلن هذا القرار • يتخيل المتفرج حدوث كل هذا خارج المسرح بين خروجه منه وعودته اليه • ولم يكن هذا اكثر من لحظات معدودة • ولكنه لا يربك المتفرج الاثنى لان المسرحية الشعرية تعتمد الخيال لا الواقع •

#### الجوقة Course

للجوقة مكانة مهمة فى المسرح الاغريقية وهى فى الحقيقة عمودها الفقرى • وقد لاحظنا أن الجوقة فى مسرحية المتضرعات تتألف من بنات دانوس الخمسين •

---

(١) ساتير معناه الاسطورى مخلوق نصفه الاعلى انسان والنصف الاسفل معزة • والجوقة فى هذا النوع فى المسرحية تظهر على هيئة مخلوقات نصفها العلوى آدمى ونصفها السفلى معزة • وكان أعضاء يرتدون لهذا العرض ملابس جلدية لها ذيول مربوطة حول الخصر • اما المواضيع التى تتناولها هذه المسرحية فهى عادة قصص المجازفات والمخاطر ويتخلل ذلك المفارقات والنكات والدعابة وتكون عادة نهاية هذه المسرحية سعيدة •

ويبدو ان هذا هو العدد المقرر لافراد الجوقة عند اول نشوء المسرحية الاغريقية . ولكن ، على مر الايام ، تقلص هذا العدد ولعل السبب فى ذلك يعود الى صعوبة ضبط غناء ورقص خمسين شخصا فى آن واحد . وقد جعل سافوكليس عدد الفرقة (١٥) شخصا . ولهذا العدد اسباب فنية . لانه من الممكن ان يقوم كل خمسة اشخاص بغناء ثلاثة ابيات على التوالى . ثم انه باستطاعة رئيس الجوقة ان ينفصل عن بقية الاعضاء تاركا خلفه جزئين متكافئين عدد كل منهما (٧) اشخاص . وكان تطور المسرحية الاغريقية دائما على حساب الجوقة فكلما تطورت المسرحية قل شأن الجوقة وتقلص عملها . . وهذا هو الخط الذى سارت عليه المسرحية فى تطورها منذ ظهور أسكيلس حتى وفاة يروبيديز . فالجوقة عند أسكيلس عنصر مهم فى المسرحية . وفى المتضرعات كما شاهدنا ، تمثل الجوقة بسنل بطلة المسرحية . وهذا هو الشكل البدائى للمسرحية عندما كانت المسرحية تجر نفسها ببطء مبتعدة عن أصلها الذى نمت عنه وهو الدايرم . ومع ان الجوقة لا تختفى بصورة قطعية من المسرحية الاغريقية الا ان دورها يأخذ بالتضاؤل تدريجيا . ففي البداية تكن تيزيس من عزل المسرحية عن الدليترام وذلك عندما خلق دورا للمثل بالاضافة الى الجوقة وبرئيسها . ثم جاء أسكيلس فأدخل الممثل الثانى ولكن دور الممثل الثانى عند أسكيلس كان محدودا جدا وضمن نطاق ضيق جدا . ففي المتضرعات منظران فقط يظهر فيهما ممثلان فى آن واحد . المنظر الاول عندما يظهر دانوس وبلاسكس معا والثانى عندما يظهر بلاسكس والرسون . وهذا جل ما توصل اليه أسكيلس وظل متوقفا عند هذا الحد ولم يزد على الممثلين شيئا . ثم جاء بعده سافوكليس فأدخل الممثل المتكلم الثالث . اى انه اعطى ثلاثة ادوار كلامية لثلاث شخصيات مجتمعة فى آن واحد . وهذه غاية ما توصلت اليه المسرحية الاغريقية . ولكى نوضح المقصود بهذا نأخذ مثلا من مسرحية الاورستيز . ففي نهاية هذه المسرحية يحتاج المؤلف الى وجود مينيس واورستز والاله اپولو على المسرح . ولكل من هذه

الشخصيات دور كلامي • وبالإضافة تتطلب القصة وجود الفتاة هيرميون  
وبيلادس • اما هيرميون فهي تقف خرساء طيلة المنظر ولا تقول كلمة  
واحدة ولذا فليس هناك أى مشكلة • ولكن المشكلة تتعلق بأمر بيلادس •  
ويقف بيلادس صامتاً طيلة المنظر ثم يلتفت اليه منيلس قائلاً •  
« وهل انت يا بلادس شريكاً في هذه الجريمة الشنعاء » • وهنا يتدخل  
اورستيز بسرعة قائلاً •

« ان سكونه يؤكد أنه كذلك » وهكذا اغناه اورستيز عن الجواب •  
ثم يؤمر بلادس بالخروج وهكذا يخرج دون ان يقول كلمة واحدة وبهذا  
لم يكن أكثر من ثلاثة ممثلين لهم ادوار كلامية •  
هذه لمحة تعرضت فيها الى أصل المسرح الاغريقي ونشأته وحاولت  
فيها رسم الخطوط العريضة لتطور المسرح الاغريقي • كما انى حاولت  
ذكر اهم التقاليد الفنية للمسرح الاغريقي •



أهم المراجع :

Kenneth maggowand and william Melnitz, The Living Stage: 1952.  
A.M. Nagler, Sources of The Theatrical History: (1252).  
Allardyce Nicoll, World Drama: (1949).



# صرح بابل المدرج أو ( الزقورة )<sup>(١)</sup>

بقلم الدكتور محمود الامين

اسمه عند البابليين إي تمينانكن E-Temenanki أى قاعدة السماء والارض • وقد ورد وصفه فى الكتابات المسمارية وتدوينات المؤرخين التى ساعدت البعثة التنقيصية الالمانية أثناء حفرياتها فى بابل فى مستهل القرن العشرين على تتبع أسسه ومعرفة المساحة التى كان يشغلها هذا الصرح • وقد ذهب معظم معالمة لا سيما بعد أن امتدت أيدي السكان المحيطين بمدينة بابل الى أنقاضه فاستعملوها فى بناء البيوت ومن جعلتها بلدة الحلة • ويمكن مشاهدة آثار هذا الصرح التى لاتعدو عن بقايا حفر كثيرة يستدل منها على شكل هيكله العام الذى كان مبنيًا باللبن وبشكل مكعب بقي من طول ضلعه حوالى ٦٠ مترا • كذلك يمكن رؤية بقايا ثلاث طبقات من مدرجاته فى الجهة الجنوبية الشرقية • وقد أيدت نتائج الحفريات جميع ما ذكره البابليون من وصف لهذا الصرح العظيم الذى كان يعد من عجائب الارض السبعة • وتمكن الاثريون والمؤرخون عن طريق الوصف الذى دونه البابليون عن مدينتهم بابل ومعابدها وزقورتها وكذلك من أخبار المؤرخين والرحالين الذين زاروا بابل فى أواخر أيام عزها ، من معرفة شكل الزقورة وعدد طبقاتها وارتفاع كل طابق منها • ونشر عدد كثير من المختصين بتاريخ الحضارة العراقية القديمة وصفا ضافيا عن برج بابل معتمدين فى استخلاص هذه المعلومات على الكتابات المسمارية وكتب المؤرخين القدامى من اليونان والرومان أمثال هيرودوت وديودور •

(١) الزقوة ومعناها فى الآشورية زكوراتو وتعنى المعبد المدرج الشامخ فى الارتفاع • وتتضمن كلمة تدبب أو القمة Zigatu ولعل كلمة زكوغ (ر) السائدة فى اللهجة الموصلية والتى تطلق على كتلة متماسكة من الجص تشير الى الاصل الآشورى • كذلك تعنى كلمة زكاتو الحجر الخاص ببناء الزقورة ( راجع القاموس الآشورى لمؤلفه Bezold ) •

لا نعرف بالضبط متى بنيت زقورة بابل وقد كانت بلا شك قائمة في زمن الدولة البابلية الاولى ( ١٨٣٠-١٥٣٠ ق م ) التي رفعت الاله مردوك الى مرتبة رئيس الالهة في قصة الخليفة البابلية التي أخذوها عن السومريين ووضعوها بالصيغة التي أرادها كهنة بابل ليكون إلههم مردوك البطل الوحيد بين الآلهة الذي قضى على تيامت الهة الفوضى والاضطراب عند بدأ التكوين . ويظهر من النصوص والتراويل الدينية أن الآلهة التمسوا مردوك عقب انتصاره على تيامت ، وهي أن يسمح لهم لأن ينوا له معبدا وصرحا مدرجا . وقد أتموا بناء المعبد إيزاگالا بما فيه قدس الاقداس وكذلك بناء الزقورة ومعابد صغيرة أخرى لهم ، في سنة واحدة وأقاموا له حفلة تدشين رائعة ثم نصبوا عرشه وقوسه في السما . (٢)

وقد وردت الإشارة الى المعبد إيزاگالا والزقورة في الملحمة الشعرية البابلية لقصة الخليفة البابلية بالمعنى التالي :-

« نريد أن نبني بلاطا للآلهة ، يسمى باسمك ،  
ليكون سكنا لنا نأوى اليه للراحة ،  
ونريد أن نبني بلاطا للآلهة ليكن بيتا لك ،  
لكى نستريح فيه عند زيارتنا لك . »

على أن أخبار الملوك الذين سبقوا قيام الدولة البابلية الاولى تشير الى وجود الزقورة قبل قيام الدولة الاكدية حوالي سنة ٢٣٥٠ ق م . ومن المحتمل أن تكون أسسها الاولى قد شيدت في أواخر عصر فجر السلالات أى حوالي ٢٦٠٠ ق م . وأنه تطور الى هيكل الزقورة أو المعبد المدرج بنفس الطريقة التي تطورت فيها المعابد المدرجة في عهد سلالة أور الثالثة ٢٠٥٠

(٢) راجع :-

E. Unger, Babylon, p. 191-200; WVD OG 48, Tf. 9; Herodot, II. 109; Diodor, II, 29, 1 ff.; VAB, VI, 38 ff., Meissner, Babylonien und Assyrien II, 180.; Frankfort, Art und Architecture in Mesopotamia, p. 52.

ق.م. ٢٦٠٠. كما في زقورة أريدو وأور والوركاء ونفر وبورسيا وغيرها من المدن السومرية . اتخذت لها مخطط معبد الاله آنو في الوركاء أساسا لهذا التدرج . فقد ظهر أن أقدم أسس صرح بابل المدرج يعود الى هذه الفترة ( ٢٦٠٠ ق.م. )

ان أقدم الوثائق التي لدينا عن تاريخ تجديد بناء زقورة بابل تعود الى زمن الملك الاكدي نرام سن ( ٢٢٧٠-٢٢٣٣ ق.م. ) حيث تذكر بأنه جدد صرح بابل ومعبد ايزاگلا وأضاف اليهما مباني جديدة . كذلك فعل ابنه شركالى شرى ( ٢٢٣٣-٢٢٠٨ ق.م. )<sup>(٣)</sup> . ويظهر أن زقورة بابل كانت تتكون منذ أواخر الالف الثالث قبل الميلاد من سبع طبقات ، بعدد السموات السبع وكانت تشتهر بهذا الاسم أيضا . فقد ذكر غوديا الحاكم الكاهن لمدينة لكش الذى حكم حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م. أنه بنى البيت ( المعبد ) المكون من سبع طبقات ورفعها عاليا فى السماء<sup>(٤)</sup> . وذكر أورنمو مؤسس سلالة أور الثالثة سنة ٢٠٥٠ ق.م. أن زقورة بابل كانت قد تهدمت ومن المحتمل أن يكون ذلك نتيجة للتخريبات التي أحدثها الكوتيون فى البلاد اثر احتلالهم لها . فشيدها ورفعها عاليا وكذلك اقتدى بعمله ابنه شولگى<sup>(٥)</sup> . وصار ملوك بلاد وادى الرافدين بمرور الاجيال يوجهون اهتمامهم ورعايتهم فى تعمير زقورة بابل فيجددونها وينون ما تهدم منها تقربا للاله مردوك وكسبا لمرضاته ومرضاة سكان المدينة .

تعتبر الزقورة فى نظر سكان العراق القدامى حلقة الوصل بين السماء والارض ، فقد أطلق عليها السومريون اسم دور - آن - كى ، وسموها البابليون ركسى شمى وإرصيتى ( قاعدة السماء والارض ) . وكانت فى

(٣) راجع :-

Hilprecht, The Babylonian Expedition of the University of Pennsylvania (B.E.) I, 2, 23 ff.;

VAB, I, 142, y., 84, p., 15.

dto. IV, 250, I, 12 ff.; B.E. I, 216.

(٤) راجع :-

(٥) راجع :-

اعتقادهم طريق الآلهة الى الارض ومستقرهم عند نزولهم من السماء ولذلك  
فقد كانت تمتاز بقدسية رفيعة في معتقدات السومريين والاكديين والبابليين  
والآشوريين • ولكي ينتقم كل فاتح جبار من سكان بابل ، كان يعمد الى  
هدم الزقورة ليقطع بذلك طريق الاله ويمنع نزوله الى السكان • ولذلك  
فقد كانت زقورة بابل معرضة لنقمة الاعداء ولا سيما الآشوريين • فهناك  
أخبار تاريخية من القرن السابع قبل الميلاد عن الكوارث التي حلت بها على  
يد الملوك الآشوريين العظام المتأخرين وكذلك الملوك الاخمينيين • ففي سنة  
٦٨٩ ق.م • دمر الملك الآشوري سنحاريب جميع معابد بابل وزقورتها •  
وحل بها الخراب أثناء الحرب الاهلية التي نشبت بين الملك آشور بانيبال  
وأخيه شماش شموكين وذلك أثناء الحصار الذي ضربه الآشوريون على  
بابل من ٦٥٢ حتى ٦٤٨ ق.م • وهدمها الملك الاخميني اكركسس  
(احشويرش) سنة ٤٧٨ ق.م بعد اخماده الثورة التي قامت ضد حكمه في بابل  
وأخذ تمثال الاله مردوك • وبقيت مهدمة حتى أن الاسكندر الكبير وجدها  
حينما دخل بابل فاتحاً ، كومة كبيرة من الانقاض •

ومثلما كان تهديم زقورة بابل من قبل الفاتحين وسيلة للانتقام من  
البابليين ، فقد كان تعميرها وترميمها مجلبة لرضائهم • فالملك أسرحدون  
أعاد بناءها وبناء مدينة بابل بكاملها بعد أن كان والده سنحاريب قد دمرها  
برمتها • وقد بدأ بناء المدينة ومعابدها وبرجها سنة ٦٨١ ق.م • وفي سنة  
٦٦٨ ق.م • أنهى بناء الزقورة • وكان للزقورة أهمية أخرى بالإضافة الى  
أهميتها الدينية فقد ساعدت الكهنة على مراقبة السماء موطن الآلهة وسير  
الافلاك فيها ولذلك فقد كان لها أثر كبير في تطور علم الفلك عند البابليين  
حيث اتخذت مراصد للنجوم والكواكب • فالمؤرخ الروماني ديودور الذي  
عاش سنة ٦٠ ق.م • يذكر ان الكلدانيين اتخذوا برج بابل مرصدا لرصد  
الافلاك وتعيين مواقيت ظهورها واختفائها<sup>(٦)</sup> • واتخذت الزقورة واسطة

.....ZDMG, 53, 659, 13, 19.; VAB. II, 9.

(٦) راجع :-

لتبنيه المدن الاخرى بخطر هجوم معادى بطريقة اضرام النار ليلا وارسل الدخان نهارا ، كذلك كانت واسطة لاعلان حلول الاعياد والاحتفالات .  
كذلك كانت تتخذ ملجأ من الفيضانات .

### شكل الزقورة وأوصافها

ان معلوماتنا عن شكل زقورة بابل وأوصافها تعتمد على مصادر خمسة  
وهي :-

- ١- المعلومات المستمدة من التوراة .
- ٢ - الاخبار الاغريقية والرومانية وبالاخص ماكتبه عنها هيرودوت .
- ٣ - الوثائق والنصوص المسمارية ولاسيما رقيم الطين الذي كتبه الكاهن آتو - بيل - شونو ( آتو بعل شونو ) .
- ٤ - نماذج الطين التي تصور شكل الزقورة بصورة عامة .
- ٥ - بقايا الزقورة والحفريات التي جرت فيها .

فالمصدر الاول ، وهو التوراة لم تتحدث عن الروعة الفنية التي تمثل في هندسة البناء الراقية للزقورة . ولم يصف شكلها كما لم يذكر الاهداف الدينية ذات الصلة الوثيقة بمعتقدات سكان بلاد وادي الرافدين المتوارثة من آلاف السنين ، وهي انما شيد هذا البناء الضخم الشامخ في العلو لكي تكون دعوات الناس منه ، قريبة من إله السموات . ثم لكي ينزل اليه يستقبل دعواتهم وصلواتهم ويسبغ عليهم رحمته عند اشتداد الازمات بهم . بل انما نجد التوراة قد صورت الزقورة بمثابة بناء شامخ شيده مارق بابلي كافر ، لكي يفتح منه أبواب السموات ويصعد الى الاله الذي يحكم الكون وينزله عن عرشه . ولم يكن في الواقع للتوراة ان تتحدث عن الزقورة غير هذا الحديث لأن اليهود الذين ساقهم نبوخذنصر أسرى الى بابل وكان عددهم حوالي ٧٢ ألفا ، شغلهم في بناء الزقورة ولذلك فان ذكرها لم تكن عزيزة على قلوبهم ، مفرحة لنفوسهم .

أما المصدر الثاني الذي يعتمد على الاخبار الاغريقية والرومانية فينحصر فيما كتبه هيرودوت عن زقورة بابل وما أورده ديودور ، المؤرخ

اليوناني الذي عاش في روما في القرن الاول قبل الميلاد ، في كتابه « المكتبة التاريخية » من أخبار بابل وزقورتها نقلا عن تسياس Ktesias الطبيب اليوناني في البلاط الاخميني سنة ٤٠٠ ق.م. على ان أهم من وصف زقورة بابل وصفا دقيقا هو المؤرخ هيرودوت ولكنه اورد في وصفه بعض الاخطاء لانه اعتمد في استقاء المعلومات والتفاصيل عن الزقورة على احد الاهلين ولا سيما المعلومات المتعلقة بالقياسات التي لم يتحققها بنفسه • ولا شك ان للزمن الذي زار فيه هيرودوت بابل أثر كبير في تقديم الصورة الحقيقية عن البرج • فلقد زار بابل بين سنة ٤٧٠ و ٤٦٠ ق.م • أى بعد مرور أكثر من قرن من الزمن على عصر نبوخذ نصر الذهبي الذي أعاد فيه تشييد بناء الزقورة ولذلك فان اشياء كثيرة بدت لهيرودوت مغايرة للصورة الاصلية للزقورة في ايام نبوخذ نصر • فكان بعض اقسامها قد تهدم وبعضها قد تغير عن شكله الاصلى بسبب الثورات الكثيرة التي نشبت في بابل تحت حكم الاخمينيين • كما ان بعض معالم المدينة قد تبدلت عن وضعها الذي كانت عليه في زمن نبوخذنصر • فمن ذلك ان نهر الفرات كان عند زيارة هيرودوت قد اصبح في مكان غيره في زمن نبوخذنصر • وهكذا نجد اختلافا في بعض المعلومات التي سجلها هيرودوت عن الزقورة وعن المدينة ، عما اظهرته نتائج الحفريات الالمانية في السنوات العشر الاولى من بداية القرن الحالى •

يقول هيرودوت في كتابه التواريخ او القصص الجزء الاول ، صفحة ١٨١ « ان نهر الفرات يقسم المدينة الى قسمين ، ففي وسط احدهما بلاط الملك وهو محاط بسور ضخمة وفي وسط القسم الاخر معبد الاله زوس Zeus اى الاله بيل ( بعل ) • والمعبد بناء مربع الشكل يبلغ طول جانبيه منه ( طول ضلعي قاعدته ) ٢ ستاديون<sup>(٧)</sup> ، أى ٣٦٨ مترا • وله ابواب كبيرة

(٧) ستاديون Stadion مقياس يوناني يعادل ١٨٤ مترا ويذكر العلامة Meissner ان الجهة الشرقية من المعبد لا تكون جانبا من مربع كامل اى ان زوايتها ليست قائمة تماما • ويبلغ طولها ٤٠٩ مترا •  
Meissner, Babylonien u. Assyrien. I, S. 314, MDOG 29, 36.

من البرونز وكان لا يزال قائما في زمانى • ويقوم فى وسط المعبد صرح  
 صلد مربع الشكل بستاديون واحد<sup>(٨)</sup> • وقد اقيم فوقه صرح آخر وعلى  
 الثانى صرح ثالث وهكذا حتى تصبح ثمانية صروح • ويصعد الى هذه  
 الصروح الثمانية بطريق حلزونى يلف حولها من الخارج • وفى منتصف  
 الطريق مقاعد وضعت لمن يريد الاستراحة • ويقوم فوق قمة الصرح الاخير  
 معبد كبير فيه سرير واسع جميل مزين بزخارف ثمينة كثيرة وبجانبه منضدة  
 من الذهب • وليس فى هذا المعبد محراب تمثال ولا بيت فيه احد ما خلا  
 ( اذا ما صدقنا الكلدانيين كهنة بيل ) امرأة بابلية ، يقول عنها كهنة الاله ،  
 ان الاله مردوك قد اختارها من بين النساء البابليات لتكون فى خدمته اثناء  
 الليل اذا ما نزل من السماء الى معبده العالى • ويقول الكلدانيون - وأنا  
 لا اصدقهم - بان الاله يدخل المعبد بزى شخص ويستريح على السرير •  
 ويستطرد هيرودوت فى تفسير وجود الامراة فى معبد الاله مردوك  
 العالى فيقول :-

« وهناك قصة مشابهة سمعتها من المصريين فى طيبة ، من ان امرأة  
 تقضى دائما الليلة فى معبد الاله زوس اله مدينة طيبة ومحرم عليها ( هكذا  
 يقولون ) ، ان تضاجع الرجال مثل الامراة فى المعبد فى بابل<sup>(٩)</sup> •

وذكر ديودور الذى عاش سنة ٦٠ ق.م • فى تاريخه المجلد

الثانى ص ٩ Diodor, Historical Bibliothek, II, p. 9.

فى معرض كلامه نقلا عن تسياس Ktesias الذى كان طبيبا  
 يونانيا فى البلاط الاخيرى سنة ٤٠٠ ق.م • وزار بابل عدة مرات ، ذكر  
 يقول « ولقد شيدت ( سميراميس ) فى وسط المدينة ( بابل ) معبدا للاله زوس

(٨) ويقصد أن طول القاعدة المربعة وعرضها يبلغ ستاديونا واحدا  
 أى ١٨٤ مترا وبعبارة اوضح ان طول ضلع قاعدته المربعة ٩٢ مترا وهو  
 المقياس الذى يتفق تقريبا مع الابعاد التى حققتها البعثة التنقيبية الالمانية  
 فى بابل •

(٩) راجع :- Herodot, I, p. 181.



الذى يسميه البابليون بيلوس ( بعل ) • ولقد اختلف الرواة فى سرد الحقائق عن هذا المعبد وبنائه الذى تدعى بسبب تقادم الزمن عليه ولكنهم يتفقون بان البناء كان عاليا جدا وفوق حد التصور بحيث كان باستطاعتهم مراقبة النجوم من وقت طلوعها حتى ساعة افولها • وكان البناء مشيدا بالقار والآجر ، بهندسة جميلة • وفى اعلى صرح من صروحه ثلاثة تماثيل من الذهب للاله زوس وهيرا Hearsa وريا Rhea • (١٠)

نستنتج من رواية ديدور ان زقورة بابل كانت مهدمة فى زمن الطبيب الاغريقى تسياس وبقيت هكذا الى النهاية فبعد مرور جيلين على هذا الوصف نجد فى تدوين المؤرخ سترابو ، أن الاسكندر الكبير عند دخوله بابل وجد زقورتها قد تهدمت عن آخرها واراد اعادة بنائها ولكن الاجل لم يمهله •

اما المصدر الثالث الذى يعتمد على النصوص السامرية فى وثائق التشييد التى سجلها الملوك الآشوريون والبابليون فى الفترة المتأخرة من التاريخ الآشورى وفى زمن دولة بابل الثانية ، وهم الملك اسرحدون الاشورى ونابو بولصار مؤسس الدولة البابلية الثانية وابنه نبوخذنصر ، ثم رقيم الطين الذى عثر عليه ومصدره من الوركاء وكان قد كتبه احد كهنة الوركاء • وهو انوبيل شونو Anu-bel-Sunu • وتعتبر محتوياته اهم المعلومات التى دوت عن زقورة بابل ومواصفاتها • وقد استنسخه انوبيل شونو عن رقيم طين قديم يعرف باسم رقيم ايزاگلا لانه يصف فى الفقرات الثلاث الاولى معبد ايزاگلا الذى يقع مقابل الزقورة اى تمينانكى • والرقيم المستنسخ يعود الى السنة ٨٢ من الحكم السلوقى

---

(١٠) هيرا Hera : الالهة الام عند الاغريق ولاشك أنه يقصد الالهة سربانيثم Serpanitum زوجة الاله مردوك • اما ريا فهى بحسب الاسطورة الاغريقية ابنة اورانوس وزوجة كرونوس ووالدة زوس • ولا نعرف ماذا يقابلها فى معتقدات بلاد وادى الرافدين ولعله يقصد الالهة اننا ( عشتار ) •



وقد دوتن في اليوم ٢٦ من شهر كيسلمو • اى في ١٢ كانون الاول سنة ٢٢٩ ق.م • في زمن حكم الملك السلوقي سلوقس كلينيوكس ، ويسجل فيه ابعاد اضلاع طبقات الزقورة وارتفاعاتها ويذكر انها تتألف من ست طبقات ومن مخدع الاله مردوك المكون من طبقتين ، وان هذا المخدع يكون نهاية البرج ويتألف من صحن وست غرف ، فيها محاريب وغرفة للنوم ( مضجع ) ومدخل وغرفة للمؤن والهدايا • وقد جاءت القياسات مقارنة لقياسات بعثة التنقيب الالمانية لقاعدة الزقورة (١١) •

ان الفقرتين السابعة والثامنة من رقيم آنوبيل شونو تذكر مواصفات الزقورة بالقياس البابلي وهو العامود المضاعف ولعله المردى الذى يستعمله السفانون واصحاب المشاحيف والابلام • وبذلك اعطيت الابعاد لكل طبقة من طبقات الزقورة بالقياس المذكور • وهى كما يلى :-

- الطبقة الاولى او الطبقة الارضية : الطول ١٥ عامودين والعرض ١٥ عامودين والارتفاع ٥ ١/٢ عامودين •
- الطبقة الثانية : الطول ١٣ عامودين والعرض ١٣ عامودين والارتفاع ٣ عامودين •
- الطبقة الثالثة : الطول ١٠ عامودين والعرض ١٠ عامودين والارتفاع ١ عامودين •
- الطبقة الرابعة : الطول ٨ ١/٢ عامودين والعرض ٨ ١/٢ عامودين والارتفاع ١ عامودين •
- الطبقة الخامسة : الطول ٧ عامودين والعرض ٧ عامودين والارتفاع ١ عامودين •
- الطبقة السادسة : الطول ٥ ١/٢ عامودين والعرض ٥ ١/٢ عامودين والارتفاع ١ عامودين •

(١١) راجع :-

MAI. XXXIV, 293 ff.; t. 25 ff.; MDOG 59; WB. 179 ff; Rs. 1 ff.; 2 P. 45; OLZ. XVII, 201.; Fritz Krischen, Weltwunder Der Baukunst in Babylonien und Ionien, 12 ff.

الطبقة السابعة وعليها المعبد العالى وهو مكون من طبقتين :-  
الطبقة الاولى : الطول ٤ عامودين والعرض ٣ ١/٢ عامودين والارتفاع ٢ ١/٢ عامودين • وفوق هذه الطبقة غرفة عليا ( عليه ) تتوسط الطبقة السابعة او الطبقة الاولى منها وتعرف بالمعبد العالى •

ثم تنتهى كتابة رقيم الطين المذكور بالعبارات التالية :-  
الحكيم يرى ( هذا اللوح ) حكيما ،  
أما الجاهل فلا يجب ان يراه ،

ان هذا الرقيم هو طبق نسخة رقيم بورسيا وقد استنسخ وقورن معها ونظر فيه • الوركاء شهر كيسلمو ، يوم ٢٦ سنة ١٨٣ ( من حكم ) سلوفس ( الثانى ) الملك •

يتضح من هذا الرقيم أن مدرجات الزقورة أى طبقاتها هى سبعة وليست ثمانية كما ذكرها هيرودوت • ولعله اخطأ فى عدّها او انه حسب معها المعبد العالى • والمعروف ان العدد ( سبعة ) من الارقام المقدسة عند البابليين لان عدد طبقات السماء وكذلك الارض هو سبعة لذلك فان طبقات الزقورة كانت بعدد طبقات السماء وكل طبقة منها كانت تحاكي طبقة من طبقات السماء • ولما كان مقر الاله فى آخر طبقة من الطبقات السبع لذلك فقد صار مقره او عرشه ، المعبد العالى فوق الطبقة السابعة • وتدخل الطبقة السابعة ضمن المعبد العالى ولذا فقد أصبح المعبد العالى مكونا من طبقتين ارتفاعهما ٢ ١/٢ عامودين أى خمسة اعمدة •

وبالنظر الى ان الحفريات التى اجراها المنقب الالماني روبرت كولدوفاي فى بابل وزقورتها بين مستهل القرن العشرين وسنة ١٩١٣ ، قد اظهرت أن طول ضلع القاعدة المربعة الشكل هو ٩١٥٠ مترا فيكون عندئذ طول العامود البابلى الذى ذكره آنوبيل شونو ٣٠٥ مترا وعندئذ تصبح قياسات الزقورة مقاربة للقياسات التى حققتها البعثة الالمانية وهى كما يلى :-

الطبقة الاولى : الطول ٩١٥٠ م والعرض ٩١٥٠ م والارتفاع

٣٣٥٥ م

الطبقة الثانية : الطول ٧٩ر٣٠ م والعرض ٧٩ر٣٠ م والارتفاع ١٨ر٣٠ م

الطبقة الثالثة : الطول ٦١ م والعرض ٦١ م والارتفاع ٦ر١٠ م  
الطبقة الرابعة : الطول ٥١ر٨٥ م والعرض ٥١ر٨٥ م والارتفاع ٦ر١٠ م

الطبقة الخامسة : الطول ٤٢ر٧٠ م والعرض ٤٢ر٧٠ م والارتفاع ٦ر١٠ م  
الطبقة السادسة : الطول ٣٣ر٥٥ م والعرض ٣٣ر٥٥ م والارتفاع ٦ر١٠ م

الطبقة السابعة : وهى المعبد العالى المكون من طبقتين : الطول ٢٤ر٤٠ م والعرض ٢٤ر٤٠ م والارتفاع ٢٢ر٨٧ م

وتدل النصوص المسمارية ان المعبد العالى كان مشيدا بالآجر الازرق المزجج وانه كان يدعى بالمعبد المضيء . فقد ذكر الملك الآشورى أسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م) بأنه شيد برج بابل وأقامه من أساسه وجعل قاعدته المربعة الشكل حوالى ٩٠ مترا<sup>(١٢)</sup> . كذلك تذكر النصوص المسمارية بأن البرج شيد على قاعدة من اللبن كسيت جوانبها بالآجر وجعلت لها ثقبوا لتصريف مياه الامطار وأن ارتفاعها ٢٠ مترا . ثم رفعت في الادوار البابلية المتأخرة الى ارتفاع أكثر وان « قمة البرج شيدت من الآجر المزجج الازرق وبنى فوق هذه القمة المعبد المضيء من الآجر المزجج الملون باللون الازرق » . ولا شك أن القمة كانت الغرفة العالية القائمة فوق المعبد وكانت مضجع الاله . اما اللون الازرق فقد كان من الالوان المقدسة فى بلاد وادى الرافدين لانه لون السماء مقر الآلهة ولذلك فقد كان لون المعبد العالى ازرقا لكى يحاكي لون السماء بحيث ان الناس فى الارض اذا ما انظروا اليه حسبوه متصلا بالسماء فهم لا يستطيعون رؤية الاله مردوك والآلهة الأخرى عند نزولها الى الارض عن طريق الزقورة ومعبدها العالى .

(١٢) راجع :- BA. III, 250, VI, 20 ff.

ومن المحتمل ان تكون فوق مخدع الاله مردوك ( مضجعه ) قرون  
كالتى نجدها فى احدى المنحوتات الآشورية من الفترة المتأخرة والتى تصور  
زقورة آشورية وهذه القرون هى رمز الالهة بصورة عامة ورمز الاله  
مردوك كذلك . وكانت لمدينة سوسه زقورة لها قرون من البرونز مغروسة  
فى سطح مخدع الهها الرئيسى وقد انتقلت هذه الفكرة الى المسلمين فدخلت  
فى العمائر الدينية كالمساجد والاضرحة . فالتأثر وأقية المساجد تنتهى بهلال  
من البرونز الذى اتخذته المسلمون شعارا لهم ، وهو يرمز الى الاله القمر  
( سن ) فى بلاد وادى الرافدين وفى حران شمال سوريا<sup>(١٣)</sup> .

وكانت الزقورة تمثل مكانة مقدسة فى معتقدات سكان بلاد وادى  
الرافدين ولا سيما السومريين . وقد بنيت بهذه الصورة لكى تكون بمثابة  
الجليل . فزقورة الاله إنليل ، الهه العواصف والزوابع فى نيبور ( نفر )  
كانت تسمى « بيت الجبل » ، جبل العواصف والزوابع والرباط القائم بين  
السماء والارض . وللجبال مغزى دينى فى معتقدات سكان بلاد وادى الرافدين  
لانها بمثابة الاوتاد التى توازن الارض وتمسكها عن الميلان . وفيها تكمن  
اسرار القوى الخفية للحياة التى تديم الخضرة فى الربيع والخريف وتحمل  
الماء فى وديان الانهار اليابسة وترسل الامطار فتحيا الارض بعد موتها .  
ولللجبال الهة هى الالهة نن خرصاك ( سيدة الجبال ) ، التى تسمى بالام  
العظيمة .

اما المصدر الرابع الذى يعتمد على نماذج الطين والمنحوتات الحجرية  
والآثار الباقية من الزقورات الكثيرة التى شيدت فى بلاد الرافدين فى  
فترات متفاوتة من تاريخه القديم الطويل بحيث اصبح فى القرن السابع قبل  
الميلاد لكل مدينة زقورة ، فان المعلومات المتوفرة لدينا قليلة اذ لم تبق زقورة  
كاملة من بين هذا العدد الكثير من الزقورات التى كانت تنتشر فى ربوع

(١٣) راجع :-

VAB, IV, 148, III, 26; VAB. IV, 98, II, V 3, 9, I, 2 9, 32, 42, 98,  
II4, 126.

العراق القديم كما تنتشر اليوم ناطحات السحاب في امريكا • والزقورة الوحيدة من بين زقورات اريدو والوركاء ونفرو وبورسيا وسپار ودوركورى كلزو ( عقرقوف ) وآشور وكارتكولتى نن اورتا ونمرود وخرصباط ، التى بقيت قاعدتها ومدرجاتها هي زقورة اور ، كذلك لا توجد هناك صورة لزقورة فى المنحوتات الحجرية التى عثر عليها المنقبون لحد الان ما خلا منحوتة من الفترة الاشورية المتأخرة من القرن السابع (؟) ، تمثل برجاً مكوناً من اربعة طوابق وله مدخل فى الوسط يكون الدرج الوسطى ثم درجان جانبيان يؤديان الى الطابق الاول فقط<sup>(١٤)</sup> • ثم هناك صورة زقورة منحوتة على حجر حدود ( كدورو ) يعود الى الملك مردوك بلادان الاول (١١٧٦-١١٦٤ ق.م) ووجد المنقب الالماني اندرى فى أثناء أعماله التنقيية فى آشور ، نماذج من الطين لبيت مكون من اربعة طوابق يظن انه يرمز الى شكل الزقورة يتبين من جميع ما تقدم ان الزقورة عبارة عن مصطبة كبيرة مربعة الشكل تحمل الصرح المدرج ، يحيط بها سور كبير ليفصلها عن بقية اقسام المدينة • وقد بنيت هذه المصطبة الضخمة او القاعدة مع الابراج التى تقف عليها : الواحدة فوق الاخرى كصناديق لعب الاطفال المتفاوتة فى الحجم ، من اللبن بهيئة دكات كبيرة ووضع بين طبقات اللبن الحصير والقصب والبردى لزيادة التماسك • وتركت فتحات فى جوانب البرج وعلى طول ضلعه بابعاد وارتفاعات معينة لتصريف مياه الامطار • وقد دعاها المستر وولى الذى نقب فى اور بـ « الثقوب الباكية » • وكسيت جوانب الزقورة من الخارج بغلاف من الآجر • ويصعد الى طبقاتها من درج وسطى ودرجين جانبيين تستند على بناء مرتفع واجهته مستطيلة الشكل كما فى زقورة اور ، ثم تستمر هذه الدروج بنفس الطريقة التى تظهر فى واجهة الزقورة • او

(١٤) راجع :-

Dombart, Zikkurat et Pyramide, 42. ff.; 14. MEISSNER, Babylonien und Assyrien, I, Abb 117.; MDOG, 53, 51.

تتخذ شكلا حلزونيا كما فى ملوية سامراء التى لا يشك فى انها بنيت بحسب  
مخطط الزقورة ومن مدرجات ستة ( حلزونات ) وغرفة عالية •

ومن الجدير ذكره ان المصطبة الكبيرة او الدكة الضخمة التى تحمل  
الصرح المدرج أثرت فى العمارة الاسلامية ولاسيما فى فن العمارة للمسجد  
اذ كانت اساسا لمخطط المنارة وقاعدتها • فالمنارة فى الحقيقة هى برج المسجد  
او الجامع فمثلما كانت الزقورة تبنى فى مقدمة المعبد بعد يسير كذلك فقد  
وجدنا ان المنارة تبنى امام المسجد وهذا ما نراه واضحا فى ملوية سامراء  
وجامعها الكبير ( جامع المتوكل ) •

اما المخدع او الغرفة العالية الواقعة فوق المعبد والتى تكون قمة  
الزقورة فكانت تعرف باسم شاخورو Sahuru ومعناه غرفة الانتظار  
او غرفة الاستقبال التى يمر منها الاله عند نزوله من السماء • وهذه الغرفة  
موجودة كذلك فى المعبد الارضى تعرف بالاسم نفسه وتكون فى هذه الحالة  
الغرفة التى تتقدم المصلى او قدس الاقداس ، فقد كان ينتظر فيها الكهنة  
والمتعبدون حتى يفتح رئيس الكهنة ( الاوريگيلو ) لهم باب قدس الاقداس  
الذى يحوى تمثال الاله (١٥) •

لقد حاول عدد غير قليل من مشاهير الرسامين الاوربيين ان يتخللوا  
للزقورة من وصف هيرودوت وديودور وغيرهما من المؤرخين الاقدمين صورة  
مطابقة للحقيقة والاصل وفى مقدمتهم الرسام الهولندى بروغل Brughel  
(١٥٢٥-١٥٦٩) الذى عاش فى فينا • فقد رسمها بشكل حلزونى • ثم الرسام  
فلكنبورش Valkenborch (١٦٥٤-١٦٢٥) الذى رسم صورة زيتية  
للزقورة بابل ولكنه أضفى عليها كثيرا من الخيال الجميل الرائع وهندسة  
البناء للملاعب الرومانية •

(١٥) راجع :-

Frankfort, Art and Architecture in Mesopotamia, p. 6. ff.

وحاول عدد آخر من علماء الآثار ان يتخللوا صورة لزقورة بابل  
مطابقة للاصل معتمدين على وصف المؤرخين والنصوص السامرية واخبار  
ملوك وادي الرافدين القدامى امثال دومبارت Dombart وشيبي  
Chepiez وكولدوفاي واونگر • على ان الصورة التي تخيلها البروفسور  
اونگر اصبحت هي المعول عليها لانها جاءت مطابقة للحقيقة اكثر من غيرها •



# المعارف البرتغالية مع الحاجج العربي

١٥٠٧ - ١٦٥٠

الدكتور محمود علي الداود

المدرس في قسم التاريخ

يرجع الاستعمار الاوربي الحديث في الخليج العربي الى القرن السادس عشر عندما استهدفت السياسة الخارجية البرتغالية ازاحة الاحتكار التجارى من عرب البحر المتوسط والشرق الاوسط الذين سيطروا على زمام الحركة التجارية بين اوربا واسيا . لقد كانت التجارة بين الشرق والغرب تتبع طريقين رئيسيين وهما طريق البحر الاحمر ومصر وطريق الخليج العربي والعراق وسوريا وكان كلا من هاذين الطريقين تحت السيطرة العربية <sup>(١)</sup> . وفي مناسبات عديدة أغلقت هذه الطرق لمنازعات وصعوبات سياسية وقد أدى ذلك أضرارا جسيمة بالحاجيات الاوربية من البضائع الشرقية ما عدا تلك التي كانت تنقل عن طريق وسط آسيا . وكانت فينيسيا وجنوة من أهم الدول الاوربية التي تاجرت مع الشرق على نطاق واسع في بداية القرن الخامس عشر ، ولكن الاخيرة خسرت مركزها الممتاز في التجارة الشرقية على أثر استيلاء الاتراك على القسطنطينية في ١٤٥٣ كما أن سياسة الممالك الاقتصادية في مصر قد أفقدت فينيسيا ماتبقى لها من أفضلية . ولقد أصبح من الواضح أن اكتشاف طرق جديدة الى الهند وجنوب شرق آسيا سيدر فوائد عظيمة على الدولة الاولى التي تعمل على تحقيق هذه الغاية وتهدف الى الابتعاد عن الطريق التقليدية عبر الشرق الاوسط . وكانت البرتغال هي الدولة الاوربية الاولى ذات الاهداف الاقتصادية الواضحة في التجارة والاستعمار ليس فقط في الخليج العربي

(١) Ballard, G.A. Navigators of the Indian Ocean Prior to the era of European Dominion, Marines' Mirror, 1924, Ap. pp. 10-20.



بل بعد فترة وجيزة فى الهند وجنوب شرق آسيا • ولا تزال مستعمرة  
 گوا ، على ساحل الهند الغربى ، تمثل الاصول الاولى للاستعمار الاوربى  
 فى آسيا ومن هناك انتقل البرتغاليون وحلفائهم من هولنديين وانكليز  
 وفرسيين الى جزر الهند الصينية وموانئ الصين يثبتون اقدام استعمارهم  
 الاقتصادى ثم العسكرى والسياسى حتى مطلع القرن العشرين • وكان  
 الملك البرتغالى دوم هنريك (Dom Henrique) ١٣٩٤ - ١٤٦٠ ، الذى عرف  
 بالملاح ، هو اول من وجه أنظار الاوربيين الى الشرق عن طريق جديدة  
 عبر رأس الرجاء الصالح والمحيط الهندى وذلك على أثر الفتوحات التركية  
 فى الشرق الاوسط<sup>(٢)</sup> • وقد تبلورت الجهود والاهداف البرتغالية  
 الاستعمارية فى عهد الملك دوم أفونسو الخامس (Dom Affonso V)  
 ١٤٤٣-١٤٨١ والملك دوم جواو الثانى (Dom Joao II) ١٤٨١-١٤٩٥  
 وأرسلت بعثات استكشافية عدة الى الشرق كان أولها بعثة بارثوليميو دياز  
 (Bartholomeu de Diaz) فى ١٤٨٦ الذى أبحر حول رأس الرجاء الصالح  
 دون أن يعرف أنه دار حول النقطة الجنوبية من أفريقيا • وفى مطلع سنة  
 ١٤٨٧ قام الرحالان البرتغاليان جواو پيرس دى كوفيلاو  
 (Joao Peres de Covilhao) وأفونسو دى پافيا (Affonso de Paiva)  
 برحلة حول الشرق يبحثون فيها عن بلاد التوابل وقد افترقا عند عدن  
 فسار الاول الى گواو ومنها الى هرمز فى الخليج العربى ثم قفل راجعا الى  
 القاهرة عبر العراق وسوريا وأما الثانى فقد استقر فى الحبشة مبعوثا  
 للملك البرتغالى لدى الدولة الحبشية المسيحية • وفى آب ١٤٩٨ كان  
 فاسكو دى كاما (Vasco de Gama) ، الذى كان قد أبحر من البرتغال ،  
 قد وصل الهند عبر رأس الرجاء الصالح ، وقد انتهت حملته الكبيرة فى  
 مدينة لشبونة فى ايلول ١٤٩٩ • وان أهم نتائج الرحلة الاخيرة هو ظهور

(2) Lorimer, J. G. Gazetter of the Persian Gulf, Secret, Historical, Part. I. Vol. I. Proceedings of the Portuguese In the East. pp. 1-6.

ما يعرف بالثورات التجارية فى أوربا وظهور أهمية البرتغال فى ميدان السياسة الاوربية وفى ميدان الاحتكارات التجارية الجديدة وأصبح ملوكها يلقبون بـ « أسياذ الفتوحات والملاحه والتجارة فى الهند والحبشة وبلاد العرب وفارس » • وقد استطاع الملك مانويل الاول (Manoel I) فى ١٥٠٥ من التغلب على الامه العربيه فى ميدان السيادة التجارية وذلك باستيلاءه على كل من عدن وهرمز ومالقا • ولأجل تحقيق آماله الاستعمارية فى الشرق أرسل الاميرال فرانسيسكو دى الميدا (Francisco de Almeida) الى الهند وعينه حاكما على المستعمرات فى الشرق وقد اتخذ الاخير مدينة كوشين فى الهند الصينية عاصمة له • وفى خلال ١٥٠٦ وصلت أساطيل عربية وتركية الى شواطئ الهند لنجدة الامراء المسلمين هناك فى صراعهم ضد الفتوحات البرتغالية وكان اندحار الاساطيل الاسلاميه فاتحة للسيادة البرتغالية البحرية فى جنوب آسيا والمحيط الهندى وخليج عمان •

وتعتبر سنة ١٥٠٦ نقطة تحول مهمة فى حركة الاستعمار الاوربى فى جنوب آسيا وفى تلك السنة غادر الفونسو دى البوكرك (3) (Affonso de Albuquerque) ليتسلم منصبه الجدد فى الهند كنائب للملك ، وكان يهدف الى تأمين طرق المواصلات البحرية من العرب والاستيلاء على نقطتين مهمتين ذات استراتيجيه بالغه وهما سوقوطرة (Soqotrah) وهرمز • وقد صادف أسطولاه مقاومة ضعيفه فى مياه خليج عمان والخليج العربى وخاصة فى مسقط وعمان وقد استعمل البحارة البرتغاليون قسوة متناهية فى القضاء على هذه المقاومة • وقد رفض الشيخ سيف الدين حاكم جزيرة هرمز التسليم للأسطول البرتغالى الضخم واشترك أسطولاه الصغير بمعركة حامية مع البرتغاليين أجبرتهم على التوقيع على معاهدة الصلح فى أيلول ١٥٠٧ التى اعترف بسوجبها البرتغاليون بالشيخ سيف الدين حاكما

---

(3) Albuquerque, Affonso de, "The Commentaries of the Great Affonso Dalboquerque. 4 Vols. Hak. Soc. 1875.

على جزيرة هرمز مقابل قبوله الحماية البرتغالية (٤) . ولمن المعروف أن تهديدات الشاه الفارسي اسماعيل هي التي أملت على الشيخ سيف الدين اتخاذه هذا الموقف .

وقد حدث انشقاق فى صفوف البحرية البرتغالية وقد تزعم دى الميدا المعارضة ضد نائب الملك مما اضطر الاخير الابحار الى الهند وهناك اعترف به نائبا للملك البرتغالى فى الهند وقد استقبل فى عاصمته گوا وفودا رسمية من شاه فارسى وشيخ جزيرة هرمز . وفى فترات مختلفة من حكم البوكوك فى الهند هدد الاسطول التركى الممتلكات البرتغالية من البحر الاحمر ولكن نائب الملك اعتبر استعادة هرمز أكثر أهمية من الوجهة الاستراتيجية من الاستيلاء على ميناء عدن . وفى ١٥١٥ غادر اسطول برتغالى ضخيم مياه الهند (٥) متوجها الى الخليج العربى وكان غرضه الاستيلاء على جزيرة هرمز التى كانت فى تلك السنة معرضة لثورة داخلية زاد سعيها الفرس الذين كانوا يعتبرون هرمز قاعدة بحرية مهمة للدفاع عن شواطئ بلادهم من الغارات العربية والتركية والبرتغالية ، وكان البرتغاليون يكونون نصف الحملة الاخيرة أما النصف الثانى من الرجال فكان جلهم من مواطنى جزر مالابار ومن العيد . وكان الوضع الداخلى فى هرمز عاملا مهما فى انتصار الحملة وقد حاول الفرس جذب البرتغاليين الى نوع من التحالف العسكرى والتعاون الاقتصادى ضد الاتراك فعرضوا عليهم تجهيز فارس بسفن حربية للاغارة على البحرين وقطيف وكذلك تقديم مساعدات عسكرية للقضاء على ثورة محلية فى ولاية مكران مقابل التنازل عن ميناء جوادر للملك البرتغالى . وفى ٢٠ اكتوبر مرض البوكوك الذى عين ابن أخيه يرو (Pero) قبطانا على قلعة هرمز وغادر الجزيرة

---

(4) Curzon, G.N, "Persia and the Persian Question". Vol. II, P. 415.

(5) Danvers, E.C, "the Portuguese In India." 2 Vols. 1894.

متوجها الى الهند وقد توفي على ظهر سفينة وكانت على أميال قليلة من العاصمة گوا<sup>(٦)</sup> .

وكانت وفاة نائب الملك قد أضعفت نفوذ البرتغاليين في الهند وجنوب آسيا وشاع الذعر في صفوف البرتغاليين في المحيط الهندي وازداد خطر الاسطول التركي الذي لم يقتصر نشاطه على مياه البحر العربي بل تعداه الى الخليج العربي أهم نقطة استراتيجية في طريق المواصلات البرتغالية . وفي نفس الوقت ازدادت معارضة سكان الخليج العربي ضد الاستعمار البرتغالي البغيض الذي لم يتوان عن استعمال أقصى ضروب الوحشية في سبيل جمع الضرائب من السكان . وكان أهالي هرمز والبحرين وصحار ومسقط يتعاونون مع شيخ هرمز في سبيل دحر الاحتلال البرتغالي . وقد أرسلت حكومة الهند البرتغالية قطعات من الاسطول البرتغالي لأجل القضاء على المعارضة المحلية في الخليج العربي وقد دمرت هذه القطعات مدينة صحار وحاصرت هرمز التي دافع عنها شيخها العربي دفاعا مجيدا ولما ازدادت نيران مدافع الاسطول البرتغاليين طلب من الاهليين حرق المدينة والانسحاب الى قشم . ودخل البرتغاليون ميناء هرمز وسط نيران ملتهبة قضت على أسواق المدينة التي كانت بحق أغنى أسواق العالم بمنتجات الشرف من التوابل والمنسوجات الحريرية وقاعدة دولية مهمة في تجارة اللؤلؤ<sup>(٧)</sup> . وأجبر البرتغاليون شيخ هرمز الجديد على توقيع معاهدة مناب في ٢٣ تموز ١٥٢٣ التي ألغت الحماية البرتغالية على الجزيرة وربطتها رأسا بالحكومة البرتغالية في لشبونة ، وبذلك ضعف أمل سكان هرمز في الحكم الذاتي وأصبحوا جزءا من الامبراطورية البرتغالية وتحت حكم الاستعمار البرتغالي المباشر . ولم تهدأ الثورات في الخليج العربي ضد

---

(6) Bargosa, Durate, "The Book of Durate Barbosa," 2 Vols, 1918. Val. I. pp. 90-109.

(7) The Travels of Pedro Teixeira, with His "Kings of Harmuz", And Extracts From His "Kings of Persia", Hakl. Soc. 1902. p. 2.

الاحتلال البرتغالي ، وبالرغم من جميع أعمال العنف التي استعملها الاسطول البرتغالي ضد الاهالي في هرمز فقد ظلت تلك الجزيرة تقاوم بعنف أشد وأقوى وفي سنة ١٥٢٩ أمر الملك البرتغالي بترحيل كافة القوى والجماعات المعارضة للحكم البرتغالي وكان على رأس المعارضة الشيخ شريف مستشار شيخ هرمز السابق . وقد انفصلت جزر البحرين في هذه الفترة عن شيخ هرمز وفشلت جميع محاولات الاسطول البرتغالي لاستعادتها .

وبينما كانت الثورات مستعرة ضد الاسطول البرتغالي في الخليج العربي كان الاتراك ينتهزون الفرص لضم الخليج العربي الى منطقة نفوذهم في الشرق الاوسط وكانوا يهدفون الى السيطرة على جنوب العراق وخاصة على ميناء البصرة . وقد أرسل الاتراك أسطولاً ضخماً من البحر الاحمر للدخول في العمليات البحرية في مياه هرمز ومسقط ضد الاسطول البرتغالي . وكان حاكم مصر ، سليمان باشا ، يحاول اقناع الباب العالي بأهمية الخليج العربي بالنسبة للاستراتيجية التركية في الشرق وكان هذا الحاكم هو أول مسؤول تركي وجه أنظار استنبول الى الهند وقد قام فعلاً خلال سنة ١٥٣٨ بقيادة حملة عسكرية تركية الى شواطئ الهند . وبالرغم من الشجاعة التي أبدتها الاسطول التركي ولكن مجهوداته في غزو الهند لم تفلح ففعل راجعاً الى البحر الاحمر . وقد ازداد الصراع بين الاتراك والبرتغاليين من أجل السيادة على الخليج العربي بعد سنة ١٥٥٥ . وفي تلك السنة أعلن أهالي القطيف قبولهم للسيادة التركية التي كانت قد تركزت حديثاً في البصرة . وكانت مقاطعة القطيف تعتبر من ممتلكات شيخ هرمز الذي طلب من الاسطول البرتغالي استعادتها من الاتراك فأسرع البرتغاليون بأرسال ١٩ سفينة تحمل ١٢١٠ من الرجال الى القطيف التي انسحب منها الاتراك متوجهين الى البصرة . وفي البصرة استعد الاتراك للقيام بسلسلة من الغارات السريعة على المراكز البرتغالية في الخليج العربي وقد تمكن بير بك من الابحار في الخليج العربي - بأسطول ضخم واتجه نحو الجنوب حتى وصل الى مسقط واستولى عليها

ورفع العلم التركي على قلعتها البرتغالية • وبالرغم من المجهودات الهائلة التي بذلها الاتراك في مياه الخليج العربي ضد البرتغاليين ولكنهم أصيبوا بنكسات متعاقبة وذلك نتيجة فقدهم لوحدة الاهداف السياسية في الخليج، فقد اضطروا الى تبديل قادة الاساطيل في تلك المياه عدة مرات خلال سنة واحدة فقد توالى قيادة الاسطول التركي في سنة ١٥٥٢ پير بك ثم مراد بك وعلي چلبى (٨) • كما أنه فشل حكمهم في مسقط كان ظاهرة جلية في معارضة الاهالى لهم واعتبروهم محتلين فاتحين لا يقلون طمعا عن البرتغاليين • وفي سنة ١٥٥٥ حاول الاسطول التركي غزو البحرين ولكنه أرجع على أعقابهم نتيجة للتعاون البحري والتحالف بين الرئيس مراد نائب شيخ هرمز والبرتغاليين وافرس •

لقد انضمت البرتغال الى أسبانيا في ١٥٨٠ ولم تسترجع استقلالها الا في سنة ١٦٤٠ ولكن نفوذها في الخليج العربي ظل مستمرا الى سنة ١٦٢٢ • وقد ازدادت مقاومة سكان الخليج للاحتلال البرتغالي وخاصة في هرمز ومكران • وفي هذه الفترة بالذات بدأ الاتصال البريطاني بالخليج العربي • وفي سنة ١٥٨٣ قام أربعة من المغامرين الانكليز وهم رالف (Ralph Fitch) وجون نيوبرى (John Newberie) من التجار ووليم ديدز (William Deeds) وهو تاجر مجوهرات و جيمس ستورى (James Storsy) وهو رسام برحلة من طرابلس في سوريا متوجهين صوب بيره جك ومنحدرين في نهر الفرات الى الفلوجة ببغداد ومن هناك عبروا دجلة الى البصرة فالخليج العربي حيث ألقى القبض عليهم في هرمز واتهموا من قبل البرتغاليين بالتجسس • وقد أرسلوا بعد حين الى عاصمة الهند البرتغالية كوا حيث بقوا في الاسرى مدة من الزمن (٩) •

لا تزال البرتغال الامة الاوربية الوحيدة الممثلة في الخليج العربي في سنة ١٦٠٠ ولا يزال الاسطول البرتغالي سيد الموقف في مياه الخليج

(8) Persian Gulf Gasetter. Secret. Vol. II. Historical. P. 7.

(9) Wilson, A, "The Persian Gulf." 1954. p. 127.

بعد أن رفرف العلم علم البرتغال هناك في ١٥٠٧ • وقد انتشرت القواعد العسكرية البرتغالية في جزيرة هرمز والبحرين وفي قشم ومسقط وربما عمان • كانت عاصمتهم هرمز قاعدة لهم في التجارة بين الشرق والغرب • وقد طرأ ضعف تدريجي على القوى البرتغالية الاستعمارية نتيجة لانضمامها السياسي الى أسبانيا ، كما ظلت السياسة الخارجية البرتغالية في الفترة ١٥٨٠ - ١٦٤٠ تحت سيطرة أسبانيا تصرفها كما تشاء • وفي نفس الوقت الذي كانت فيه البرتغال تعان من شدة الحكم الاسباني كانت هولندا قد تحررت من السيطرة الاسبانية وأخذت توجه اهتمامها الى جزر الهند الشرقية الهولندية في سنة ١٥٩٥ في امستردام وارسلت في تلك السنة سفينتين تجاريتين الى مياه جنوب شرق آسيا •

وقد أخذت انكلترا توجه هي الاخرى اهتمامها بالشرق وخاصة بعد الانتصار الذي أحرزه الاسطول الانكليزي على أسبانيا في معركة الارمادا الشهيرة في سنة ١٥٨٨ ومن ثم تأسيس ما يعرف بشركة الهند الشرقية الانكليزية برأس مال قدره ٦٨٨٧٣ • باون وبعد هذه الفترة أخذت الحكومة الانكليزية ترعى بصورة رسمية وتساهم في الاحتكارات الاقتصادية في آسيا وتعتمد على الشركات في وضع الحجر الاساسي لاستعمارها الطويل الامد في الشرق الاوسط وجنوب آسيا وجنوب الشرق •

ترجع الاصول الاولى للعلاقات البريطانية مع فارس والخليج العربي الى مجهودات شخصية قام بها بعض المغامرين الانكليز وعلى رأسهم السير انطوني شيرلي (١٠) (Sir. Anthony Shirley) الذي قام برحلة غير رسمية الى بلاط الشاه الفارسي عباس الاول وكان هدفه الرئيسي هو محاولة اقناعه بفكرة التحالف مع الانكليز ضد التوسعات التركية والعمل على تأسيس

---

(10) Sherley, A "True Report of sir Anthony Sherley Journey Overland to Venice, from thence by sea to Antioch, Aleppo, and so to casbina in persia" 1600.



التجارة الانكليزية على قواعد قوية في الشرق الاوسط . وكانت أساليب هذا المبعوث الانكليزي قد جذبت قلب عباس الاول الذي لم يكف بطرد السفير التركي الذي بعثه حكومة الاستانة للعمل على خلق جو من الثقة بين تركيا وفارس بل أعلن بصورة رسمية بأن أبواب فارس مفتوحة للتجار الاوربيين . وكان الاعلان الشاهي الاخير الذي منح هؤلاء التجار امتيازات واسعة ، قد وضع الاساس لفكرة الامتيازات الاجنبية التي ذهبت ايران ضحية رخيصة لها في خلال لقرون الاربعة القادمة . ومن المعروف أن الحكومة الانكليزية لم تطمئن الى اخلاص السير انطوني شيرلي الذي طالما اشتغل لمصالح عباس لاول الشخصية وأتاب عنه في مفاوضات سرية مع حكام روسيا كما وقع بالنيابة عنه معاهدات تجارية مع ألمانيا وأسبانيا وإيطاليا . وقبل وفاة السير أنطوني في ١٦٣٠ كان عباس الاول قد استعمل أخاه روبرت ، الذي كان قد ترك في طهران رهينة عند الشاه ، لنفس الاغراض الدبلوماسية السابقة وكانت رسالة روبرت بصورة مختصرة تهدف الى العمل على توطيد العلاقات بين فارس والدول الاوربية من جهة وازعاف موقف الاتراك في العلاقات الدولية من جهة أخرى . وبعد أن قام روبرت بزيارة كل من بولندا وألمانيا في ١٦٠٩ وإيطاليا في ١٦١٠ اتجه نحو مدريد حيث وضع بين يد المسؤولين الاسبان فكرة جديدة في العلاقات التجارية مع الشرق ملخصها أن تتعاون اسبانيا مع فارس في نقل طرق مواصلات الحرير الفارسي من تركيا الاسيوية الى هرمز في الخليج العربي . وفي ١٦١١ وصل روبرت شيدلي انكلترا وقابل الملك جيمس في بلاطه « هامتون » وعرض عليه رسائل الشاه الفارسي التي أشارت الى اهمية فتح العلاقات التجارية بين فارس وانكلترا ، وقد خابت محاولات روبرت في انكلترا وذلك لعدم موافقة تجار شركة الهند الشرقية عن مشروعاته خشية اغصاب الاتراك الذين كانوا مهيمنين على التجارة الشرقية عبر وادي الرافدين وسهل الجزيرة وهو أقصر طريق الى اوربا . وقد قاوم



الرأسمالى المعروف السير توماس راو<sup>(١١)</sup> (Sir. Thomas Roe) مشاريع روبرت شيرلى ولم يتوان بان يصفه بالخيانة والعمل لحساب الجاسوسية الفارسية •

والواقع ان نجاح حركة الاستعمار البريطانى فى الشرق الاوسط والخليج العربى يرجع بالدرجة الاولى الى وضوح اهداف الحركة الاستعمارية من جهة والى التعاون الذى ساد بين الرأسماليين الانكليز والعمل على تحقيقه اهداف الشركات الاحتكارية عن طريق الدبلوماسية والرشوة والابتعاد قدر الامكان عن المغامرات الشخصية • كما ان الشركات الانكليزية التى اهتمت بتجارة فارس وخليج العرب اخذت تنظر الى الهند بعين استعمارية صرفة وكان الانكليز يعملون لاجل القضاء على امبراطورية المغول هناك • وقد ارسلت شركة الهند الشرقية اثنى عشر قافلة تجارية الى الهند فى الفترة ١٦٠٠ - ١٦١٢ ، وقد قدم الامبراطور الهندى أكبر امتيازات واسعة الى التجار الانكليز واعقب ذلك تأسيس مصنع انكليزى للحرير فى مدينة سورات فى ١٦١٣ • وكان توماس الدورث (Thomas Aldworth) أول كيل لشركة الهند الشرقية الانكليزية<sup>(١٢)</sup> فى الخليج العربى • ويرجع اليه الفضل فى توسيع التجارة الانكليزية فى كل من ايران والبحرين وقد حصل على فرمان من الشاه الفارسى فى ١٦١٦ بشأن حرية التجارة الانكليزية فى الامبراطورية الفارسية • وقد بدأت الدوائر الاستعمارية فى شركة الهند الشرقية فى لندن تعمل على زج الحكومة الانكليزية فى الحركة الاستعمارية فى الهند وطلبت من الاخيرة ارسال ممثل رسمى الى بلاط امبراطور المغول واقترحت ان يكون السير توماس راو هذا الممثل • ومن المعروف ان الاخير كان احد كبار

---

(11) Roe, T. "The Embassy of Sir Thomas Roe ..... as Narrated in his Journal and Correspondence. Hak. Soc. 1899.

(12) Bruc, J. "Annals of the Honorable East-India Company. 3 Vals. 1810.

الرأسماليين الانكليز الذين ساهموا في تأسيس الشركة المذكورة .

وقد اخذ النفوذ البرتغالي في الخليج العربي يضعف تدريجيا بعد ١٦٠٢ وقد خسروا مواقعهم على الساحل الفارسي وفي ١٦١٢ و ١٦١٥ انهزم اسطولهم الضخم أمام الانكليز في معارك سورات الشهيرة وفي نفس الوقت شعر الامبراطور الهندي بضعف مركزهم الدولي . وقد ترك الاسطول البرتغالي جزر البحرين في ١٦٠٢ الى الشاه الفارسي وفي ١٦٠٨ غارت القوات الفارسية على المستعمرات البرتغالية في هرمز . وقد أستمروا الحكم البرتغالي في ميناء بندر عباس ( التي كانت على الدوام تحت تهديدات شيخ قبائل اللار الفارسية ) حتى ١٦١٥ عندما طردوا من قبل الفرس الذين حاصروا الميناء عدة اشهر . وقد انتقل النشاط البرتغالي الى ساحل عمان حيث قام الاسطول البرتغالي بمساعدة بعض القبائل العربية المتحالفة بالاستيلاء على ميناء صحار ( أهم موانئ سهل الباطني العماني ) وكان هدفهم القضاء على الاهمية التجارية لذلك الميناء الذي أخذ ينافس مسقط وهرمز باهميته الاقتصادية وقد سلم الشيخ محمد حاكم ميناء صحار للمغيرين الذين فتكوا بأفراد الحامية خلافا لشروط الصلح .

وبينما كانت الحرب مستمرة بين الفرس والبرتغاليين في الخليج استمرت العلاقات الدبلوماسية بين بلاط مدريد وبلاط اصفهان . وقد استقبلت السلطات البرتغالية في گوا في ١٦١٣ السفير الايراني دانش بك ( لدى بلاط ملك اسبانيا والبرتغال ) ورجع الى فارس بمثل ما استقبل به من حفاوة وأكرام . ولكن الظاهر من الوثائق ان الشاه لم يكن على وفاق مع السفير الذي اتهم بفشل مهمته الدبلوماسية ، وقد قتل في يوم وصوله طهران<sup>(١٣)</sup> . وقد اتهم السفير دانش بك بانه شجع سفر المبشرين الاسبان الى فارس وقد رافقه الى الشرق فعلا احد الاساقفة الكاثوليك الذي بعد ان مكث مدة قصيرة في صفهان ورأى صعوبة تحويل انظار الفرس

(13) Purchas. His Pilgrimes. In Five Books. 1625. Also Glasgow, 20 Vols, 1905. 7. Vol. II. p. 1730.

الى المسيحية عاد فأستقر في هرمز • وقد فتحت بعد ذلك مفاوضات بين  
مدير و اصفهان بشأن منح امتيازات صناعة الحرير للتجار الاسبان • وقد  
نصح الشاه عباس البلاط الاسباني بعدم ارسال رجال الكنيسة كمبعوثين  
دبلوماسيين لانه كان يشك في نواياهم السياسية ورفض التفاوض مع رجال  
السياسة والدبلوماسية وبينما كان الشاه مشغولا بالقضاء على الاسطول  
البرتغالي في هرمز والخليج العربي كان السفير الاسباني الجديد دون  
كارسيا دى سيلفا فيكوريا Don Garcia de Silua Figueroa في طريقه  
من مدريد الى اصفهان •

وقد عمل الشاه عباس على اسرجاع الممتلكات الايرانية من سيطرة  
الأتراك الذين كانوا يحتلون تفليس وتبريز ونهاوند الى الشرق من  
كرمنشماه • وقد نجحت محاولات الشاه عباس بعد ١٦٠٠ في استعادة  
المقاطعات المفقودة وقد استولى على نهاوند في ١٦٠٢ وعلى تبريز في ١٦٠٣  
وحاصر اربكان وبغداد في ١٦٥٠ • وقد سحب الشاه قواته من بغداد ليدحر  
الأتراك في معركة حاسمة اشترك فيها الرأسمالى الانكليزي المغامر السير  
روبرت شيرلى الى جانب الفرس وذلك ثلاثة جروح بليغة • وكانت السياسة  
البريطانية في فارس والخليج العربي منذ البداية تهدف الى نيل الافضلية في  
الاحتكارات التجارية والمشاريع الاقتصادية على الدول الاوربية الاخرى من  
جهة وعلى الحكم والتجار المحليين من جهة اخرى • وكان السفير البريطاني  
في بلاط اصفهان ، السير توماس راو ، يرمى الى فتح بندر عباس للتجارة  
الايطالية ومنع البرتغاليين والاسبان من الحصول على أى فرمان من الشاه  
يضر بالمصالح التجارية البريطانية ولم يتردد السفير المذكور عن تهديد الشاه  
علنا اذ هو اذعن للمطالب الاسبانية والبرتغالية • وقد عمل السفير الانكليزي  
على تسهيل مهمة الباكسة الانكليزية « جيمس » التى وصلت الى سورات في  
تشرين الثانى ١٦١٥ تحت قيادة وليم كانوك (Willam Cannock)  
الذى أسس أول فرع تجارى انكليزى في مدينة شيراز (١٤) •

(14) Calender of State Papers, 1513-1616, No. 765.

وقد حصل كانوك<sup>(١٥)</sup> وجماعته على فرمان من الشاه فى آب ١٦١٧  
وقد اوصى ذلك الفرمان بوجوب التبادل الدبلوماسى بين انكلترا وفارس  
وتعيين الاخيرة سفيرا لها فى بلاط « هامتون » وتبادل المنافع التجارية  
والحقوق الدولية الملحقة بينها وبين تجار البلدين • وتعهد الشاه بحماية  
القوافل التجارية الانكليزية واعفاء الرعايا الانكليز فى المثل أمام محاكم  
فارسية والسماح لهم باقامة شعائرهم الدينية بحرية وحمل الاسلحة للدفاع  
عن انفسهم • والمعروف ان المفاوضات التجارية والدبلوماسية بين كانوك  
والشاه جرت دون علم السفير الانكليزى فى اصفهان الذى غضب من قيام  
كانوك بقلب نفسه سفيرا للملك الانكليزى واتهمه بتبذير اموال شركة  
الهند الشرقية • وقد شك الشاه من أمر الانكليز الذين انقسموا على انفسهم  
وتقدم الان سفيرهم يطلب فرمانا جديدا واخذ الشاه يعمل على اعادة  
العلاقات العامة مع الدولة البرتغالية وقد أرسل السير روبرت شيرلى فى ١٦١٦  
الى الهند لحل مشكلة احتكار الحرير وقد وصل الاخير الى مدريد فى ١٦٢٢ •  
وفى فارس استغل المثلون الجدد لشركة الهند الشرقية الانكليزية  
المنافع التى حصل عليها كانوك بالرغم من الشقاق الذى ظهر بينهم وخاصة  
بين باركر (Barker) ومونوكس (Monox) • وقد أوصل  
السير توماس راو البعثة الجديدة التفاوض مع الشاه على اعتبار ان كانوك  
كان سفيرا رسميا يمثل البلاط الانكليزى وكان غرضه الحصول على حق  
حرية التجارة فى شيراز • وكان راو يعتقد باهمية التفاهم مع اسبانيا فى  
سبيل سلامة التجارة بينما كان بقية ممثلى شركة الهند الشرقية يعتقدون  
بوجوب مخالفة الشاه لاجل طرد البرتغاليين من الخليج العربى وبذلك تصبح  
جميع تجارة منطقة الخليج بما فى ذلك فارس والعراق احتكارا للشركة  
المذكورة • وقد تمكن من الحصول على امتيازات تجارية فى فترات مختلفة  
وفى ١٦١٨ وافق الشاه على منع تصدير الحرير الى أوروبا عن طريق تركيا

(15) Letters Received By the East India Company. Vol. VI. pp. 273-297.

أو الى اسبانيا والبرتغال وجعل حق الشراء احتكارا لشركة الهند الشرقية وحدها . وفي الوقت الذي استمر فيه الانكليز على فتح محطات تجارية متعددة في جنوب ايران قام الملك جيمس ملك انكلترا في ١٦٢٠ بتقديم طلب الى الشاه لغرض السماح للشركة بفتح وكالات تجارية في جيسك . وقد طرد الفرس البرتغاليين من رأس الخيمة على الساحل العربي ١٦٢٠ وفي نفس السنة دخل الانكليز مدينة جيسك<sup>(١٦)</sup> . وكان الشاه عباس الاول خلال ١٦٢١ على استعداد لطرد البرتغاليين من هرمز التي اعتبرها جزء من الاراضي الايرانية . وقد تقوى عزم الشاه على استرجاع هرمز خاصة بعد الانتصارات العسكرية التي نالها ضد الاتراك في تبريز خلال ١٦١٨ - ١٦١٩ . وقد استطاع الشاه بعد استيلائه على مدينة قندهار من تأمين خطوطه العسكرية في الجهات الشمالية الشرقية والشمالية الغربية . ولاجل السيطرة على هرمز - ذات الموقع الاستراتيجي الممتاز - فقد استعان عباس الاول بشركة الهند الشرقية الانكليزية التي ترددت اول الامر في زج نفسها في معارك بحرية ضد الاسطول البرتغالي . ولكن اصرار مونوكس ، الذي كان يعتبر الممثل الرئيسي لانكلترا في فارس ، على وجوب عدم اعطاء الفرصة لتغلب البرتغاليين جعل الشركة ترضى بوضع اسطولها تحت تصرف حكم فارسستان اذا ما وافق الشاه على الشروط التي تقدمت بها الشركة وهي : (١) تقسيم الغنائم بالتساوي بين الشركة والحكومة الفارسية . (٢) تقسيم أسرى الحرب حسب الاديان فيسلم الاسرى المسيحيون الى الانكليز والاسرى المسلمون الى الفرس . (٣) تسليم القلعة البرتغالية في هرمز - بما فيها من اسلحة وذخائر - الى الانكليز على الشرط ان يسمح للفرس باقامة قلعة خاصة بهم في الجزيرة . (٤) تقسيم مدخولات المكوس في الجزيرة بين الانكليز والفرس بالتساوي . (٥) اعفاء التجارة

---

(16) Saldanah J. A, "Selections From State Papers". Bonbay. 1600-1800. P. S.

الانكليزية في هرمز من الضرائب<sup>(١٧)</sup> . وقد قبل حاكم فارسستان امام كولى خان عن هذه الشروط مع تعديل بسيط تقدم به الشاه وهو ان يسلم الضباط البرتغاليين في هرمز وقسم الى الفرس وان تبقى قلعة هرمز تحت الاحتلال الانكليزى والفارسى .

وفى هذه الفترة كانت الاساطيل البرتغالية فى الخليج العربى تحت قيادة روم دى اندريادى Rom Ruy Freire de Andrade الذى كان قد انشأ قلعة قوية فى قسم والذى كان قد أوقع خسائر فادحة بالاسطول الفارسى قبل التحالف الانكليزى - الفارسى الاخير . وفى ٢٢ كانون الثانى ١٦٢٢ سلم الاميرال البرتغالى للاسطول الانكليزى الذى حاصر هرمز وسلمه الانكليز بدوره الى الجانب الفارسى حسب مضمون الاتفاقية الاخيرة . وقد انزلت السلطات الفارسية قطعات ارضية الى هرمز فى بداية شهر شباط . وقد اعترض البلاط الاسبانى على الاعمال العسكرية التى قام بها اسطول شركة الهند الشرقية فى الخليج العربى وما قام به من اعمال ضد هرمز والاسطول البرتغالى مما اعتبر مخالفا للعرف الدولى فى وقت تتصف به العلاقات الانكليزية - الاسبانية - فى القارة الاوربية بالوفاق التام والصداقة المتبادلة . أما شركة الهند الشرقية فقد قدمت رشوة الى الملك جيمس مقدراها ١٠٠٠٠٠ باون ومثلها الى الدوق بكنكهام (Duke of Buckingham) قائد البحرية الانكليزية . واذا علمنا ان حصة الشركة من الغنائم البرتغالية كانت لا تزيد على ٢٥٠٠٠٠ باون علمنا مدى الاهمية الآتية من تلك المغامرة . والواقع ان الاهمية الحقيقية من وراء الاستيلاء على هرمز ترجع الى وقوعها على طرق التجارة المهمة واعتبارها قاعدة استراتيجية لاسطول الشركة . ويمكن اعتبار أهم نتائج اشتراك اسطول الشركة فى العمليات البحرية ضد البرتغاليين هى قناعة الشاه باهمية التحالف الانكليزى - الفارسى واطلاقه ايديهم فى الامور التجارية وتأكيده على امتيازات ١٦١٧ التى أعطيت الى كانوك مندوب الشركة .

(17) Letters Received by the East India Company. Vol. vi. p. 293.

وقد أستقر الكثيرة البرتغاليين الذين انسحبوا من هرمز في ميناء مسقط وكان معهم نجل شيخ الجزيرة العربي الذين كان يطمع في استعادة مركز أبيه في الجزيرة • وقد حاول الفرس ، بعد انتصاراتهم في هرمز ، الاستيلاء على مسقط ولكن بدون عون الانكليز - وقد فشل الفرس في هذه المحاولة ولكنهم نجحوا في الاستيلاء على ميناء صحار وخور فكان على ساحل عمان • وقد انسحب الفرس من المركزين الاخيرين نتيجة لهجوم خاطف قام به البرتغاليون برا وبحرا تحت قيادة الاميرال دي انداردى الذى فر من معتقله في فارس بواسطة الانكليز • وقد ظلت عمليات الاسطول البرتغالى ضد الساحل الفارسى مستمرة من ١٦٢٢ الى ١٦٢٥ حيث هزموا قرب ميناء بندر عباس من قبل اسطول انكليزى وآخر هولندى • وقد بقى الاميرال البرتغالى المهزوم على الساحل العربى وهناك قابله الرحالة الايطالى الشهير بيترو ديلا فالاي (Pietro della Valle) وفي نفس الوقت أقام الفرس تحصينات عسكرية في بندر عباس وقسم وهرمز •

وقد اخذ مركز الهولنديين يتقوى في الخليج العربى وانهزوا فرصة سقوط هرمز لتأسيس مركز تجارى لهم في بندر عباس • وقد تحالفوا في البداية مع الانكليز لاجل قهر الاسطول البرتغالى ولكنهم سرعانما دخلوا في صراع دام مع اسطول شركة الهند الشرقية الانكليزية حول الامتيازات والاحتكارات التجارية في تلك البقاع • وقد رفض الهولنديون دفع أى ضريبة في بندر عباس (وترجع الضرائب في هذا الميناء الى الانكليز والفرس معا ) كما وضعوا خطة بحرية للاستيلاء على هرمز •

وأما الشاه عباس فكان لا يزال يتقدم على حساب الاتراك وقد تمكنت الجيوش الفارسية خلال ١٦٣٨ من السيطرة على العراق والاستيلاء على بغداد ( التى ظلت بأيديهم الى سنة ١٦٣٣ ) كما استولوا على الاماكن

(18) The Travels of. Sig. Pietro della Valle Into East India and Arabia Deserta. 1665.



الاسلامية المقدسة فى الكاظمية وكربلاء والنجف • وقد فشل الفرس فى الاستيلاء على البصرة التى دافع عنها بقوة حاكمها العثمانى بالتعاون مع الاسطول البرتغالى •

ان الخلافات التى وقعت فى لندن بين مندوب الشاه هناك ، السير روبرت سيرلى ، وبين السفير الفارسى الجديد ، نجدى على خان ، الذى عينه الشاه نفسه جعل الملك شارل الاول يرسل ، بتأثير من الشركة ، السير دود مور كوتون (Sir Dodmore Cotton) لاختذ وجهة نظر الشاه فى هذا النزاع الدبلوماسى من جهة ودراسة امكانية توسيع العلاقات التجارية بين فارس وانكلترا •

وقد حمل الاسطول الانكليزى الذى غادر المياه الانكليزية فى سنة ١٦٢٧ السفير الجديد وحاشيته ومؤرخ البعثة السير توماس هربرت (19) (Sir. Thomas Herbert) والسفيرين السير روبرت سيرلى ونجدى على خان وقد انتحر الاخير قبل وصول البعثة الى ساحل الهند بابتلاعه كمية من الحشيش • وقد سارت البعثة الى بندر عباس ومن هنالك عن طريق لورستان الى شيراز وقد استقبلهم هناك ممثل البعثة المستر برت (Mr. Burt) ، ثم توجهوا بعدها الى بلاط الشاه فى اشرف من اعمال مازندران • وبعد اربعة اشهر من وصول البعثة الانكليزية الى مازندران قابل السير كوتون الشاه الفارسى وشرح له ان الهدف من الرحلة هو تقديم التهانى الى الشاه بمناسبة انتصاراته على اعداءه الاتراك وكذلك لغرض تقوية الصلات الاقتصادية بين انكلترا وفارس • وقد رحب الشاه بمقدم السير كوتون وأكد له انه يوافق تماما على سياسة السير روبرت سيرلى كما أكد له عزم حكومة الشاه على تقديم امتيازات جديدة لتجارة الحرير الانكليزية فى بندر عباس • وقد اعترى علاقات السفير الجديد برود ملحوظ مع القصر الشاهى نتيجة لسوء الظن الذى وقع بين السير روبرت سيرلى

(19) A Relation of some Years of Travaile, Begunne Anno 1626 Into Africa and the Greater Asia.



وبين محمد علي ، احد المقرين الى الشاه ، مما ادى الى عدم حصول السفير الانكليزي كوتون على مقابلة أخرى مع الشاه . وقد توفي السير روبرت سيرلي فجأة في ١٣ تموز وتبعه السير دود مور كوتون بعد عشرة أيام .

وقد استمر الشاه عباس الاول في حكمه حتى بداية سنة ١٦٢٩ حيث توفي وخلفه على العرش حفيده صوفي خان . وقد ضعفت السياسة الخارجية الفارسية في عهد الاخير كما ساءت الاحوال الادارية . وكان من جملة ضحايا صوفي خان هو الامام كولي خان حاكم شيراز الذي كان قد استولى على هرمز بمساعدة الانكليز . وقد ساءت العلاقات الايرانية - الافغانية واستولى امبراطور المغول على قندهار وفي ١٦٣٩ منع تجار المغول من المتاجرة في فارس وخاصة في بندر عباس . وقد استعاد الاتراك بغداد في ١٦٣٨ واصبحت اكثر المدن العراقية بايديهم بما في ذلك المدن المقدسة التي كانت في قبضة الفرس من ١٦٢٣ كما اضطر الفرس لقبول معاهدة ١٦٣٩ التي وضعت القواعد الاساسية للحدود بين الامبراطورين العثمانية والفارسية . وقد تولى عباس الاول الحكم بعد والده شاه صفى في ١٦٤١ وفي زمانه استمرت فترة السلم قائمة بين فارس والامبراطورية العثمانية وقد امتازت الفترة ١٦٤٨ - ١٦٥٠ بالحروب المتواصلة مع امبراطور المغول الذي ارغم على ترك قندهار .

ان اخبار وفاة الشاه عباس ، التي كانت قد وصلت الى لندن ، قد ايقظت شركة الهند الشرقية الى ضرورة تجديد الامتيازات التجارية مع خليفته . وقد حصلت الشركة على تجديد فرمان عباس الاول لسنة ١٦١٧ في آب ١٦٢٩<sup>(٢٠)</sup> بعد صعوبات كثيرة وبعد ان تعهد وكلاء الشركة في فارس بشراء ما قيمته ٢٠.٠٠٠ الف تومان من حرير الشاه سنويا يدفع ثلث المبلغ نقدا واذا بقي الشاه على عهده يستمر الاتفاق بينه وبين الشركة التي كانت على استعداد لدفع هدايا شخصية للشاه وحاشيته لا تقل قيمتها عن ١٥٠٠ باون

(٢٠) لنص فرمان الكامل باللغتين الفارسية والانكليزية راجع :  
Letters Received by the East India Company, Vol VI, p. 293.

فى السنة • والمعروف ان معظم الامتيازات التجارية للشركة قد جددت بعد اعتلاء الشاه عباس الثانى العرش ولكن العروض الجديدة التى تقدم بها الانكليز فى ١٦٤٤ رفضت من قبل القصر وذلك لتوقف الشركة عن شراء الحرير بنفس المقادير التى حددها فرمان ١٦٢٩ • ومن الطريف ان تذكر بان اسباب السياسة الجديدة تعود الى التأثيرات البيورتانية الجديدة فى انكلترا • وقد انخفضت الاسهم البريطانية فى بندر عباس وقلت حصتهم من الضرائب الى حد كبير وذلك لخمود تجارة بندر عباس فى هذه الفترة من ناحية ولتأثر التجارة والضرائب بالتقاليد التى كان من الصعب على الانكليز فهم العلاقة بين بعضها البعض • وقد رفض التجار دفع اى ضريبة على البضائع التى يقدمها اصحابها هدايا الى الشاه ورجال قصره وحدث ان زار سفير المغول الشاه الفارسى فى ١٦٢٦ بدعوة رسمية وعند نزوله من السفن الانكليزية فى ميناء بندر عباس رفض دفع الضرائب عن البضائع التى كانت معه بحجة أنها هدية من امبراطور المغول الى الشاه • وبلغت حصة الشركة من مدخولات ميناء بندر عباس فى الفترة ١٦٣٠ - ١٦٣١ مبلغ ٥٥٠ تومان وقلت فى ١٦٣٢ - ١٦٣٣ الى ٢٤٢ تومان وفى ١٦٣٣ - ١٦٣٤ اصبح ٣٤١ تومان فقط<sup>(٢١)</sup> • ان قلة مدخولات بندر عباس كانت تعود كذلك الى اعمال المسؤولين الفرس والانكليز على السواء لقضايا تنظيم الضرائب وتحويل اموال دائرة الكمارك والمكوس الى جيوبهم الخاصة ومن امثال هؤلاء الكاتبين ويدل (Captain Weddle) احد كبار رجال شركة الهند الشرقية ، الذى اتهم فى ١٦٣٣ بالرشوة والفساد •

اما تقارير الشركة الانكليزية فهى تضع اللوم على الفرس لسماحهم لجماعة اخرى وهم الهولنديين بحرية التجارة فى المياه الفارسية وتؤكد هذه التقارير ان دخلها من ميناء بندر عباس يجب ان لا يقل عن ٥٠٠٠ تومان سنويا (أى ١٥٠٠٠ باون انكليزى) • وفى تقرير سرى رفعه مبعوث دوق

---

(٢١) كان التومان الفارسى يعادل مبلغ ٣ باونات انكليزية فى قونه الشرائية فى ١٦٢٥ وارتفعت قيمته فى ١٦٧٧ فأصبح يعادل ٣ ٢/ باون •

هولشتاين الى الشاه أثناء مروره بميناء بندر عباس في ١٦٣٨ ، بان الشركة تتناول عشر حصتها الفعلية .

وهناك نقطة اخرى أود ان اتطرق اليها في هذا المقال وهي استمرار الخطر العسكري البرتغالي للانكليز في الخليج العربي بالرغم من انهيار مركزهم الدولي في الشرق . وقد حددت التعليمات الرسمية الى الكابتن سوانلي (Swanley) الذي كان يقود خمس سفن كبيرة من اسطول الشركة في مياه الخليج العربي في الفترة ١٦٢٨ - ١٦٢٩ والذي كانت سسميته الخاصة تقل مبعوث امبراطور المغول الى بلاط الشاه ، بموجب تعقب قطع الاسطول البرتغالي واغراقها اينما يجدها . وقد حاول نائب الملك البرتغالي في ١٦٣٠ ، الذي كان قد استلم نجدات عسكرية من أوروبا ، منع وصول الاسطول البريطاني الى سورات ولكن المحاولة الاخيرة فشلت بالرغم من اشتراك القوات البرية البرتغالية في المعارك على سواحل كرمان الجنوبية . وقد وصلت نائب الملك في گوا تعليمات من ملك اسبانيا يطلب منه فيها ارسال مبعوث خاص الى شيراز للتفاوض مع حاكم فارسستان . وقد نجح المبعوث عن طريق الرشوة ، الى جذب الحاكم الفارسي لقبول وجهة النظر البرتغالية في قضايا الخليج العربي والتي تتركز في حصول البرتغاليين على امتيازات جديدة في مدينة كونيج . وقد فشلت المحاولة البرتغالية الاخيرة وذلك ليقظة شركة الهند الشرقية وحذرهما من مؤامرات المنافسات الدولية الاخرى . وقد نجحت الشركة في اقناع الشاه مباشرة باهمية ارسال نجدة عسكرية قوامها ٢٠٠ جندي لحماية المصالح التجارية الانكليزية في بندر عباس من الغارات البرتغالية . وهكذا يأس البرتغاليون من صداقة شاه فارس ووجهوا انظارهم الى تدبير خطة جديدة في ١٦٣١ ترمي الى الاستيلاء على هرمز بالقوة العسكرية . ولكن الخطة العسكرية الاخيرة فشلت وذلك لعدم مقدور الاسطول البرتغالي على التمرکز في رأس الخيمة على الساحل العربي من جهة وعدم قدرتهم على جذب الشيوخ العرب الى حلف عسكري (٢٢) .

وكان الفرس يدرسون فى الفترة ١٦٣٢ - ١٦٣٣ امكانية المبادرة بالهجوم على المراكز البرتغالية الاستراتيجية فى مسقط للحصول على معاونة الاسطول الانكليزى واذا ما فشل فى هذه المهمة فانه سيتوجه الى جهة اوروبية اخرى وهى هولندا . ولكن الخطة الفارسية الاخيرة لم تظهر الى حيز الوجود وذلك للمنافسات القائمة حينئذ بين حاكم شيراز وحاكم مقاطعة فارسستان حول السلطة فى الولايات الجنوبية الغربية . وقد استمر حكم البرتغاليين فى مسقط وقد قاموا فى ١٦٣٤ باعادة ترميم قلاعهم فيها . وقد ذكر مبعوث دوق هولشتاين ، الذى زار ميناء بندر عباس فى ١٦٣٨ ، بان اللغة البرتغالية هى اللغة الدارجة بين سكان بندر عباس ولكنه ذكر كذلك بان السلطات الفارسية منعت الاسبان والبرتغاليين من دخول المدينة وذلك لما كان يحدث عادة من اشتباكات مسلحة مع الاهالى المتعصين للاسلام .

ان الشؤون المحلية للخليج العربى والعلاقات الدولية كانت تتأثر على الدوام بالعلاقات الاوربية على القارة الاوربية نفسها . فان تحسن العلاقات الاسبانية - الانكليزية فى ١٦٣٤ ادى الى تحسين العلاقات فى الخليج العربى والمحيط الهندى بين المنافسة الانكليزية الممثلة بشركة الهند الشرقية والمنافسة العسكرية لنائب الملك فى گوا . وقد وقع نائب الملك البرتغالى والمعتمد البريطانى فى ميناء سورات على هدنة عسكرية فى مايس ١٦٣٤ وبذلك توقفت المصادمات المسلحة بين الطرفين فى تلك البقاع . وفى السنة التالية اصدرت شركة الهند الشرقية تعليماتها الى وكلاءها فى الخليج العربى وخاصة فى بندر عباس وجنوب فارس بوجوب اتخاذ موقف الحياد فى أى نزاع يحدث بين الفرس والبرتغاليين . وقد تحولت هذه الهدنة العسكرية الى معاهدة صداقة وقعها الطرفان فى ٢٠ كانون الثانى ١٦٣٦ فى العاصمة الهندية گوا<sup>(٢٣)</sup> . والواقع ان البرتغال استعادت قوتها الاوربية فى ١٦٤٠ على اثر انفصالها عن اسبانيا ، بعد حكم دام ستين عاما ، ونتيجة للجهود التى

(23) Miles, Col. S.B. "the Portuguese In Eastern Arabia" 1885. P. 50.

بذلها أمير براكانزا في سبيل الاستقلال • ولكن هذا التغير لم يجدد حيوته  
في العلاقات الدولية ولم يرجع مركزها القوى في الشرق • وظلت مسقط  
تعتبر القاعدة الرئيسية للبرتغاليين في مياه خليج عمان •

وقد توجهت انظار البرتغاليين ، بعد ضياع هرمز ، الى مدينة البصرة  
في العراق فاتخذوها مركزا لنشاطهم التجاري ونشاطهم في ميدان التبشير •  
وقد أسس البرتغاليون محطة تجارية في البصرة ومركزا دينيا فيها ودخلوا  
في منافسة جدية مع التجارة الانكليزية • وقد ساعدوا الاتراك في ١٦٣٤  
و ١٦٣٥ اثناء الدفاع عن البصرة والممتلكات العثمانية الاخرى أمام غارات  
الفرس ووضعوا خمس سفن صغيرة في مياه شط العرب لهذا الغرض •  
ان تغير وجهة نظر الاطماع البرتغالية من الفرس الى الاتراك وتغير تيار  
تجارتهم في الخليج العربي من فارس الى الامبراطورية العثمانية كان قد  
فسّر من وجهة نظر الشاه الفارسي بأنه عمل عدائي ، وكان هذا من الاسباب  
التي دفعت الفرس الى تجديد هجماتهم العسكرية ضد البصرة •

ان تبعث الجهود العسكرية البرتغالية في الخليج وفشلهم الدبلوماسي  
مع الدول المحلية في الشرق الاوسط اضعف مركزهم الرئيسي في مسقط  
ففي ١٦٤٠ كانت انباء الانتكاسات العسكرية البرتغالية في المحيط الهندي  
والخليج العربي قد تسربت الى عمان ومسقط واخذ السكان العرب يشكون  
في قوة القلاع البرتغالية التي تطل من جبال مسقط • وكان امام عمان هو  
اول من شعر بالضعف العسكري البرتغالي • وقد هاجم العرب في تشرين  
الاول ١٦٤٣ ميناء صحار وقتلوا جميع الحامية البرتغالية هناك وأسروا ٣٧  
من الحرب البرتغالي • وحاصر العرب مدينة مسقط في ١٦٤٨ واجبروا  
الحاكم البرتغالي العام على قبول شروطا مهينة لهيبة البرتغاليين ومركزهم العام  
في الخليج العربي ومنها دفع الجزية وتسليم مدن خرباط ودبار الى العرب •  
وتنتيجة للانهياء البرتغالي ارسل ملك البرتغال في ١٦٤٩ تعليمات مشددة الى  
الاسطول البرتغالي في المحط الهندي والخليج العربي بوجوب الدفاع عن  
مسقط بكل القوات المتوفرة وعدم تسليمها مهما كان الثمن وطالب باخراج

شيوخ مسقط من داخل المدينة واتخاذها مدينة عسكرية كما طالب بالعمل على بناء بحرى يكون قاعدة للأسطول البرتغالى فى بقعة تقع الى الجنوب من ميناء بندر عباس • ولكن هذه التعليمات وصلت متأخرة فقد زادت هجمات العرب على مسقط فى نهاية ١٦٤٩ وفى كانون الثانى ١٦٥٠ سلمت قلعة مسقط بكامل حيوشها واسلحتها وغادرت جيوش الاحتلال البرتغالية مياه مسقط الى الابد •

على أثر زوال الحكم البرتغالى فى مسقط وعمان اخذ البرتغاليون يفتشون لهم عن مراكز جديدة فى الخليج العربى وكانوا ينظرون بصورة خاصة الى ساحل اللار الفارسى ( مقاطعات موانىء لكه وباساك الحالية ) وساحل الاحساء • وبالرغم من العروض التى تقدم بها الشاه وخاصة بالنسبة الى جزيرة هنجام ولكن البرتغاليين كانوا يفضلون الساحل العربى وخاصة ميناء خصب ( الذى اطلق عليه البرتغاليون اسم كاسابو Cassapo ) • وقد بقى مركز التجارة البرتغالى فى كونج نشطا ولكنه اضمحل تدريجيا بعد ان توقفت السفن التجارية من الذهاب اليه بعد ان كثرت الاعتداءات البرتغالية المسلحة على السفن التى لا تتاجر مع كونج فاعلنت الوكالات التجارية مقاطعتها الاقتصادية لهذا المركز التجارى البرتغالى الوحيد •

وهكذا اخذ النفوذ البرتغالى ينكمش تدريجيا واخذت الممتلكات البرتغالية تضعف الواحدة بعد الاخرى وضاع المركز التجارى والاستراتيجى الممتاز الذى كانت البرتغال تملكه فى الخليج العربى ، أهم طريق دولى بين أوروبا والشرق • واما العلم البرتغالى ، الذى ظل يرفرف على مياه الخليج قرابة قرن ونصف قرن والذى كان رمز القوة والتجارة فقد اختفى وأصبح سكان الخليج يرون أعلاما جديدة تخفق على ساريات الاساطيل ••• من هولندية وانكليزية وفرنسية •

ويمكننا أن نلخص أسباب سقوط البرتغاليين فى الخليج العربى الى هذه العوامل :

(١) استعمالهم العنف والخيانة فى معاملة جيرانهم الشرقيين •

- (٢) انقسامهم الفضيع من أجل السلطة فى الخليج و التنافس المسلح المستمر بين قادة الاسطول البرتغالى •
- (٣) عدم تقليدهم الانكليز والفرنسيين فى تأسيس شركات تجارية خاصة تتولى ادارة السياسة والتجارة فى تلك الاصقاع مباشرة وعدم كفاءتهم فى ادارة التجارة التى اعتبروها احتكارا للملك البرتغالى •
- (٤) فقدانهم النظام العسكرى وهذا ظاهر فى القواعد العسكرية والبحرية المهمة •

وقد وصف الرحالة الايطالى الشهير پياترو ديلا فلای (Pietro della Valle) الوضع الاجتماعى للقوات البرتغالية فى الخليج العربى ( فى الفترة ١٦٢٤ - ١٦٢٥ ) بأنه يمتاز بالفوضى وهذا ينطبق على رجال الاسطول الذى امتازوا بالتوحش وفقدان الفضيلة الدينية الكاثوليكية • وقد وصف هذا الوضع الاجتماعى وأثره على السياسة العامة مؤرخ برتغالى معاصر ذائع الصيت وهو عمانويل دى فارای (Manuel de Fariay Sousa) ما ترجمه أحد المؤرخين بالانكليزية نصا (٢٤):

“The Ruin of our affairs Proceeds from the little regard the Great Ones Have for the Lesser sort; and the covetousness of the Small ones, which Made them Forget their country and their Honour ..... The Portuguess can recover what is lost, But Know not How to preserve what they gain which the Most glorious part it Bing the work of fortune to Gain and that of prudence to preserve”

(24) See “Portuguess Asia” Vol. III, pages 383-3 (Stevens’ Translotion of Hanuel de fariay Soussa”



## مصادر البحث الرئيسية

- (1) W.N. Foster, "Letters Received by the East India Company from thir Servants in the East,,. 6 volumes, 1896-1902. Covering the Period 1602-1617.
- (2) Calender of state Paprs, for 1513-1616, 1617. 1624 al 1625-1660, 4 Volumes; clo. East India and persia, for 1630-34, vol I.
- (3) Bruces Annals of the Honourable East India Company, 3 volumes, 1810 Covering the period 1600-1708.
- (4) J. A. Saldanah, "Selections From state papers, Bombay, Regarding the East India Companys' Connection with the persian Gulf, with summary of events 1600-1800. printed 1905.
- (5) Lieut-Col, R. Low, "The History of the Indian Navy". 1874. 2 Volumes.
- (6) W. N. Foster, "Embassy of sir Thomas Roe" for the Period 1615-1619.
- (7) W. N. Foster, "Purchase His Pilgrimes". Volume - X. reprint of 1905) which Contains A Summary of the Situation in the Gulf of Arabia 1621-1622.
- (8) Herbert , "Some xears of Travels Relating to Sir D. cotton; Embassy to persia in. 1627-28.
- (9) Fryers' "New Account of East India and Persia, 1698, Reffering to the years 1677-78.
- (10) Hamiltons' "New Account of the east Indies, Based on a personal Experiences" Between 1688-1723. (1739).
- (11) Travels of Pedro Eeixeira, English Translations. 1902. Reffering to the year 1904.
- (12) Travels of Sig. Pietro della Valla, Englich Traslation. 1665. For the years 1623-25.
- (13) Taverniers' Travels, English Traslations of 1684, Relating to 1625-1650.
- (14) Manuel de Fariay Sousas' portuguese Asia, English Translation by stevens, 1695.
- (15) Col. S. B. Miles "The Portuguese In Eastern Arabia, Contained In the Gulf of persia Residency Administration Report For 1884. 1885", 1886.
- (16) Malcolms' "History of Persia." 1815. Vol. I.
- (17) J. G. Lorimer "Gazetter of the persian Gulf" Secret. 4. Volume. Bomby 1908.



## « داود باشا »

### ونهاية دولة المماليك في العراق

١٨١٧ - ١٨٣١

١٢٣٢ - ١٢٤٦

الدكتور يوسف عز الدين  
المدرس في قسم اللغة العربية

طالت غيبة الطفل المترف المدلل عن اهله « وطال هلع امه ونحيبها  
ولكن اين داود ؟ الكرجى الجميل ..... الصبح المشرق وهو الذى  
لم يتجاوز من العمر الثانية عشرة ؟! كان بين يدي سارقيه يحاول  
التخلص بكل ما اوتى من قوة الطفولة وعرامها ..... يدفعه الهلع .....  
ويحرقه الحنين الى اهله واسرته والخوف من المجهول .... فهو لا يعرف ما  
يريدونه من سرقته له ، والى اين سيقر قراره .<sup>(١)</sup>

ولو ان عالم الغيب انكشف له فى تلك الساعة « وعلم انه سيكون واليا  
على العراق بأجمعه ..... لظن ذلك اوهاما .... واعتقد انها خدعة يريدونها  
له السارقون ..... »

اوصلوه الى بغداد اسيرا<sup>(٢)</sup> .... وكانت بغداد بحاجة الى المماليك  
لكى تربهم وتدرّبهم « وتثقفهم وتتفع بهم » وكان الولاة حريصين على  
تكوينهم لانهم سيكونون الصق بهم وسيكون مستقبل الواحد منهم مرتبطا  
بمستقبلهم لذلك سيخلصون لهم ويتقانون فى خدمتهم ورضائهم .

بيع داود فى اسواق العراق وانتقل من يد الى اخرى وقابل مختلف  
الناس والعناصر وفيهم الرفيق اللطيف والخشن الفظ حتى وصل به المطاف

(١) تذكرة الشعراء ص ٥ ، ٢٢ ولونكريك ص ٢٣٩ .

(٢) خلاصة تأريخ العراق - للكرملى ص ٢٠٦ .

الى سليمان باشا الكبير (٣) فاذا بهذا الطفل المسيحي يعيش فى بيئة اسلامية « ويرى الجموع تصوم وتصلى وتؤدى الفرائض » فابتعد عن الكنيسة وعن اجراسها ولم يبعث فى نفسه اصواتها الا ظلالا من الذكريات تغنف احيانا ولكنها اخذت تهفت وتتضاءل اذ لم يذهب اليها ليؤدى القداس ولم يقم بشعائر الصلاة فيها واستبدل بها ، الجامع وصوت المؤذن الذى ينادى الله أكبر ..... وان محمداً رسول الله ..... فعند ذلك اطمأن قلبه الى الاسلام .

عرف داود الحياة وتمرس بافاتها صغيرا « وتعلم ما لم يتعلمه امثاله من الشباب وقد اخذ سيد البلاد يعنى به العناية الطيبة ويوجهه التوجيه الكريم » ولا يدخر وسعا فى تعليمه وتثقيفه . وكانت مرارة البيع والشراء « والتقلب بين أيدي الناس تزيد فى حماسة هذا الفتى الذكى يؤازرها حماسة الشباب والغربة وذلة الاسر<sup>(٤)</sup> فهو رفيق ملك سيده وهو عبد أقل مستوى من الاحرار فيجب ان يرفع من قيمته فى هذا المجتمع الذى انزله الى هذه الدرجات وليبرهن لهم انه اعلى منزلة من غيره من المماليك كان امامه سبيل العلم واضحا موطدا ومنهيج الادب والفضل لاحبا فلم يتزود منه ولا يرتوى من هذا النмир العذب الزلال ؟! فانكب داود بهمة ونشاط على دروسه فدرس اللغة العربية والفقه والاصولين ( الفقه والدين ) كما اجاد القرآن الكريم اجادة تامة وحفظ من آياته البينات ثم ألم بالتصوف ودرس البيان والبديع وعلم التفسير وكل العلوم التى كانت تدرس آنذاك للطلاب<sup>(٥)</sup> .

فكان الطالب المبرز واصبح العلم الذى يشار اليه بالبنان . ثم اجاد اللغتين الفارسية والتركية فقد كان ادبيا باللغات الثلاث . كان داود يدرج فى مراقى العلم بين اخوانه يدربه مدرب خصص له سيده على استعمال السيف « فكان الفارس البطل » .

(٣) لونكريك « تذكرة الشعراء » مطالع السعود ومختصره .

(٤) خلاصة تأريخ العراق ص ٢٠٦ وتذكرة الشعراء .

(٥) مطالع السعود ومختصره ولغة العرب ٢/١٢ .

كل هذا وسيد يرقبه عن كتب ويعجب به اشد الاعجاب فأزدادت ثقة سليمان باشا الكبير به « وحرصه على راحته » هذه الثقة جعلت من داود امينا لمفاتيح الوالى « ثم حاملا لاختامه » .

وكانت العيون ترمقه شزرا « وتنفث قلوب الحاقدين كمدا وحزنا لما اصابه هذا المملوك من العطف السامى الذى حباه به سليمان . والذى كان يكافىء النبوغ والعبقرية فزاد فى النفوس غيظها وكمدها .

ثم اصبح الناس حيارى من هول ما سمعوا : « ان سليمان باشا يزوج ابنته لداود ، السيد الجبار حاكم بغداد يزوج ابنته لعبد من عبيده ولكنهم لو فتشوا فى دخائل سليمان لوجدوه يعيد امامه تأريخ حياته ، الم يكن مثله رقيقا يباع ويشترى » فلماذا لا يسبغ على داود عطفه ولماذا لم يذقه من الحنان والعطف والرضا « بعد ان نسي الحنان بين اسرته . . . . . واخوانه واصحابه فما عاد يذكر للحنان واللفظ الا الذكريات .

وما بال القوم يهذرون الم يأمر الدين الاسلامى الكريم بمعاملة الارقاء معاملة حسنة ويأمر بالتحدث اليهم بالحديث اللطيف ليحبر تلك النفوس الكسيرة فكم من مرة امر الرسول العظيم وحث على مواساتهم والحدب عليهم واستنزل اللعنات على من يضرب عبده ؟!

ثم ألم يكن سليمان ( اغا ) متزوجا بأبنة سيده أحمد باشا ثم غدا بعدها ( باشا ) وهو اول من رسخ عهد المماليك فى العراق عام ١٧٥٠ م فلماذا يتقول الناس ؟ لا شك انهم قد نسوا ذلك الحديث لعبد الايام وتوالى السنين . اخذ داود باشا يعقل المناصب حتى صار ( دفتردارا ) وكان هذا المنصب لا يعهد الا لذوى الكفاية والدراية والعقل الكبير من الناس . لان الدولة كانت تعيش للمال وتحيا به وليس لسوى المال من حياة هذا فى زمن عبدالله التوتونجى وعندما تسلم سعيد بن سليمان باشا الحكم رفعه الى درجة ( الكتخدا ) وقد كان داود يرفع من سمعته يوما بعد يوم . فلم ينزل كغيره الى قبول الهدايا والرشاوى وهو فى غنى عنها يصده العلم والادب والتجارب

القاسية المرة • ثم فكر فيمن يسأله ويعتمد عليه في المستقبل لذا عامل الجيش معاملة حسنة فكسبه ثم ان داود كان دائم الابتسام بشوشا في سلوكه غير متصنع في معاملاته كما كانت ظرافته تستعبد اشد مناوئيه وتجذبهم اليه<sup>(٦)</sup> كل ذلك لكي يعد نفسه لليوم الكبير ويهيئ الجو لكي يتسنى عرش بغداد ويهز صولجانها بيده وقد كان يجتمع في نادية الناس • وكان هذا النادى ملتقى الطبقات المثقفة والبارزة وكانت تخرج منه فتكيل الحمد له والثناء على اخلاقه وكرمه • مشيدة بفضله • هذه النفس الذى اسرت قلوب الناس • واستولت على نفس سعيد صهره وابن سيده « فقد كان يحمل لداود ذكريات الطفولة وكان يرى والده برا به » عطوفا في معاملته « وكان الطفل سعيد يهرع الى داود يسأله دروسه فكان يذل قصارى جهده فى توجيهه فيزداد اعجابا بالعلم الوفير والوقار والهيبة التى يلمسها فى داود •

ولما تبوأ سعيد باشا اريكة الحكم عين داود كتحده « واطلق يده فى شؤون الدولة • لكن الشقاق العائلى وسوء التفاهم كثيرا ما يدب بين النساء « فأخذت أم سعيد تهاجم داود بعنف » حتى انها قالت لسعيد باشا ( ان هذا واشباهه اعدائى منذ عهد عهيد<sup>(٧)</sup> ) وقد حاول سعيد استرضاءها بطرق متنوعة تارة بالتذلل وآونة بالخضوع ثم اخذ يضرب على الوتر الحساس الذى تحسه المرأة وقال له ( انه صهرنا المكرم الذى قدمه ابى واختاره الى مصاهرته<sup>(٨)</sup> ) ولكن ضعف الرأى وسيطرة المرأة تغلبا على سعيد باشا رغم حاجاته الماسة اليه ورغم ان عزله سوف يؤدى الى رد فعل كبير بين الناس ويعزف القلوب عن مؤازرته •

نحن لا نلوم سعيدا على عمله فقد كان تحت رعاية أمه حتى ذلك العمر ولم يكن يتجاوز الثانية والعشرين فقد بقى تأثيرها عليه حتى هذه السن كبيرا ثم لم يكن مستقلا فى رأيه وعمله عنها « وقد كان ضعيفا لذلك استسلم الى أم

(٦) مختصر مطالع السعود ص ١٢١ •

(٧) الكولن ص ٢٤ •

(٨) نفس المصدر •

جاهلة ومجنونة<sup>(٩)</sup> وعزل ركننا من أركان المملكة من منصبه ثم ان سعيد باشا كان محبا للانس والطرب ، ومفرط العشق للنساء<sup>(١٠)</sup> زد على انه كان ضعيفا « لا يتقيد بالعرف وقد خضع لتأثير امه خضوعا مهينا . وقد اوغرت صدر سعيد باشا بعداء داود وكان حولها جماعة لا تريد النبوغ ان يبرز والسجاياء العالية ان تظهر ، فأوهموه ان القصد الاول لداود قتله والاستيلاء على دست الولاية . وخوفوه مغبة الامر . خاصة ان الجيش تأثر بأمر داود وانه يحبه جبا جما ويخضع له راضيا شاكرا له كريم عنايته . ثم جسموا تلك الفكرة في رأسه واخبروه انه سوف يأمر بخنقه ليلا واكدوا القول في ذهنه بالتكرار المتواصل .

والحكم والنفس عزيزان على المرء لذا اخذ يفكر فيما يصنع بـداود فكان مشيروه اسرع منه اجابة قائلين له ( تغد به قبل ان يتعشى بك ) ورتبت خطة لقتل داود<sup>(١١)</sup> فلما علم داود بذلك خرج من بغداد بحجة الصيد<sup>(١٢)</sup> والقنص ولكنه فر هاربا من بغداد لكي ينزل في احد الجبال المحصنة وتبعه اعوانه وبعض المتبرمين والناقمين على سوء معاملة سعيد باشا حتى وصل كركوك فرحب به محمود باشا ترحيبا حارا لمكانته وشهرته<sup>(١٣)</sup> وفي كركوك كان داود يجلس الساعات الطويلة مطرقا مفكرا معتزلا الناس اذ كان يودع ما تعلمه من جمال التعبير وقوة الافصاح والاقناع في رسالة بعث بها الى السلطان يخبره بالمصير السيء الذي وصلت اليه حالة البلاد في العراق .<sup>(١٤)</sup>

لا شك في ان الرسالة كانت معقد آماله ففيها حياته ومماته اما ان ترفعه الى الذروة او ان تنزله الى اللحد وقد كان داود يعد عدته لهذا اليوم الرهيب

---

(٩) لونكريك ص ٢٣٤ .

(١٠) الرافدان ص ٢٥٠ .

(١١) مختصر مطالع السعود ص ١٢٤ .

(١٢) الكولن ص ٢٥ .

(١٣) مختصر مطالع السعود ص ١٢٤ والكولن ٢٥ و ٢٦ .

منذ عشرين سنة وقد عرف عنه فى الاستانة الشىء الكثير من مزاياه العالية وعلمه الوافر ، وعن مقدرته ، وعن عقله وفضله • ثم ان داود أخبر صديقه فى الاستانة « حالت » افندى بأدق الامور واعمق الاسرار وهناك بذل حالت افندى الجهد اليسير فى توجيه الاياله لداود • وقد كان داود ينتظر ورود الفرمان على احر من الجمر ساهرا لا يغمض له جفن اما بغداد فبقيت بعد داود باشا بيد سعيد وامه المجنونة وجماعة آخرين لا قيمة لهم فى معايير التجارب والعقل فتفشى الفوضى بين الناس وانتشرت اللصوصية دون ان تفكر الحكومة فى الضرب على ايديهم بل ان بعض الناس كانوا يشجعون اللصوص لكى يستفيدوا من الاسلاب<sup>(١٤)</sup> ثم ان نفقات سعيد على ملاذه الشخصية ولياليه ومرحه اعادت للذهن عهد العباسيين<sup>(١٥)</sup> وعندما كان يعوزه المال كان يستدين من عامة الشعب على ان يسدد ذلك من واردات الكمبارك • وبينما كان سعيد باشا ساهرا فى لذاته ونسائه كان داود باشا ساهرا مثله ولكن فى سبيل مثل اعلى ، وفى غاية ارفع هى الاستيلاء على بغداد • فقد وصلت اليه السعادة وشمله الحبور بعزل سعيد باشا وتعيينه بيلربكى<sup>(١٦)</sup> لبغداد والبصرة وشهرزور واراد داود ان يفت فى عضد سعيد فأرسل صورة الفرمان الى حمود بن ثامر رئيس قبائل المنتفك لانه كان يساند سعيدا<sup>(١٧)</sup> ففت فى عضد سعيد بأنسحاب القبائل الموالية له • فما كان من حمود الا ان ارسل الى سعيد باشا ينصحه بعدم القتال وتسليم بغداد لصاحبها الشرعى •

وقد كان تعيين داود نازلة نزلت على سعيد باشا فأخذ يستنجد بقوات متعددة غير ان خواء الخزينة حال دون ما يريد اذ لم يبق فى بيت المال شىء من الدراهم لكثرة ما انفق على ملذاته حتى انه لم يتمكن ان يدفع للجند رواتبهم • ثم اخذ بعض المماليك يهربون الى داود عندما اخذت الحالة تسوء يوما بعد

(١٤) لونكريك ص ٢٣٥ •

(١٥) الرافدان ص ٢٥٠ •

(١٦) امير اللواء •

(١٧) مختصر مطالع السعود ص ١٢٥ •

يوم وقد بدأت فعلا ثورة علنية في بغداد في محلة باب الشيخ فسهل ذلك الامر لداود فدخل بغداد واخذ الناس يتوافدون عليه مرحين به •  
اما سعيد باشا فقد تحصن مع بعض القوات داخل القلعة فما كان من قوات داود الا ان تبعته وقطع رأسه وهو بين حضن امه ببلطة وابقت القوات الجثة بين يدي امه وقد ساء قتل سعيد باشا ( داود ) اذ لم يكن يريد ان يقضى على ابن سيده وصهره • وبذلك قضى على عهد سعيد وبقيت امه تنوح على ايامها وعلى ولدها • ولكن ليس لها مساعد ولا معين فقد انفض من حولها الناس •

صهرت التجارب داود وعركته المحن ، فامتحن فيها الايام فقد تولى ولاية بغداد وهو في الخمسين من عمره وكان يعرفه اهل بغداد جيدا بالمزايَا الحسنة والخلال الرفيعة والعلم والفضل • وعندما تسلم زمام الامر وجد الخزينة خواء فقد انفقها سعيد باشا وحتى ذلك الوقت لم يكن الجيش قد تسلم راتبه زد على ذلك ما كانت تعانيه بغداد من الفوضى والاضطراب فقد كانت القبائل ، كما نعهدما ، تهاجم بعضها بعضا ، واذا لم تقاتل فهي تهاجم المدن للاستيلاء على شيء من اموالها • هذه المشكلة من المشكلات التي كانت مستعصية على الحكومة فقد كانت تهدف الى جعلهم مواطنين صالحين للدولة • ولكنها كانت تستعمل القوة والضغط دون ان تفكر في طرق ناجحة في استيطانهم بل لم تفكر في بذل بعض مثل هذا المجهود •

ولا ادرى كيف تخضع القبائل للدولة وهي تطالبهم بالضرائب المتوالية دون ان تقدم لهم فائدة محسوسة لقاء اخذ هذا الاتاوات وكانت الولاية كلما اعوزها المال تهاجم القبائل ومتى انتصرت عليها اجبرتها على دفع الضرائب ولم يكن داود الذي جرب هذه التجربة في خلال بقائه في العراق بالخائذ عن هذه الطريقة وهو الآن احوج الناس الى المال لذا تراه عندما تلكأت الدليم<sup>(١٨)</sup> عن دفع الضريبة ارسل اليها الكتخذا بعسكره وغنم منها مالا بعد ان أستحر القتل بين المعسكرين وكأنها الحرب بين دولتين متعاديتين • وبالرغم

---

(١٨) مختصر مطالع السعود ص ١٣٨ •

من ان العشيرة عاهدت الكتخدا على الطاعة لكنه أستوفى من المواشى والابل والخيول<sup>(١٩)</sup> ما اراد ولم يكف الكتخدا بذلك بل عامل عدة قبائل هذه المعاملة مثل بنى زوبع وجميلة وال عيسى حتى ادوا الضريبة المطلوبة منهم فطرب داود لهذا النصر وارسل الى قائده سيفا مكافأة على عمله •

ولم تكن الجيوش تكتفى بالهجوم على القبائل المتأخرة عن دفع الضرائب انما كانت تهاجم القبائل الاخرى فقد هاجم الكتخدا فى طريقه قبائل كانت حول بغداد فى منطقة الخالص ونهب منها اربعين رأس غنم وخرب البساتين فى ( الخالص ) و ( خراسان ) وان ساع لكتخدا ان يهاجم القبائل العراقية بحجة عدم المحافظة على الامن او انها لم تقدم الضريبة المطلوبة منها فما حجه فى مهاجمة القبائل التى جاءت تأخذ الميرة كما صنع مع قبائل ابن هذال؟! (٢٠)

ومن المؤسف انه لم يكف بمهاجمة القبائل بل كان يهاجم الم محتجا بأنها خرجت عن الطاعة فقد هاجم ( عفك ) فتحصن الناس بالقلعة ولكنهم فروا ليلا خوف المدافع حين علموا انها ستطلق عليهم نهارا ولما عرف الكتخدا بذلك دخل المدينة ونهبها واستولى على الاموال والذخائر التى كانت فيها<sup>(٢١)</sup> •

لا شك ان قصد داود باشا كان ارهاب الناس واظهار قوته لكى يوطد الامن ثم يملأ الخزانة الفارغة الخاوية على عروشها بسرعة لكى يوطد حكمه وهو فى اول ايام ولايته •

#### مطامع داود :

كان داود يشعر بفساد حالة الدولة وها هو ذا يشهد استقلال الولايات لذلك كانت الآمال العذاب تداعب ذهنه فى ان يستقل هو فى بغداد ، كما

(١٩) مطالع السعود ص ٢٤٤ •

(٢٠) مختصر مطالع السعود ص ١٣٧ •

(٢١) المصدر السابق •



استقل محمد علي باشا في مصر فأعد العدة لهذا الاستقلال وكانت اولى هذه الدعائم هو الجيش ليكون درعه عند الملمات وساعة الشدائد ويجب ان يكون مدربا تدريباً عسكرياً حديثاً فعهد الى المسيو ديفو الفرنسي<sup>(٢٢)</sup> الذي كان من ضباط نابليون في تدريبه بل ان ابن المقيم البريطاني الميجور تايلور كان بمعهدته كتيبة من الخيالة وقد ارسل داود باشا الى الهند يطلب بعض المعدات لهذا الجيش ولكنها رفضت طلبه ، ثم طلب المساعدة بمقياس اكبر لتجهيز الجيش الذي اعده فقد اراد ضابطاً ومدرسين وصناعاً وثلاث سفن مسلحة كبيرة وكميات كبيرة من الذخائر الحربية ..... ولا شك في ان الهند كانت تعتقد ان هذه الاسلحة سوف تستعمل في اغراض العصيان وهي حريصة على علاقتها بالدولة العثمانية ولكن نظام الجيش قد ثبت (اذ استدعى ( داود ) صناعاً من اوربا واحداث مصانع الجوخ والبن والبواريد<sup>(٢٣)</sup> واجتهد في ترقية المصانع الوطنية والى جيشاً نظامياً عدده عشرة آلاف بين مدفعية ورجالة<sup>(٢٤)</sup> فأخذ النظام الحديث يشتد ويقوى ثم اخذت الروح المعنوية للجيش ترتفع فقد انتظمت الامور واخذ الجند يتسلمون رواتبهم في أوقاتهم المحدودة لها .

#### اصلاحات داود :

ومن كان يريد ان ينشئ دولة لا بد من ان يفكر في اصلاحها ويسبغ العدل عليها ويقرب قلوب الناس اليه لكي يلتفوا حوله فقد كان كما عرفنا عالماً ذا فضل وادب فأخذ يتقرب الى الصوفية وارباب الطرق فدفع لزعيم الصوفية الشيخ خالد النقشبندى ثلاثين الف ليرة ذهباً عندما سمع انه مدين<sup>(٢٥)</sup> وقد كانت الطرق لها اهميتها وكيانها وسطوتها فأخذ المريدون يلتهجون بالدعاء والثناء على داود باشا .

(٢٢) الكولن ص ٢٩ ويسميه ثابت (دودة) .

(٢٣) البواريد جمع باوردة وهي البندقية .

(٢٤) الكولن ص ٢٩ .

(٢٥) نيل المراد ص ٢٨٢ ومساجد بغداد والكولن ص ٢٩ .

ثم اعتنى داود بعمارة بغداد واخذ يعمر المساجد والجوامع وامر بفرس  
الحدائق والبساتين ومن اشهر ما بناه الجامع المعروف بالمولى خانه وكان له  
مئذنتان ، وجامع الحيدر خانه وجامع باب المعظم المسمى بجامع الازبك ومسجد  
السيف والمسجد المحاذي للجسر من الجانب الغربى ولم يكتف بالبناء بل  
اخذ يجدد بعضها مثل جامع السادة فى الباب الشرقى وسوق المولى خانه  
وسوق الحيدر خانه والخان المتصل بباب الجسر المعروف بخان داود  
باشا<sup>(٢٦)</sup> ومخزن الاطعمة المعروف بالسيف ومن ذلك البستان الكائنة قرب  
الامام الاعظم ذات القصر الغريب الشكل ووقف بعض الاوقاف عليها<sup>(٢٧)</sup> .  
وقد اعتنى داود باشا ببعض الاصلاحات العامة فاحترف الانهار التى  
عفت ودرست فزادت فى مدة حكمه موارد البلاد .

### العلم :

ومن ميزات داود انه تفرغ وقتا من اوقاته للعلم وخاصة فقد نشأ  
علمية وكان يحاول ان يوطد حكمه ويستقل بولايته كما استقل محمد على  
باشا فى مصر ، وللعلم والعلماء فى الحكومة اثر كبير ولا تنسى ان داود  
تثقف على ايدى العلماء الكبار ومنهم صبغة الله الحيدرى فقد اجازته فى  
الاصوليين وتفسير البيضاوى<sup>(٢٨)</sup> كما اجازته زين الدين جمل الليل<sup>(٢٩)</sup> وقد  
قرأ القرآن على شيخ القراء محمد أمين الموصلى وقرأ النحو والصرف على الملا  
حسين بن محمد على ودرس التصوف على الحافظ احمد مدرس مدرسة  
السليمانية ودرس الرياضيات على لطف الله افندى<sup>(٣٠)</sup> .

ولم يكتف داود بالدراسة بل انه قد اجاز بعض التلاميذ مثل اسعد  
افندى الحيدرى<sup>(٣١)</sup> ومحمد البرزنجى الذى قرأ عليه جميع العلوم (وتخرج

(٢٦) (٢٧) الكولن ص ٢٩ ومساجد بغداد الصفحات ٢٨ و ٣٢  
و ١٢٥ و ١٢٩ .

(٢٨) مختصر مطالع السعود ص ١٧٣ .

(٢٩) المصدر السابق تجد ترجمته فى ص ١٧٤ .

(٣٠) نفس المصدر ص ١٧٢ .

(٣١) مساجد بغداد ٢٦ ومجموعة تراجم العلماء ص ١٤ .

حتى صار هذا السيد من ارباب الكمالات المشار اليهم في العراق<sup>(٣٢)</sup> ومحمد  
النائب وكان امين داود وكاتم سره وقد ارسله لمفاوضة العجم<sup>(٣٣)</sup> وقد  
كثرت المدارس في عهده حتى انها بلغت ثمانية وعشرين معهدا كبيرا  
للتدريس واخذ يستجلب المدرسين من انحاء البلاد وجعل في كل معهد  
مدرسا خاصا بذلك المعهد واسكنهم وجعل لهم جرايات ليعيشوا عليها من  
بيت المال العراقي<sup>(٣٤)</sup> .

وقد اعتنى داود كثيرا بالمساجد ولا سيما الجامع الذي انشأه وعدد فيه  
المدرسين والائمة والخدم وليؤثر من هذا الطريق في الناس وبذلك يكون  
المدرسون اداة لدعاية له بين الطلاب فينشرها الطلاب بين اهلهم وذويهم .

#### أهم المعاهد التي عني بها داود :

مدرسة داود باشا ومدرسة علي باشا والمدرسة العادلية ومدرسة الاعظمية  
والمدرسة الاحمدية والمدرسة النسلمانية حتى بلغت عدد هذه المدارس ثمانى وعشرين  
مدرسة ثم تعهد اثني عشر معهد اخر بين رباط ومرقد ولى<sup>(٣٥)</sup> وبالإضافة  
الى هذه المساجد والجوامع التي كانت في الوقت عينه مدارس فقد عمر كثيرا  
من المساجد الاخرى كتميره مسجد باب السيف السكائن في الكرخ ووجد  
مسجد رأس الجسر ووسعه بعد ان كان ضيقا واقام فيه المحراب الذي كان  
منحرفا وعندما اشرف جامع الازبك على الانهدام تداركه وجده ثم وسع  
فناءه وشاد فيه مئذنة صغيرة لا زالت قائمة الى هذا اليوم وهي مطلة على شارع  
الرشيد وقد نبغ في عهده مدرسون كالسيد عبدالله الألوسي ، وعبدالرحمن  
الروزبهاني وتلميذ داود باشا محمد البرزنجي ومحمود الألوسي ومحمد  
سعيد السويدي وعثمان بن سند<sup>(٣٦)</sup> .

- 
- (٣٢) مختصر مطالع السعود ١٧٥
  - (٣٣) مختصر مطالع السعود ص ١٤٦
  - (٣٤) جريدة العرب ٨-١١-١٩١٧
  - (٣٥) مساجد بغداد ص ٣٦
  - (٣٦) نجد تراجم لهؤلاء في مطالع السعود وفي تاريخ بعض المساجد  
والمسلك الاذفر وغرائب الاغتراب وعنوان المجد

## استقلال داود :

ولما رأى داود تردي حالة الدولة وما عليها من ضعف وهزال فكر في الاستقلال وقد ساعده على تركيز هذه الفكرة طول مدة ولايته التي استمرت خمسة عشرة سنة نعم العراق فيه شيء من الهدوء والدعة بالنسبة للولاة الماضين •

ولم تكن الدولة العثمانية غافلة عن تصرفات داود باشا ولكنها لم تتمكن من صنع شيء فقد شط المزار وهي في حرب مع روسيا ( وقد سئل داود باشا ان يعاون دولته في محاربة روسيا فأبى واخذ يبدى معاذيره ... ) (٣٧) ولا بد من ان داود باشا الذي يعد العدة للاستقلال خشى على جيشه ان يذهب دون رجعة او انه خشى ان يبقى وحده دون مساند يسانده فيما اذا ذهب الجيش الذي جهزه وصرف عليه الكثير من وقته وجهده فارتباب السلطان محمود واخذ ينظر اليه بعين كلها حذر وسخط وتمنى ان يستبدل به والياً آخر ولكنه خشى الملابس وعدم نجاح هذه الفكرة •

## تحفز السلطان :

ومما زاد في قوة السلطان المغوية قضاؤه على الينجرية (٣٨) قضاء تاما وحصرهم في الاستانة وبذلك استراح من عدو قوى كان يخشى ثورته وعناده • فأصدر اوامره الى جميع الولاة بالقضاء عليهم من كل ولاية • لكن دواود باشا الاريب تمكن بدهائه من انتقاذهم من الموت وضمهم الى الجيش الجديد والغى تشكيلاتهم غير ان السلطان محمودا لم يرق له عمل داود واخذ يفكر في كل الطرق للقضاء عليه واخيرا صمم ان يقضى عليه بحد السيف •

## داود وايران :

كان ملوك فارس يطمعون دائما بالاستيلاء على العراق اذ فيه الاماكن

(٣٧) الكولن ص ٢٩ و ٣٠ •

(٣٨) شرح الالفاظ الرسمية الواردة هنا تجدها في ( الشعر العراقي

في القرن التاسع عشر) بغداد ١٩٣٨ •

المقدسة التي يزورها الايرانيون كل سنة لذلك فقد كانت الحرب سجلا بين  
الدولة التركية والدولة الايرانية •

ولا يغربن عن الباس أمر تلك الحملات التي قام بها الوهابيون على  
الاماكن المقدسة وانتهاب ما فيها من ذخائر نفيسة وهدم القبور والقبب التي  
كانت مقامه فوق اضرحة الائمة في كربلاء كالامام الحسين والامام علي ابن  
ابي طالب<sup>(٣٩)</sup> وقد تعددت هذه الحملات مما اقلق بال الدولتين التركية التي  
كانت تخشى ان تقوم حكومة عربية تزاحمها في الهيمنة على الحجاز والدولة  
الايرانية التي كانت تتألم لما حدث للاماكن المقدسة وكانت كرمشاه مجمع  
الناقمين على الحكم في العراق وموئل اللاجئين من العراق • فوجد الفرس  
في التجاء العراقيين سببا واحتجوا به وبسوء المعاملة التي كان يلاقيها الزوار  
الايرانيون الداخلون في العراق لزيارة الاماكن المقدسة من حكومة بغداد  
التركية في اعلان الحرب ضد الاتراك • فتقدم الجيش الايراني حتى وصل  
الخالص وكان داود باشا قد استعد للامر واستأذن الدولة في حرب العجم  
فلما ابطأ على داود باشا الجواب جمع عسكره وحفظ بها سور بغداد واخذ  
الجيش الايراني يتقدم نحو بغداد حتى وصل على بعد يوم واحد منها فأخذ  
الناس يهربون الى حلّه وقد كان داود يجمع في خزائنه الاموال الكثيرة  
وحشد مخازنه بالغالل خشية ان يستولى عليها الجيش الايراني وفي خلال  
ذلك تفشت الكوليرا بالجيش الايراني واصيب أمير الجيش فأضطر الى عقد  
صلح واخلى الجيش بعض الارض التركية عائداً الى بلاده ولكن بقيت بعض  
المناطق تحت سيطرة ايران فوردت فرامين عدة ولاية لمساعدة والى بغداد  
وجعله رئيساً تلك العساكر وقد كان يساعد الجيش رئيس قبائل شمر جربا  
اذ اخذ في اشغال الجيش الايراني وكان يتنصر عليهم<sup>(٤٠)</sup> بين حين وآخر •

ثم اخذ الجيش التركي يتحرك نحو خراسان ولما سمع الفرس بذلك  
جهزوا جيشا كبيرا فأجبروا قائد الجيش التركي على الانسحاب غير ان القبائل

(٣٩) يراجع غرائب الاثر ٣٠٣ ومطالع السعود لابن سند •

(٤٠) مختصر مطالع السعود ١٤٢ - ١٤٨ ولونكريك •

أخذت تضاييق الفرس وأحرقت الحاصلات التي في طريقهم ثم تفشت الكوليرا ثانية في الجيش الإيراني فرجعوا دون أن يحققوا الحلم في الاستيلاء على العراق •

#### آخر عهد داود :

كانت علاقة داود باشا بالسلطان محمود ودية حتى أنه أهداه سنة ١٢٣٦هـ خمسة عشر مدفعا من الطراز الجديد بجميع الجديد آلاتها وأدواتها وأرسلها صحبة أحد رجاله<sup>(٤١)</sup> لكن نزعة داود في الاستقلال التي راودت ذهنه وعدم الالتفات إلى أوامر السلطان محمود<sup>(٤٢)</sup> وعدم إمداد الدولة بالمال<sup>(٤٣)</sup> أثناء الحرب الروسية والروح المعنوية العالية التي حصلت للسلطان بعد قضائه على النيجرية جعله يفكر تفكيراً جديداً في القضاء على نفوذ داود الذي يستفحل يوماً بعد يوم فأرسل السلطان صادق أفندي يحمل فرماناً بعزل داود باشا من الولاية •

ولما وصل صادق أفندي بغداد خرجت قوة لاستقباله لكنه لم يعرج عليها وذهب إلى دار الضيافة مباشرة • ومما زاد في حق صادق أفندي عدم عناية داود به العناية الكافية • مما أدى إلى الجدل والنزاع الكلامي في شأن عزله وتسليمه الولاية حالاً لمن يريده صادق ثم أرسل صادق سرا إلى أحد مماليك دود باشا وفأوضه على تقليد الولاية ومنحه رتبة الوزارة ولكن المملوك أسرع وهو يرتجف خوفاً وفزعاً وأخبر داود باشا بجلية الخبر • اشتدت الهواجس بـداود إذ أن صادق أفندي لا بد أن يفاوض شخصاً آخر في هذا الأمر وقد يوافق ذلك الشخص ويشق البلد شقين فلا بد من اتخاذ الموقف الحرج الذي وقع فيه فأشارت عليه جماعته بقتل صادق أفندي وقالت

(٤١) مختصر مطالع السعود ص ١٤٠ •

(٤٢) نيل المراد في أحوال العراق وبغداد ٢٨٠ وغاية المرام

ص ٢٠٤ •

(٤٣) الكولن ص ٣٠ •

له : ( ما دام هذا الرجل في قيد الحياة فليس لنا في الحياة نصيب )<sup>(٤٤)</sup>  
فأرسل اليه في الليل جماعة احاطت البيت ودخل عليه مقدمهم وخنقه ولما  
سمع داود بموته ذهب وتأكد من ذلك بنفسه ثم كتب الى الدولة بأنه مات  
بالهيفة ، ولكن مثل هذا الخبر وهذه الطريقة تشيع بين الناس فعلمت  
بها الاستانة ولم يكن يجهل داود بأن عمله سوف ينكشف لذلك أراد ارسال  
هدية للسلطان متكونة من عدد من الخيل عساه يعفو عن زلته التي قدمها نحو  
الدولة بقتل موفدها<sup>(٤٥)</sup> ولكن الدولة لم تحتمل والفرصة سانحه فارسلت  
اليه والى حلب على رضا باشا على رأس قوة كبيرة من الجيش •

#### ضحكة الاقدار :

كانت جيوش على رضا باشا تتقدم نحو بغداد ومعه امر بعزل داود من  
ولاية بغداد وتوليته عليها وكان داود باشا يسخر من القادمين فقد اعد عدته  
لهذا اليوم وكان واثقا من جيشه الذي افرغ عليه جهده وماله ودرّب التدريب  
الكامل والمجهز بالمعدات الكافية ولكن الاقدار كانت تسخر من داود ومن  
تفكيره •

#### الطاعون :

فقد اخذ الطاعون يفتك بالناس فتكا ذريعا لا هواة فيه ولا رحمة  
واخذت اصابات الطاعون تزداد يوما بعد يوم كلما ازداد على رضا باشا قربا  
من بغداد حتى لم يبق من يدفن الجثث التي كانت طريحة في الطرقات  
والازقة<sup>(٤٦)</sup> بعد ان عجزت المساجد عن استيعاب هذا العدد الكبير فأخذت  
ترمي في نهر دجلة تخلصا من الجيف والرائحة التي كانت تملأ بغداد حتى قدر  
احد الكتاب<sup>(٤٧)</sup> عدد الموتى في اليوم الواحد بعشرة آلاف اذ لم يبق من  
عساكر داود وحاشيته غير ٤٦ رجلا<sup>(٤٨)</sup> •

(٤٤) الكولن ٣١-٣٢-٣٣ •

(٤٥) الكولن ص ٣٥ •

(٤٦) نيل المراد ص ٢٨٢ •

(٤٧) الشواف في في حديقة الورود ورقة ١٣ ج ١ •

(٤٨) الكولن ص ٣٧ •

## الفيضان :

ولم تكن الطبيعة هذه المرة رحيمة بالعراق فقد اربعت بغداد بالفيضان العالى واحاطت المدينة بالمياه وحرمت على الناس الهروب ثم اخذت السدود تتهاوى أمام ضربات المياه المتوالية فدخلت البلدة وأخذت البيوت تتساقط على من بقى من الناس حتى قدرت البيوت المتهمة بسبعة آلاف بيت وهكذا أصبحت بغداد مقبرة للأحياء الذين كانوا يأملون الفرار من الطاعون ثم اخذ البدو يدخلونها • والصعاليك والسراق يسرقون وينهبون ما يجدونه حتى كان بعضهم يعاجله الموت أثناء السرقة<sup>(٤٩)</sup> •

## داود باشا :

اما داود باشا ( فقد اضاع قواه واصبح عاجزا عن القيام والقعود فقد استولى عليه الطاعون وهاله ان يرى احلامه الحلوة ، وامانيه العذبة تذوى بين يوم وليلة واخذ يسمع بتقدم على رضا باشا حتى لم يبق معه من يساعده الا امرأة عجوز ويحصل طعامه من سماك كان يشفق عليه فقد اذن لجميع خدمه ان يغادروا بيته وبقي على رضا خارج بغداد • وطلب من داود الفرار الى المنتفك<sup>(٥٠)</sup> لكنه ابى ، ولماذا يفر وقد ضاع اجمل آماله واحلامه فقد ركب اليأس قلبه والمرض جسمه • ومما زاد الامر يأسا احتراق السراى وقضاء النيران على كنوز داود واسلحته ومفروشاتة •

## محاولة فاشلة :

وقد عاد بعض المماليك الفارين من الطاعون عندما خفت وطأته وانخفض الماء ومعهم بعض اعوان داود باشا لكى ينجدوا داود باشا ويمنعوا على رضا باشا من دخول بغداد • ثم تحصنوا بالمدينة وبعثوا الى الدولة عارضين عليها عشرة آلاف جنيه نظير بقاء داود فى الحكم بل اوصلوا المبلغ الى عشرين الف تدفع مرة واحدة وزادوا الجزية التى تدفع من بغداد الى الدولة من الف

(٤٩) الرافدان ص ٢٥٣ •

(٥٠) الكولمن ص ٣٨ ولونكريك •



كيس عشرة آلاف كيس وتحملوا جميع مصاريف الحملة<sup>(٥١)</sup> .

ولم يكن على رضا يريد ان يزيد فى خراب المدينة التى لم يبق فيها الا قليل من العمران لانها ستكون عاصمة ملكه لذلك بقى خارج الاسوار . فأخذ البغداديون يدافعون دفاع الابطال عن بغداد حتى انهم جندوا (٥٠٠) جندى لقتال هذا الجيش اللجب الذى جاء به على رضا وكانت المدافع تحصدهم حصدا ثم ارسل السلطان رسالة الى على رضا يأمر فيها بأحسن التدبير فكانت الرسالة سببا فى فتح باب المفاوضة ودخول بغداد سلما<sup>(٥٢)</sup> .

اما داود فدخل الضباط عليه بتواضع واحترام واخذوه معهم الى خارج المدينة حيث نصبت خيمة له فنهض على باشا من مكانه عندما كان الركب بعيدا ثم قابل داود وهو اشير حقير بالاحترام الذى لم يقابل بمثله مملوك من قبل ولو كان فى اوج ابته وعظمته ثم ارسل الى الاستانة ومعه توصية من على رضا باشا كانت سببا فى العفو عنه . ولما قابله السلطان ولاء البوسنة وفى زمن السلطان عبدالمجيد ولاء الحرم النبوى وتوفى فى المدينة<sup>(٥٣)</sup> .

#### الماليك الباقون :

دعا على رضا الماليك دعوة عامة فلبوا نداءه ولما اجتمعوا عنده دبر مكية لهم اذ خرج الجلادون عليهم واخضبوا بدمائهم بأقدامهم ولم يبق منهم باقية<sup>(٥٤)</sup> . الا من فر وبذلك انقرضت دولة الماليك التى حكمت حوالى القرن فى العراق وقضى عليهم بنفس الطريقة التى قضى محمدعلى باشا على الماليك فى مصر وأصبحت ولاية العراق تابعة مباشرة الى الاستانة فانتصرت الاستانة على اعدائها واقواهم بأسا واشدهم مراسا .

(٥١) الكولن ص ٤٤ وما بعدها .

(٥٢) الكولن ٤٧ - ٤٩ .

(٥٣) مجموعة تراجم العلماء .

(٥٤) الكولن ص ٥٠ .

## المراجع

### ١ - المخطوطات

- ١ - مطالع السعود عمشان ابن سند
- ٢ - تاريخ الممالك ( الكولن ) سليمان فائق تعريب نجيب الارمنازى
- ٣ - مجموعة تراجم العلماء محمود شكرى الآلوسى
- ٤ - عنوان المجد ابراهيم فصيح الحيدرى
- ٥ - غاية المرام ياسين العمرى
- ٦ - حديقة الورود عبدالفتاح الشواف
- ٧ - نيل المراد عباس السيد جواد البغدادى
- ٨ - العراق فى القرن التاسع عشر يوسف عزالدين

### ٢ - المطبوعات

- ٩ - أربعة قرون من تاريخ العراق لونكرنك لندن ١٩٢٥
- ١٠ - بغداد كوله من حكومتك تشكيلنه دائر رسالة « ثابت » ١٢٩٢
- ١١ - تاريخ مساجد بغداد محمود شكرى الآلوسى وتهذيب محمد بهجة الاثرى بغداد ١٣٤٦هـ
- ١٢ - تذكرة الشعراء عبدالقادر الحطيبى الشهرابانى بغداد ١٩٣٦
- ١٣ - خلاصة تاريخ العراق انستاس الكرملى البصرة ١٩١٩
- ١٤ - دائرة المعارف الاسلامية (باللغة الانكليزية) مقال للدكتور عبدالعزيز الدورى عن « بغداد »
- ١٥ - دائرة المعارف الاسلامية (باللغة التركية) استانبول ١٩٥٠
- ١٦ - الرافدان ترجمة طه باقر وبشير فرنسيس بغداد
- ١٧ - الشعر العراقى فى القرن التاسع عشر يوسف عزالدين بغداد ١٩٥٨
- ١٨ - الشعر العراقى الحديث يوسف عزالدين بغداد ١٩٦٠
- ١٩ - غرائب الاثر ياسين العمرى نشره الدكتور محمد صديق الجليلى الموصل ١٩٤٠
- ٢٠ - غرائب الاغتراب ابو الشناء الآلوسى بغداد ١٣٢٧هـ
- ٢١ - لغة العرب (مجلة) انستاس الكرملى
- ٢٢ - مختصر مطالع السعود حسن الحلوانى مصر ١٣٧١
- ٢٣ - المسك الاذفر محمود شكرى الآلوسى بغداد ١٩٣٠

## حدود النقد الادبي<sup>(١)</sup>

ت.س. اليوت

ترجمة عبدالوهاب الوكيل

ينص مضمون هذه المقالة على وجود حدود للنقد الادبي اذا ما اجتزناها في ناحية انتفت صفة الادب عنه ، واذا ما تعديناها في ناحية أخرى لم يعد نقدا .

كنت قد نشرت في عام ١٩٢٣ مقالا بعنوان [ وظيفة النقد ] ولا بد وأنى كنت قد أستحسننت هذه المقالة لانى ضمنتها بعد عشر سنوات الى كتابى [ مقالات مختارة ] حيث يمكن الرجوع اليها الان .

وعندما راجعتها مؤخرا أصبت بشيء من الحيرة وصرت أعجب من سبب الضجة التى افتعلتها فيها رغم أنى لم أجد فيها ما يتناقض كليا وآرائى فى الوقت الحاضر ، ذلك لان الظروف التى أدت الى ذلك الانفجار قد انمحت من ذاكرتى باحثناء المشادة مع السيد [ مدلتن مرى ] حول [ الداعى الخفى ] وهو خلاف نستطيع أن نلمس فيه بعض آثار النزاع القديم بين السلطة والاحكام الفردية ، فلقد أدليت فيها بعدد من التصريحات بلهجة التأكيد وبحرارة زائدة ولا بد وأنى بدوت وكأننى أعنى ناقدا معينا ، أو أكثر ، من النقاد المشهورين الذين كانوا يكبرونى منزلة والذين لم تتوفر فى كتاباتهم متطلبات النقد الادبي التى كنت أو من بضرورتها ولكنى عاجز عن تذكر كتاب أو مقالة واحدة ، أو حتى اسم ناقد معين كمثل على ذلك النوع من النقد الانطباعى الذى أثار استيائى قبل ثلاثة وثلاثين عاما .

---

(١) من مقالة فى الشعر والشعراء ، نشرت عام ١٩٥٧ .

ان السبب الوحيد الذى حدا بى الى ذكر هذه المقالة هو التنبيه على مدى ارتباط ما ذكرت حول هذا الموضوع فى عام ١٩٢٣ بالزمن الذى كتبت فيه فلقد تم نشر كتاب [ ريتشارترز ] (Richards) [ قواعد النقد الادبى ] عام ١٩٢٥ وحصل الشئ الكثير فى ميدان النقد الادبى منذ ظهور هذا الكتاب البعيد الاثر حتى الان ، بينما كانت مقالتي قد كتبت قبل صدوره بعامين . لقد تطور النقد خلال هذه المدة وتفرع فى نواحي عديدة وأخذ الناس يرددون عبارة [ النقد الحديث ] دون ادراك لما تتضمنه من معان متفاوتة ، بيد ان تداولها كما أعتقد يؤكد الاعتراف بأن نقاد العصر الحاضر البارزين يختلفون كلهم فى ناحية مهمة ، عن نقاد الجيل الغابر رغم تباينهم العظيم فيما بينهم . ولقد قلت قبل أعوام ان الضرورة تحتم على كل جيل من الاجيال وضع قواعد خاصة به فى النقد الادبى وذلك لانه كما ذكرت آنذاك [ ان كل جيل يأتي بمقاييسه الخاصة فى التثمين الادبى الى ميدان التأمل الفنى ويفرض شروطه على الفن ويستخدمه فى مجالاته المفضلة . ] اننى واثق بأنى عندما ذكرت هذه الفكرة كنت أعنى بها أشياء أكثر من مجرد التغيرات التى تطرأ على الذوق والازياء فكنت أقصد بها على الاقل الحقيقة القائلة بأن كل جيل عندما يتأمل غرر الانتاج الفنى للاجيال السابقة من زاوية مغايرة تتأثر نظراته فى نواحي عديدة أكثر من النواحي التى أثرت فى الجيل السابق ، بيد اننى أشك فى أن ماكنت أعنيه هو أن أى تأليف رائع فى النقد الادبى يستطيع تغيير وتوسيع مفهوم اصطلاح [ النقد الادبى ] نفسه .

لقد سبق أن نبهت الاذهان قبل بضع سنوات الى التبدل المستمر الذى أخذ يطرأ على مفهوم كلمة « التربية » منذ القرن السادس عشر حتى العصر الحاضر ، وهو تغيير حصل فعلا لان التربية لم تتضمن زيادة فى الموضوعات فحسب ، بل لانها وضعت تحت تصرف ، [ أو فرضت ] على أكبر عدد من السكان فاذا ما تتبعنا تطور اصطلاح [ النقد الادبى ] بنفس الصورة وجدنا أن شيئاً مماثلاً قد حدث ، فلو قارنا مثلاً بين أحد الكتب المهمة فى النقد

الادبي ككتاب « جونسون » [ حياة الشعراء ] بالمؤلف المهم الذي تلاه في النقد الادبي [ السير الادبية ] لـ [ كولرج ] لوجدنا أن الاختلاف بين المؤلفين ليس قائما على كون [ جونسون ] يمثل عرفا ادبيا معينا جاء هو في نهايته ، بينما يدافع [ كولرج ] عن مزايا اسلوب جديد وينتقد مساوئه فحسب ، بل ان الاختلاف الذي يتفق وما ذكرت الآن يعزى الى ما يشبه [ كولرج ] في بحثه عن الشعر فينا من اهتمام بعيد المدى ومتنوع الالوان . فلقد اسس العلاقة بين الفلسفة وفلسفة الفنون الجميلة (Aesthetics) من جهة ، وعلم النفس من جهة اخرى ، وما ان ادخل هذه القواعد الى حقل النقد الادبي حتى تعذر على النقاد الذين جاءوا بعده تجاهلها دون ان يتعرضوا لمخاطر عظيمة ولكي يتمكن من تبيين « جونسون » ينبغي علينا ان نبذل جهدا عظيما في الخيال التاريخي ، بينما يجد الناقد المعاصر نقاط شبه كثيرة بينه وبين [ كولرج ] ، ويمكننا الجزم بان النقد الحديث كان في الحقيقة قد انحدر مباشرة من كولرج ، ولو ان كولرج كان حيا اليوم لكان ، كما اعتقد ، بذل نفس العناية بالعلوم الاجتماعية وبدراسة اللغة ومشتقاتها كذلك التي بذلها في دراسة العلوم التي كانت في متناوله .

ان البحث في الادب في ضوء دراسة أو أكثر من هذه الدراسات يكون عاملا واحدا فقط من العاملين اللذين ساهما في تغيير النقد الادبي في عصرنا هذا ، اما العامل الآخر فلم يتم التعرف عليه بصورة كاملة بعد فالعناية المتزايدة التي تبذل في دراسة الادب الانكليزي والامريكي في جامعاتنا ومدارسنا قد ادت الى وضع أصبح فيه كثير من النقاد مدرسين وكثير من المدرسين نقادا . ولست بأسف على هذا الوضع مطلقا إذ أن ادباء كانوا قد شقوا طريقهم الى جامعاتنا ومن بحثت تم اختبار نشاطهم في ادباء كانوا قد شقوا طريقهم الى جامعاتنا ومن بحثت تم اختبار نشاطهم في النقد لأول مرة في غرف الدرس . واليوم وبعد ان أصبحت الصحافة الادبية الجدية وسيلة معاشية غير ناجحة وحافلة بالمخاطر لجميع من يتعاطونها ، الا النزر القليل منهم ، فان هذه الظاهرة هي السائدة غير انها تعني ان للنقاد اليوم صلة بالعالم تختلف نوعا ما عن صلة النقاد في الازمنة الغابرة وانه

يكتب لقراء يختلفون عن اسلافهم • ان عندى ثمة انطباع يشير الى ان النقد  
الجدى يكتب الآن لطبقة ضيقة ولكنها ليست اضيق بالضرورة من طبقة  
القراء فى القرن التاسع عشر •

ولقد ادهشتنى قبل وقت ليس بالبعيد ملاحظة قدمها السيد [ الدس  
هاكسلى ] فى مقدمته للترجمة الانكليزية فى كتاب [ الحكمة العظيمة ]  
وهو كتاب قام بتأليفه المحلل النفسانى الكبير الدكتور [ هيوبرت بنوار ]  
حول نفسية [ زن ] البوذية ، فلقد جاءت ملاحظة السيد هكسلى موافقة  
للانطباع الذى تكون عندى على اثر قراءتى لذلك الكتاب العظيم اذ يقارن  
هكسلى بين التحليل النفسى الغربى وبين الطريقة الشرقية فى ضبط النفس  
كما فى مبدأ [ تاو ] و [ زن ] فيقول :-

[ ان الهدف فى التحليل النفسى الغربى هو مساعدة الشخص  
المضطرب على تكيف نفسه للحياة فى مجتمع مؤلف من اشخاص اقل  
اضطرابا - اشخاص يبدو عليهم حسن تكيف بعضهم للعيش مع البعض  
الآخر فى ظل المؤسسات المحلية ، ولكن تكيفهم للنظام الاساسى للاشياء  
ليس موضع تحرر أو استقصاء •• بيد أن هناك نوعا آخر من السلوك  
الاعتيادى وهو الاداء التام للوظائف •• فحتى الرجل الذى يعيش فى وئام  
تام فى مجتمع مضطرب يستطيع ان يهوى نفسه ان شاء للانسجام مع طبيعة  
الاشياء ] •

ولا شك فى ان انطباق هذا القول على الموضوع الحالى غير واضح  
لاول وهلة ، ولكن لما كان التحليل النفسى الغربى هو من وجهة نظر  
[ زن ] البوذية مرتبك وغير واضح فيما يتعلق بالغرض من الشفاء ، وان  
نظرتة تحتاج الى توضيح بشكل عكسى ، لذا فانى اتسائل عما اذا كانت  
نقطة الضعف التى يشكو النقد الحديث منها هى عدم التأكد من الغرض  
الذى وجد النقد من اجله والفائدة التى يؤدّيها والجهة التى تعود عليها  
الفائدة وربما كان غنى النقد نفسه وتنوع اشكاله هو سبب غموض هدفه  
العام وقد يكون لكل نقد هدف معين يهدف اليه أو قد يعنى بمهمه لا تحتاج

الى تدبير ومع ذلك تكون غاية النقد نفسه مجهولة فاذا كان الامر كذلك فهو ليس بالشئ الغريب ، وذلك لانه من المؤلف اليوم ان نجد العلوم وحتى الدراسات الانسانية قد بلغت درجة من النمو والتطور تضاعفت فيها المعلومات المتعلقة بكل فرع من فروع الاختصاص حتى تعذر على طالب البحث الا ان يأتى شئ آخر . وقد اصبح البحث عن منهج يجمع بين الدراسة الاختصاصية والثقافة العامة من المشاكل التي كثر النقاش حولها في جامعاتنا .

انا بطبيعة الحال غير قادرين على الرجوع الى عالم ارسطو أو القديس [ توماس اكوينيس ] كما اننا لا نستطيع الرجوع الى الحالة التي كان عليها النقد الادبي قبل عهد [ كولرج ] ولكننا ربما تمكنا من القيام بعمل يوفر علينا شدة الانغمار في خضم الفعاليات النقدية وذلك عن طريق توجيه هذا السؤال لانفسنا باستمرار الا وهو :- « متى تنتهي ضفة الادب من النقد فيصبح شيئا آخر ؟ »

ان شيئا من الحيرة يملكني احيانا وذلك عندما يصفني البعض بأب النقد الحديث لان سني المتقدمة لا تسمح لي بان اكون ناقدا حديثا ، وهكذا وجدت في كتاب قرأته مؤخرا لكاتب لا بد ان يكون ناقدا حديثا ، العبارة التالية ، [ وانا لا اعني النقاد الامريكان فقط بل اقصد حركة النقد باجمعها ، تلك الحركة التي انبعثت من ت. ر. اليوت ] ولست افهم لماذا يفصلني الكاتب تماما عن النقاد الامريكان في الوقت الذي يتعذر عليّ ان اجد اية حركة في النقد يمكنني ان اكون مصدرا لها ، ولو اني ارجو ان اكون قد ساهمت عندما كنت محررا صحفيا في تشجيع النقد الحديث أو جزءاً منه وفي تهيئة الفرصة لممارسته في مجلة [ الكرايتون ] ولكنني ارى ان الواجب يحدوني الى تبرير هذا التواضع فاشير الى ما يمكن اعتباره مساهمة مني في النقد الادبي ورسم حدوده .

ان احسن ما قدمته في حق النقد الادبي - باستثناء بعض العبارات ذات الصيت السيئ التي كان لها نجاحا مجيرا في العالم حقا - ينحصر في مقالات تدور حول شعراء وكتاب مسرحيات شعرية كان لهم الاثر الكبير



في . وهذه عبارة عن نتاج عرضي لفعاليات خاصة اجريتها في - مختبري - الشعري  
أو امتداد للتفكير الذي بذلته في نظم القصائد الشعرية العائدة لي . والآن  
عندما أتأملها أجد ان خير مؤلفاتي كانت عن الشعراء الذين اثر شعرهم في  
انتاجي الشعري والذين الفت اشعارهم تماما قبل ان افكر في الكتابة عنهم  
او اجد الفرصة المناسبة لذلك بوقت طويل .

ان اساليب النقد عندي هي كأساليب [ ازرا باوند ] من ناحية معينة  
وحتى انه ليس بالامكان تبين محاسنها وعيوبها الا عن طريق تحديد مقدار  
ارتباطها بالشعر الذي كتبه . فنقد الشاعر « باوند » يحتوى على دافع  
تعليمي اكبر والقارئ الذي كان يقصد اليه بشعره هو كما اظن الشاعر  
الشاب الذي لما يتكون له اسلوب ثابت ، بيد ان حبه لبعض الشعراء هو  
الذي اثر فيه وكذلك ادى امتداد تفكيره في انتاجه الى ان يوحى اليه بوضع  
كتاب في سن مبكرة يعد من خير ما ألفه الا وهو « روح الرومانس » ان  
لهذا النوع من النقد الشعري للشاعر والذي سميت [ نقد المبتدئين ] عيبا  
واحدا . فجميع ما لا يمت الى عمل الشاعر بصلة أو كان على التقيض منه  
فهو خارج طاقته الفنية ، وعيب آخر من عيوب [ نقد المبتدئين ] هذا هو ان  
احكام الناقد قد لا تكون صائبة خارج حدود فنه . فقد بقي تمنيني للشعراء  
ثابتا تقريبا طول طياتي كما بقيت ارائي حول جماعة من الشعراء المعاصرين  
كما كانت دون تغير وعليه فهو ليس بالسبب الوحيد الذي حدا بي الى  
الكلام عن النقد الشعري في بحثي هذا عن النقد ، فالشعر في الحقيقة هو  
الموضوع الذي كان يبحثه اغلب النقاد في الماضي عندما كانوا يصدرون  
الاحكام العامة في الادب . ان نقد الادب الثرى هو حديث النشأة نسبيا  
وليست لي المؤهلات الكافية التي تمكنتي من بحثه ولكن يبدو لي انه  
يحتاج الى مجموعة من الاوزان والمقاييس التي تختلف عما يحتاجه الشعر  
وربما استمد منه ناقد النقد [ وهو من لم يكن شاعرا ولا روائيا ] مادة  
لموضوع طريف يبحث فيه الفروق الفردية بين الاساليب التي ينبغي على  
الناقد اتباعها في بحثه عن الموضوعات الادبية وبين انواع الوسائل التي  
يحتاج اليها ، بيد ان الشعر هو اسهل اداة للنقد يمكن ان نذكرها عند



الكلام عن النقد ، وما ذلك الا لسهولة خضوع صفاته الظاهرية للتعميم  
فقد يبدو الاسلوب فى الشعر هو الكل وهو شئ بعيد جدا عن الحقيقة ،  
ولكن الاعتقاد الخاطيء الذى يقول باننا فى الشعر نكون فى تماس اكبر  
مع التجربة الفنية الخالصة يجعل الشعر عند البحث عن النقد الادبى نفسه  
من أكثر الالوان الادبية فائدة وسهولة فى التذكر .

ان الكثير من النقد المعاصر الذى وضع بعد تحول النقد الى دراسة  
علمية والدراسة العلمية الى نقد يمكن وصفه بانه [ نقد التفسير ] وهو  
الرجوع الى مصادر القصيدة ولكى اوضح ما اقصد بذلك سوف اذكر  
كتابين كان لهما فى هذا الخصوص اثر سئ ، ولست اعنى انهما كتابان  
رديتان بل العكس ، فهما كتابان ينبغى للجميع التعرف عليهما فالاول هو  
كتاب [ كون لفنكستون لوس ] وعنوانه [ الطريق الى كسادو ] وهو كتاب  
انصح جميع طلاب الشعر بقراءته ، والكتاب الآخر هو [ فنكس ويك ]  
وهو كتاب احبذ قراءة بعض اجزائه على الاقل . فقد كان [ لفنكستون  
لوس ] بحثا ممتازا ومدرسا ناجحا واسانا محبوبا ورجلا يدين له بعض  
الناس - وانا منهم - بالكثير ، اما جيمس جويس فقد كان رجلا عبقريا  
وصديقا شخصيا لى ولكن ذكرى لـ [ فنكس ويك ] هنا لم يكن فى معرض  
المدح ولا الذم بهذا الكتاب الذى هو فى الحقيقة فى مصاف الكتب  
الخالدة ، بيد ان الصفة الوحيدة المشتركة التى نجدها فى هذين الكتابين  
هى اننا نستطيع ان نقول عن كل واحد منهما :- كتاب واحد كهذا يفى  
بالغرض المطلوب .

وسوف اقول لاولئك الافراد الذين لم يقرأوا [ الطريق الى كسادو ]  
موضحا انه قطعة مدهشة من قوة الملاحظة والاكتشاف فلقد كشف [ لوس ]  
عن جميع الكتب التى قرأها [ كولرج ] [ وكان كولرج يلتهم جميع  
انواع الكتب بشراهة لا حد لاشباعها ] والتى استعار منها صورا وعباراتا  
يمكن ان نجدها فى [ كوبلا كان ] و [ البحار العجوز ] . ان معظم الكتب  
التى قرأها كولرج غامضة غفى عليها النسيان ، فلقد قرأ مثلا جميع الرحلات

التي كانت في متناول يده ، وقد بين [ لوس ] للمرة الاولى والاخيرة ان الاصالة الشعرية هي على العموم طريقة فريدة لجمع اكثر المواد اختلافا وتناقضا وتكوين بكل جديد منها ، وشرحه هذا في غاية الاقتناع كما انه دليل على الكيفية هضم للمواد المختلفة وتحويلها بواسطة العبقرية الشعرية الى مادة جديدة ، اذ لا يستطيع احد بعد الانتهاء من قراءة هذا الكتاب ان يزعم انه صار يفهم [ البحار العجوز ] بصورة دقيقة ، كما ان غرض الدكتور لوس لم يكن ابدأ تقديم شرح لمعاني القصيدة ، فقد كان منهماكا في بحث عن اسلوب العمل وهو موضوع يقع خارج حدود النقد الادبي تماما .

ان كيفية استحالة مثل هذه المواد الناتجة عن قراءة كولبرج المتباعدة الى شعر رائع لم تزل كما كانت كغزا كبيرا ، ومع ذلك يعتقد بعض الباحثين المتفائلين بان طريقة لوس هذه تمدنا بمفتاح يسهل علينا فتح مغلق أى قصيدة لاي شاعر يبدو عليه انه قرأ شيئا ما . . . ولقد كتب لي رجل محترم من [ انديانا ] قبل سنة أو أكثر يقول : [ اننى لا عجب ان كانت هناك علاقة - طبعاً قد اكون مجنوناً - ( وهذه عبارته هو وليست عبارتي وليس الرجل مجنوناً فقط بل به مس قليل في زاوية من عقله اصيب به من جراء قراءته « طريق كزنادو » ) اننى لا عجب ما اذا كان ثمة علاقة ملموسة بين ( قطط الحضارة الميتة ) و ( الكركدن المتفسخ ) وبين ( ذلك الحدث الذي زرعه السنة الماضية في حديقتك ؟ ] لاشك ان هذه العبارة تبدو كالهذيان ما لم تتمكن من التعرف على مصادرها اذ أنها صادرة من باحث جاد في محاولته لتقرير العلاقة بين [ الارض الخراب ] وكتاب [ قلب الظلام ] لجوزيف كونراد .

وبينما المهلب الدكتور لوس نفوس اولئك الذين يمارسون التفسير بحماس منقطع النظير ، امدهم [ فنكس ويك ] - بنموذج لما يرجون أن تكون عليه جميع الاعمال الادبية ولكن يجب ان ابادر الى توضيح هذه الحقيقة وهي اننى لست اروم الاستهانة أو التقليل من قيمة هؤلاء المفسرين الذين اخذوا على عاتقهم حل جميع العقد ومتابعة كل الالغاز الموجودة في ذلك الكتاب ، واذا ما قدر لفنكس ويك ان يكون في متناول الفهم

- ولا شك في أننا عاجزون عن فهمه بغير هذا الجهد - فيجب متابعة مثل هذا التمهيد والتحقيق ، وإن السادة كامبل وروبينسن [ وهما مؤلفان لكتاب واحد من هذا القليل ] قد ادوا خدمة جليلة ، وإن كان ثمة ما اشكو منه فهو جيمس جويس صاحب المؤلف الشاذ المشهور « فنكنس ويك » وذلك لأنه باختصار صاغ أجزاء كبيرة منه في عبارات فارغة ولكنها جميلة « جميلة جدا عندما يترتلها صوت أيرلندي يشبه بغدوبته صوت المؤلف - كم أتمنى لو أنه قام بتسجيلها ! » وربما لم يدرك جويس مدى غموض كتابه هذا • ومهما كان الحكم النهائي عن « فنكنس ويك » - وهذا ما يخرج عن حدود غرضي هنا - فلست اعتقد أن الشعر عادة يكتب بهذه الصورة « إن الكتاب عبارة عن قصيدة نثرية طويلة » أو يحتاج إلى مثل هذا التحليل لكي يتم فهمه وتذوقه ولكنني أظن بأن لغز فنكنس ويك قد شجع على رواج الخطأ الشائع اليوم ، وهو الخلط بين التفسير والفهم • وبعد إخراج مسرحيتي « حفلة السكوتيل » استمر البريد يحمل لي مدة ثلاثة أشهر أعدادا هائلة من الرسائل كانت كلها تحتوي على حلول مدهشة لما كان يعتبره أصحابها معنى المسرحية الغامضة • وكان واضحا أن محرري هذه الرسائل لا يستذكرون وضعي لمثل هذه الاحجية أمامهم ، فلقد احبوها ، وفي الواقع انهم قاموا ، دون أن يشعروا ، بخلق هذه الاحجية لكي يتمتعوا باكتشاف الحل لها • وهنا يجب أن اعترف بأنه لا يمكن تبرئتي تماما من تهمة التعبير بهم على الأقل في مناسبة واحدة فقط • أما بشأن الملاحظات التي ذيلت بها « الأرض الخراب » فلقد كنت أقصد بها في بادئ الأمر ذكر جميع المصادر التي اقتبست منها استشهاداتي المختلفة للرد على تخرصات نقاد قصائدي الأولى الذين اتهموني بالسرقة الأدبية • وعندما تم طبع « الأرض الخراب » بعد ذلك على شكل كتاب صغير [ لأن القصيدة عندما ظهرت لأول مرة في مجلة « الدايل » وال « كريتيون » كانت خلوا من التذييل ] ، وجدت بأن القصيدة كانت قصيرة جدا مما حدا بي إلى استئناف العمل من جديد لتوسيع ذلك التذييل واعداد صفحات أكثر من المادة المطبوعة فكانت

النتيجة ان اصبحت تلك الملاحظات هدفا عجبيا للدراسات العلمية الزائفة  
التي لا تزال مستمرة حتى هذا اليوم . وطالما فكرت فى نبذ هذه الملاحظات  
الا ان ذلك الامر اصبحت عسيرا اليوم فلقد كانت تلك الملاحظات موضع  
اعجاب اكثر من القصيدة ذاتها حتى صار الذين يشترون الديوان ولا  
يجدونها فيه يطالبون بارجاع نقودهم اليهم ، بيد انى لا اعتقد ان هذه  
الملاحظات قد اضررت الشعراء الآخرين . فانا لا استطيع مطلقا ان اتصور  
وجود احدا بين الشعراء الفحول المعاصرين ممن لا يحسن استعمال عملية  
التذليل هذه [ اما بخصوص الأنسة ماريان مور فان ملاحظاتها عن  
قصائدها سديدة دائما كما انها موضع العجب والمتعة ولا تشجع ابدا الباحثين  
عن مصادر الاشياء على التماذى فى غيهم ] فانا اذن لست بنادم على كتابة  
هذه الملاحظات بسبب المثل السيء الذى ضربته فيها للشعراء الآخرين . ان  
سبب ندمى يرجع الى كون ملاحظاتي اثارت النوع الخاطيء من الاهتمام  
بين الباحثين عن المصادر . وكان من العدل طبعاً ان اشيد بعمل الأنسة  
( جسى وستن ) ولكنى اسف لانى اطلقت هذا العدد الكبير من المستطلعين  
فى صيد الوز البرى للبحث عن أصل لعبة ورق [ التاروت <sup>(١)</sup> ] و [ الكأس  
المقدس <sup>(٢)</sup> ] .

وبينما كنت اتأمل هذه المعضلة ، أى محاولة فهم القصيدة عن طريق  
شرح مصادرهما عثرت على مقطوعة ل [ س . س . فيك ] ظهر لى ان لها بعض  
الارتباط بهذا الموضوع . ولقد استشهد بهذه المقطوعة الاب [ فكتور  
هوايت ] فى كتابه [ الله واللاشعور ] . ولقد ذكرها الاب هوايت فى أثناء  
شرحه للفرق الاساسى بين طريقة [ فرويد ] وطريقة [ يانك ] .

---

(١) لعبة التاروت : هى لعبة ورق كانت شائعة فى ايطاليا فى القرن  
الرابع عشر ولا يعرف اصل هذه الكلمة ، كما ان قواعد اللعبة نفسها  
موضع حدس وتخمين .

(٢) الكأس المقدس : هى ، كما فى اقصيص القرون الوسطى ،  
الاناء الذى شرب المسيح منه أثناء العشاء الاخير والذى أصبح هدف مغامرات  
الفرسان فى قصص القرون الوسطى حيث كانت تدور المغامرات التى يقوم  
بها هؤلاء الابطال حول البحث عنه .

« ان من الحقائق المعروفة لدى الجميع [ كما يقول يانك ] هي انه يمكن النظر الى الحوادث الطبيعية من زاويتين [ الميكانيكية ] - الآلية - والحيوية فالنظرة الميكانيكية هي سببية محضة اذ يتم فهم الحادثة من وجهة النظر هذه باعتبار انها وقعت نتيجة لسبب معين ... وبالعكس فان النظرة الحيوية هي فاصلة في جوهرها . فالحادثة الواحدة من وجهة النظر النشاطية تُبحث من الاثر الذي تحدثه حتى سبب حدوثها باعتبار ان النشاط هو الاساس الجوهرى للتغيرات التى تطرأ على الظواهر » .

ان هذه المقطوعة مأخوذة من المقالة الاولى لكتاب [ مساهمة في علم النفس التحليلي ] واريد ان اضيف اليها جملة اخرى لم يذكرها الاب هوait وهي التى يفتح بها المؤلف فقرة اخرى : « لا يمكن الاستغناء عن اية وجهة نظر من هاتين الوجهتين في فهم الظواهر الطبيعية » .

ان هذه العبارة توحى بكثير من المعانى اذ يستطيع المرء ان يشرح اية قصيدة بواسطة التحرى عن عناصرها المكونة والاسباب التى ادت الى نظمها وقد يكون الشرح تحضيريا ضروريا للفهم . ولكن لكى نفهم قصيدة معينة ينبغي ايضا ان نحاول فهم ما يهدف اليه الشاعر ، أو بعبارة أفضل ، ان نحاول فهم مضمونها الكامل .

وربما كان النوع الوحيد من النقد الذى يظهر فيه خطر الاعتماد المفرط على الشروح السببية تماما ، هو دراسات السير النقدية لا سيما عندما يكون كاتب السيرة قد ذيل معلوماته عن الحقائق الخارجية بتخمينات نفسية عن تجارب الكاتب الداخلية ولست اريد بهذا ان تبقى شخصية الشاعر الراحل وحياته الخاصة ارضا مقدسة لا يجوز للعالم النفسى ان يطأها اذ يجب ان يكون العالم حرا في دراسة مثل هذه النواحي كلما دفعه حب الاستطلاع لبحثها طالما كان ( الضحية ) في عداد الاموات وكان من المتعذر الاستعانة بقوانين الطعن والقذف لايقاف ذلك العالم النفساني عند حده . كما انه لا يوجد اى سبب يدعو الى عدم كتابة سير الشعراء . هذا بالاضافة الى ان كاتب سيره اى مؤلف من المؤلفين يجب ان يمتلك قابلية على النقد ،

كما يجب ان يكون ذا ذوق وحكمة ومن المعجبين باعمال ذلك الرجل الذى يروم الكتابة عن سيرته ، وعلى العكس من ذلك ، ان اى ناقد له اهتمام كبير بمؤلفات كاتب ما يجب ان يكون ملماً بسيرة حياته • بيد ان السيرة النقدية لحياة أى كاتب هى ، بحد ذاتها مهمة دقيقة والناقد ، كاتب السيرة الذى يطبق فى موضوعه طرق التحليل النفسى الماثلة التى تعرف عليها فى مطالعاته لكاتب علماء النفس [ ان لم يكن عالماً نفسانياً مجرباً ومدرباً ] يزيد فى تشويش الموضوع وارباكه •

ان مدى الفائدة التى يجنيها القارئ من المعلومات الخاصة بحياة الشاعر لكى يفهم شعره ليست بالبساطة التى يتصورها البعض ، فالقارئ هو الذى يجب ان يقررها لنفسه ، وان يُجيب عنها بصورة عامة كلما دعت الضرورة الى ذلك ، لانها قد تكون ذات اهمية عظمى فى حالة شاعر معين ، وليست بذات بال فى حالة شاعر آخر اذ يمكن ان يكون التذوق الشعرى تجربة معقدة تمتزج فيه ألوان مختلفة من الاطمئنان ، وقد تكون ممزوجة بنسب متفاوتة بالنسبة لكل قارئ ، وسأورد مثلاً على ذلك [ ان من المتفق عليه بصورة عامة هو ان الجزء الاكبر من شعر ( ورد سورت ) كتب خلال فترة قصيرة من الزمن فهى قصيرة بحد ذاتها وقصيرة بالنسبة لطول حياة ورد سورت ، ولقد قدم طلاب ورد سورت المتباينون تفسيرات مختلفة لتبرير ضعف انتاجه المتأخر ، وكتب السير هربرت ريد منذ سنوات مضت عنه وكتابه طريف ] رغم اننى اعتقد ان خير تبيين لورد سورت هو كتاب « رداء متنوع الالوان » [ يشرح فيه نشوء وازدهار عبقرية ورد سورت بالنسبة للآثر الذى تركته فى نفسه قصته مع [ انت قالون ] اننى اخذت المعلومات عنها فى الظهور آنذاك • ولقد كتب المستر ف • بيتسون مؤخراً كتاباً ذا اهمية عظيمة ايضا ] يساعد الفصل الخاص فيه عن ( الصوتين ) على تفهيم اسلوب [ ورد سورت ] • وهو يذكر فى كتابه هذا ان ( آنت ) ليست لها الاهمية الكبيرة التى يتصورها السير هربرت ريد وان السر الحقيقى هو ان [ ورد سورت ] كان مشغولاً بحب اخته ( دوروثي ) وان هذا يفسر لنا بصورة خاصة

المقصود من قصائد (لوسي) كما يفسر زوال الوحي عن [ورد سوٲ] بعد زواجه • وقد يكون ريد بهذا على حق فان حججه قوية ولكن المسألة الحقيقية التى ينبغى على كل من يقرأ لورد سوٲ ان يبت فى مدى اهمية ذلك وهل ان هذه الحقيقة تساعد على فهم قصائد لوسي اكثر من السابق • واذا جاز لى ان اتكلم عن نفسى فسأقول بان معرفة الدوافع التى ادت الى ظهور القصيدة ليست هى بالضرورة عوناً على فهمها فقد تؤدى المعلومات الزائدة عن القصيدة الى الحيلة دون الاتصال بها ، فانا لا اشعر باى حاجة الى القاء اى ضوء على قصائد لوسي ، غير الضوء الذى ينبثق منها وليست اقصد بهذا الكلام الى انه لا توجد مناسبة يمكن لهذه المعلومات أو التخمينات التى قدمها كل من سير هربرت ريد والمستر بيتسن تكون فيها نافعة ، انها مفيدة اذا ما اردنا فهم ورد سوٲ ولكنها غير مفيدة مباشرة فى فهمنا لشعره ، او بالاحرى انها ليست مهمة فى فهم الشعر كشعر ، وانى على استعداد للقول بان ثمة اشياء كامنة فى جميع القصائد الخالدة لا يتغير تفسيرها ويجب ان تبقى كذلك مهما كانت معلوماتنا عن الشاعر كاملة وهذه هى الاشياء المهمة جدا فى القصيدة ، فعندما يتم نظم القصيدة يكون شيئاً جديداً قد حدث وهذا الشيء هو الذى نقصد اليه بكلمة [الخلق] كما اعتقد •

وليس تفسير الشعر بواسطة تفحص مصادره هو النهج الذى تقره مدارس النقد المعاصرة ابداً ، ولكنه الطريق الذى يحقق رغبات كثير من قراء الشعر التى تقضى بان يفسر لها الشعر بلغة مغايرة ، ان القسم الاعظم من الرسائل التى تردني من اشخاص مجهولين حول قصائدي تحتوى على مطالب بخصوص نوع التفسير الذى يتعذر عليّ اعطائه • وهناك بعض الاتجاهات الاخرى كالتى يمثلها البروفسور [ردتشارد] فى اختياره مسألة تدريس التذوق الشعرى على احسن وجه أو عن طريق الدقة اللفظية التى ينادى بها تلميذه اللامع البروفسور [امبسن] ولقد جذب انتباهي مؤخراً نوع من التطور الذى اعتقد ان منشأه يكمن فى الطرق



التجريبية التي كان يستخدمها البروفسور ردتشارد والتي هي بحد ذاتها رد فعل سليم ضد تحويل الاذهان من الشعر الى الشاعر وهو ما نجده في كتاب طبع قبل مدة قصيرة تحت عنوان [ تفاسير ] ويتألف من سلسلة من مقالات كتبها اثنا عشر ناقدًا انكليزيا شابًا حللوا في كل واحدة منها قصيدة من اختيارهم الخاص والطريقة التي اتبعوها هي انهم اخذوا قصيدة من القصائد المشهورة [ ان كل قصيدة جرى تحليلها في هذا الكتاب هي جيدة من نوعها ] دون الاشارة الى المؤلف أو اعماله ، فلجأوا الى تحليلها قطعة قطعة أو يتا فبت وقاموا باستخلاص واستخراج كل جزء من معانيها بقدر المستطاع وربما امكن تسمية هذه المدرسة بمدرسة [ عاصري اليمون ] .

ولما كانت القصائد ترجع الى فترة تمتد بين القرن السادس عشر والوقت الحاضر كما تختلف كثيرا الواحدة عن الاخرى - يبدأ الكتاب بقصيدة [ العنقاء والسليحفة ] لشكسبير وينتهي بـ [ برفروك ] ، وقصيدة ( يتس ) [ بين تلاميذ المدارس ] ، ولما كان كل واحد من النقاد يتبع طريقة خاصة جاءت النتيجة ممتعة ومربكة قليلا ، ويجب ان نعترف بان دراسة اثني عشر قصيدة وتحليل كل واحد منها بآناة وصبر هي طريقة متبعة في قضاء الوقت ، وانا اتصور ان بعض هؤلاء الشعراء [ وقد قضوا نحبهم جميعا ما عداي ] سيندهش عندما يعلم بما تعنيه قصائدهم ، ولقد اصابتنى قليلا من الدهشة مرة أو مرتين وذلك عندما علمت بان الضباب الذي جاء ذكره في مطلع [ برفروك ] قد تغلغل بطريقة ما الى غرفة الاستقبال . بيد ان تحليل [ برفروك ] لم يكن محاولة للوقوف على المصادر أو الاصول سواء كان في الادب أو في الزوايا الغامضة في حياته بل كانت محاولة للوقوف على المعنى الحقيقي للقصيدة ، سواء كان ذلك المعنى الذي قصده انا ام لم يكن .

ولقد شعرت بالامتنان لذلك ، وكانت هناك عدة مقالات خيل لي بانها جيدة بيد انه لما كان لكل طريقة نواقصها ومخاطرها لذا فان من الانصاف ان اذكر ما يبدو لي من نواقص ومخاطر في هذه الطريقة ، تلك المخاطر التي ينبغي للاستاذ ان يحذر تلاميذه منها وذلك اذا صح اعتقادي عن الغاية



الرئيسية التى تستخدم فيها الا وهى تمرين الطلاب •

ان الخطر الاول يكمن فى الاعتقاد بضرورة وجود تفسير واحد للقصيدة ، وان ذلك التفسير هو التفسير الصحيح وستكون هناك شروح تفصيلية للقصائد المنظومة فى عصر يختلف عن عصرنا ، كما توجد معلومات عامة واشارات تاريخية ومعاني كلمات معينة استعملت فى وقت معين يمكن التثبت منها ويستطيع الاستاذ ان يتأكد من ضبطها من قبل الطلاب ، ولكن معنى القصيدة العام لا يوفيه أى تفسير معين لانه يتوقف على ما توحى به القصيدة للشعراء المختلفين من ذوى الحس المرفه •

اما الخطر الثانى وهو الذى لم يقع فيه أى ناقد من الذين ساهموا فى الكتاب المذكور كما اظن ، والذى يتعرض له الشعراء عادة ، هو اعتبار التفسير المصيب للقصيدة تعبيراً ارادياً أو غير ارادياً لما يريد المؤلف بحكم الضرورة ، لان الاتجاه السائد هو اننا نفهم القصيدة عندما نشخص مصادرها ونتبع العملية التى اخضع الشاعر موادها بها ، وهذا الاتجاه سائد الى درجة اننا يمكننا تصديق العكس بسهولة وهو ان أى تفسير للقصيدة هو تفسير لكيفية كتابتها • وقد افادنى شخصياً التحليل الذى اشرت اليه سابقاً لقصيدتى ( برفروك ) ، وذلك لانه ساعدنى على النظر الى القصيدة من زاوية القارئ ذى الحس المرفه والنشاط العظيم ، ولكن هذا لا يعنى ابداً ان المفسر قد نظر الى القصيدة من زاويتى انا او ان شرحه يمت بأية صلة الى التجارب التى دفعتنى الى كتابتها أو الى أية تجربة صادفتنى أثناء عملية الكتابة •

والتعليق الثالث هو انه يعجبني ان اطبق هذه الطريقة للاختبار على قصيدة جديدة لم يسبق لى ان رأيتها ، وذلك لاننى ارجب فى اكتشاف ما اذا كنت قادراً على التمتع بها بعد قراءتى للتحليل اذ ان جميع القصائد المذكورة فى الكتاب المشار اليه هى من القصائد التى كنت اعرفها واحبها منذ سنوات عديدة ، وبعد قراءتى للتحليل وجدت ان من الصعب على استرجاع عواطفى السابقة تجاه تلك القصائد فكأنما طلب الى اعادة صنع ماكنة فككت

جميع اجزائها ، فانا فى الحقيقة اعتقد ان جزءاً كبيراً من كلمة التفسير يكمن من انه يعود الى شخصيا ، فربما كانت هناك عدة اشياء يمكن معرفتها عن هذه القصيدة أو تلك وهى حقائق متنوعة يستطيع الباحثون اسعافى بها ويمكن ان تساعدنى هى بتجنب سوء فهم محقق ، ولكنى اعتقد ان أى تفسير صائب يجب ان يكون فى نفس الوقت تعبيراً عن شعورى عند قرائته .

ان اعطائى فكرة شاملة عن جميع ضروب النقد الادبى المتبعة عندما فى الوقت الحاضر ليس جزء من الغرض الذى استهدفه فقد اردت بادىء الامر ان الفت الانظار الى التغير الكلى الذى يطرأ على النقد الادبى والذى يمكن القول انه بدأ بـ ( كولرج ) ولكنه تقدم بسرعة اعظم خلال الخمسة والعشرين سنة الماضية ، ومما ساعد على زيادة هذه السرعة هو ارتباط العلوم الاجتماعية بالنقد وتدریس الادب [ بما فى ذلك الادب المعاصر ] فى الكليات والجامعات . ولست بأسف على حدوث هذا التحول ، ذلك لانه يبدو لى ان حدوثه اكيد ، ففى عصر الشك ، العصر الذى تملأ فيه العلوم الجديد الناس حيرة واضطراباً ، العصر الذى لا يوجد فيه الا القليل من الحقائق المسلم بها كالاعتقدات العامة والفرضيات ، والبيئة المشتركة لجميع القراء فى هذا العصر ، لاتبقى ناحية صالحة للاستكشاف فيه الا وطرقت ، بيد اننا ربما تسألنا عما يمكن ان نجده بين كل هذه الانواع المتعددة مما يمكن ان يكون مشتركاً بين جميع أنواع النقد الادبى . لقد اكدت قبل ثلاثين عاماً على الوظيفة الاساسية للنقد الادبى اذ قلت انها [ توضيح الاعمال الفنية واصلاح الذوق ] وقد يبدو هذا التعبير لنا فى عام ١٩٥٦ مليئاً بالمباهات والفخر ولكن ربما استطعت ان اصفه ببساطة أكثر بصورة يمكن قبلها فى هذا العصر أيضاً فأقول ان وظيفة النقد هى [ المساعدة على فهم الادب وتذوقه ] واريد ان اضيف الى ذلك ما تتضمنه العبارة من وجود وظيفة سلبية للادب الا وهى ما لا يجب تذوقه ، لان الناقد قد يدعى فى مناسبة معينة لاستهجان ما هو من الدرجة الثانية والكشف عن النواحي المزيفة . رغم ان هذه الوظيفة هى ثانوية بالنسبة لانتخاب عبارات الاسحسان لما

يستحق الاستحسان ، وينبغي لى التأكيد على نقطة واحدة وهى اننى لا انظر الى تذوق الادب وفهمه ، نظرتى الى فعاليتين متميزتين عن بعضهما ، الاولى عاطفية والثانية فكرية ، ولست اعنى بالفهم التفسير ولو ان تفسير ما يمكن شرحه هو خطوة ضرورية للفهم وسوف اقدم مثالا صغيرا على ذلك فأقول ان تعلم الكلمات غير المألوفة والوقوف على أشكال الكلمات الجديدة هما شرطان اساسيان فى فهم ( جوسر ) وهذا ما يدخل فى باب التفسير ، بيد ان الانسان قد يصبح ملماً بكل ما يتصل بعصر جوسر وعاداته الاجتماعية وعقائده ومعرفته وجهله ومع ذلك لا يستطيع فهم الشعر ، ففهم القصيدة يعنى تقريبا تذوقها للسبب الصحيح وقد يقال ان ذلك يعنى الحصول على المتعة اللازمة للقصيدة ، كالتى يمكن ان تمدنا بها . فالتمتع بالقصيدة واساءة فهم حقيقتها هو التمتع بما هو مجرد انعكاس لتفكيرنا ، فاللغة اداة عسيرة الاستعمال بحيث ان عبارتى [ التمتع ] و [ الحصول على المتعة من ... ] لا يعينان شيئاً واحداً ، حتى ان القول بان احدهم ( يحصل على المتعة من الشعر ) لا يعنى بأنه ( يتذوق الشعر ) ، وفى الحقيقة ان معنى كلمة ( المتعة ) نفسها تختلف باختلاف الشيء الذى يوحى بالمتعة فحتى القصائد المختلفة تجلب درجات متفاوتة من الرضى ، ومن المؤكد اننا لا نتذوق القصيدة بصورة تامة ما لم نفهمها ، وبالعكس فمن الصحيح أيضاً القول باننا لانفهم أية قصيدة ما لم نتذوقها وهذا يعنى تذوقها بالدرجة الصحيحة بالنسبة الى قصائد اخرى . وليس من الضرورى ان نضيف الى ان هذا يعنى بان المرء يجب ان لا يتذوق القصائد الرديئة ما لم تكن ردائتها من النوع الذى يثير ضحكنا ويسلينا .

لقد قلت ان التفسير ربما كان خطوة اولية ضرورية للفهم ولكن يخيّل لى بانى افهم بعض انواع الشعر دون تفسير فمثلا قصيدة شكسبير ..

« يرقد والداك تحت خمس قلمات كاملة من الماء »

أو قصيدة شيلي :

« هل اصابك الشحوب .. »

من جراء تسلق سلم السماء ..

« والتطلع الى الارض .... »

وذلك لان هذه القصائد ، وفي كثير من القصائد الاخرى لا يوجد في نظري أى شىء يمكن تفسيره ، او بالاحرى لا يوجد ما يمكن ان يساعدنى على فهمها بصورة أحسن وتذوقها على خير وجه ، وكما اشرت سابقا فانه يمكن احيانا ان يشتت التفسير انتباهنا كليا عن القصيدة كشعر بدلا من ان يقودنا فى طريق الفهم وربما كان خير سبب عندى على فهم مثل هذا الشعر ، كالقصائد الغنائية لشكسبير وشيلي التى ذكرتها آنفا هو ان هاتين القصيدتين تمداني اليوم بنفس النشوة العظيمة التى كنت احصل عليها قبل خمسين عاما • تمداني اليوم بنفس النشوة العظيمة التى كنت احصل عليها منهما قبل خمسين عاما •

فالفرق اذاً بين الناقد الادبى وبين الناقد الذى يتعدى حدود النقد الادبى لا يكمن فى كون الناقد الادبى هو اديب صرف او انه خال من الميول الاخرى ، فالناقد الذى لا هم له سوى الادب لا يملك ما يقوله لنا الا القليل اذ ان ادبه سيكون افكارا مجردة خالصة ، ان للشعراء ميول اخرى بالاضافة الى الشعر والا كان شعرهم فارغا ، فهم شعراء لان رغبتهم القوية كائنة فى تحويل تجاربهم وافكارهم الى شعر [ والتجربة والتفكير يعنيان ان لهما ميول اخرى خارج نطاق الشعر ] وعليه يكون الناقد ( اديبا ) اذا كان غرضه الاساسى فى كتابة النقد هو مساعدة القراء على الفهم والتذوق - ولكن يجب ان تكون له ميول اخرى تماما كما هى الحال مع الشاعر ، فالناقد الادبى ليس مجرد اختصاصى فنى ، تعلم القواعد التى يجب مراعاتها من قبل الكتاب الذين ينقدهم اذ يجب ان يكون الناقد رجلا كاملا ، رجلا له معتقداته ومبادئه ومعرفته وتجربته فى الحياة •

اذن يمكننا ان نتساءل حينما يقدم لنا أى مؤلف باسم النقد الادبى ما اذا كان يرمى الى الافهام والتشوق ، فان لم يكن كذلك فقد يكون نوعا من النشاطات الحرة المفيدة ، وعند ذاك يجب ان يتم الحكم عليه باعتباره بحثا فى علم النفس أو الاجتماع أو المنطق أو التربية أو أى موضوع

million, a well in Baghdad in the alluvium deposits showed 450 parts per million.

On an examination of a considerable number of samples, it was calculated that the mean total soluble salt in shallow zone (less than 50 feet) underground water measured 3,500 parts per million, and in deeper zone measured 20,000 parts per million, while as in surface water it approximated 1,200 parts per million.<sup>5</sup>

Generally, the Baghdad area has a high water table. The capillary action draws the underground water to the surface through the zone of aeration. Consequently, there is an accumulation of salt at the root zone.

The levee soils, however, are more permeable and therefore allow water to penetrate through the surface and the subsurface, and consequently they are potential sources of underground water. Moreover, as these soils are usually in receipt of irrigation, river, and rain their chemical constituents are not excessive. The levee soils are not deep. Many times the fresh water table almost floats over the saline connate water. Underground water fluctuations have been recorded to average about 5 feet, and as a norm do not exceed 10 feet. Low levels are found in Summer and Autumn, and high levels are recorded during late Winter, Spring, early Summer.

#### References

1. G. Munir Ahmed, GEOGRAPHY AND URBANIZATION (BAGHDAD Bulletin of the College of Arts and Science, 1958) Vol. III.
2. A. E. Smailes, GEOGRAPHY OF TOWNS (London, 1953) p-41.
3. A.A. Duri, BAGHDAD in the Encyclopedia of Islam (London 1958) Vol I, Fasciculus 14, p-894.
4. Jassim Al-Khalaf, The Climate of Iraq (Baghdad: Bulletin of the College of Arts and Science, 1957) Vol II pp 201-208 followed by a series of maps. Also, Climatological Atlas of Iraq (Baghdad, 1945) Publication No. 8.
5. It has been determined that water containing more than 3,500 parts per million of mean total soluble salt is unsatisfactory for domestic use. For a detailed examination of the underground water resources of Iraq, refer to "Groundwater Resources of Iraq".

mixed with the top soil. These soils, specially the river and irrigation levee soils, are relatively free from salinity owing to the fact of good permeability and a natural drainage toward the basins.

Whenever superfluous water stagnates in any depression the characteristic soils are the basin soils. These contain a high percentage of silt, lime, and gypsum, and as a result, they are impermeable. Since they are uncultivable, they produce good grazing lands.

The river Tigris, as other present streams in the Mesopotamian plain, is continuously depositing clay, silt, and sand, and many times these are intermixed with some gravel. Furthermore, Baghdad is located in the flood plain of the Tigris, and consequently it has considerable amount of flood plain deposits. In one of the drilling operations, about 100 feet east of the tigris, the flood plain deposits were found to be 66 feet in thickness in the Baghdad area.

#### **SURFACE AND UNDERGROUND WATER:**

The chief source of surface water in the Baghdad area is the Tigris river. Generally, the quality of the surface water is regarded satisfactory for use in irrigation. As far as domestic use is concerned, the presence of foreign organic matter causes enough pollution as to render its use undesirable.

The Tigris river, on an average, contains 300 parts per million salt, and together with the Euphrates river, it deposits more than 5,000,000 tons of salt in irrigated lands annually. There is poor drainage and a high water table, and these factors limit the loss by evapo-transpiration process. Consequently, a surprising amount of salt is being deposited at the surface.

The quality of the underground water is influenced by the nature of the irrigation water used on the surface, for the surface water infiltrates through the soils into the underground water reservoirs. The flood plain deposits, which are abundantly found in the Baghdad area, contain limestone, gypsum, marl, and sandstone formations.

Chemically, the major constituents of both the surface and the underground water include calcium, sodium, and magnesium cations, and bicarbonates, sulphates, and chloride ions. Surface waters usually contain low nitrate concentrations, but boron concentrations are less than 0.5 parts per million.

Furthermore, underground water found in the alluvium deposits shows a low content of nitrate as compared to other rock formations. Though surface water usually contains not more than 25 parts per

## CLIMATE :

The climatic region in which Baghdad is located has been classified with different terminology;<sup>4</sup> it has been termed low latitude desert type, Semi-arid or Steppe type (BSHW), and low latitude Steppe. One of the dominant features of this climatic region is its vicinity to the Mediterranean type of climate. Aside from the intricacies of terminology, the distinguishing characteristics are the hot day summers and cold wet winters which are experienced in Baghdad. Annual as well as diurnal ranges of temperatures are very significant.

Ninety five percent of the rainfall normally occurs between November and April. Winds from the North-west bring severe dust and sand storms which may, occasionally, frequent very often, and even their stay may be prolonged. Wind velocities may reach as high as 40 - 50 knots an hour.

Winter temperatures may seldom record below the freezing point. On an average, the first killing frost of autumn occurs during the first half of December, and the last killing frost of the Spring occurs during the latter part of February. As a result, the Baghdad area enjoys a long growing season. The following table shows the monthly distribution of temperatures at Baghdad, and relative humidity, based on a 15 year record:

TABLE 2.

### BAGHDAD: TEMPERATURES IN F°.

MEAN	Jan	Feb	Mar	Apr	May	Jun	Jul	Aug	Sep	Oct	Nov	Dec	Annual
HIGHEST	49	53	60	71	83	90	94	94	87	77	63	52	73
LOWEST	77	86	90	104	122	119	121	120	116	107	94	79	121
RELATIVE	18	23	27	37	51	58	62	64	51	39	29	20	18
HUMIDITY	71	63	56	47	33	24	23	24	28	36	56	71	44

## SOILS :

The most representative Soils in the Baghdad area are the levee soils. These soils owe their origin to the silt deposits of the Tigris river and former systems of irrigation. These are laid on basin clay, and they are homogeneously mixed with the top soil. These soils owe their origin to the silt deposits of the Tigris river and former systems of irrigation. These are laid on basin clay, and they are homogeneously

# STRATIGRAPHIC SUMMARY

TABLE 1

Age	Formation	Lithology	Thickness	Occurrence	Ground water characteristics
Recent	Younger alluvium	Gravel, Sand, Silt, Clay, some secondary Gypsum, Sand dunes.	Unknown, Probably exceeding 100 feet.	Wadis, Sand dunes areas	Some shallow wells near to the Tigris and the Euphrates have satisfactory ground water for use.
	Pleistocene Older alluvium	Deltaic, lacustrine, clay, silt, sand, lenticular.	Unknown, Probably exceeding 600 feet.	Between the Tigris and the Euphrates rivers	Older alluvium contains ground water, but unsatisfactory.



## LOCATION:

The city of Baghdad<sup>3</sup> is located at 33° 26 18 latitude north, and 44° 23 9 longitude east, at an altitude of 34.1 meters. The city extends over both the banks of the river Tigris. Regionally, Baghdad is located in the Mesopotamian plain which has an area of 101,500 square kilometers. Topographically, the Mesopotamian plain is extremely flat; the gradient of the plain is about half a foot per mile in the direction of the Persian Gulf. For most part, the plain is an area of interior drainage, except for the Shatt-al-Arab which drains into the Gulf. Structurally, the bedrocks in the plain dip differently depending upon the direction; they dip less than one degree north-easterly from the Western deserts, but Southwesterly along the Iranian border they dip 20 degrees. Furthermore, a broad syncline exists between the Zagras mountains to the northeast and the stable plateau of Arabia to the south-west. The Mesopotamian plain and the Persian Gulf are believed to be located in this Geosynclinal depression.

Geologically, the oldest expositions found in the Mesopotamian plain are the Euphrates limestones of the lower Miocene age. The lower and upper fars of the middle and upper Miocene age are laid over the Euphrates limestones. Bakhtiary formations of the Pliocene age are found in the northern and eastern parts, while in the South-Western parts Dibdiba formations are met with. Over many parts, the Pliocene and Recent Age alluvial deposits are found. Baghdad falls within the last category of Geological characterization.

More specifically, the city of Baghdad is located in a flat plain of aggradation. The topography is so flat that in some parts, within the municipal boundaries, even swallow depressions are filled in with water; many depressions have been laid with flood plain deposits. The presence of Salt Crust over the surface is a common occurrence. Much of the area has a shallow water table. There is considerable recharge of water owing to irrigation, rainfall, and influent Seepage from the Tigris river.

Earlier in this paper it was mentioned that the most important deposits found in the Baghdad area are those formed and laid down in the Pliocene and Recent Age. Relevant to this, the following information regarding the stratigraphy of the area attempts to present more details about it.

# **BAGHDAD : ASPECTS OF SITE**

**BY**

**GHOUSE MUNIR AHMED**

**M. A., LL. B., M. Sc., Ph. D. (Chicago)**

**Assistant Professor, Department of Geography**

---

## **INTRODUCTION :**

Baghdad is the primate city of Iraq. It is the centre where the national life crystallises into a well-defined line of action which guides the whole country. It is the nerve-centre of all cultural growth and expression. It is at once a political and cultural focus of the country and thereby wields its influence over the entire nation. Furthermore, Baghdad is the functional pivot around which rotate the various functions which bind the primate city with the other regional centres of Iraq.

Geographically, Baghdad commands a favourable location which enables it to communicate with the other parts of the country; its spatial relationships are expressed by the focussing of the various media of transportation on it. Accessibility, thus expressed, enhances its functional dominance over areas of varying dimensions, each area being demarcated on the basis of the particular function in view.

Urban Geography<sup>1</sup> embraces under its scope the investigation of an urban phenomenon from the point of view of its physical foundations; it attempts to explain the features of the very ground on which the city stands. These characteristics are included in the study termed "the Site".<sup>2</sup>

It is proposed in this paper to examine the dominant aspects of the physical characteristics of the site of Baghdad. Such a study is intended to help appreciate the sital features of Baghdad. At the same time, it is useful to keep it in view while examining all plans and schemes of urban extentions and expansions of the city of Baghdad.

ditional theory of competition and bring us no nearer to a solution of the problem. We have no precise knowledge of what constitutes maximum productive efficiency and we have no standards or norms by which to judge what is reasonable in the way of advertising expenditure, or profits, or rates of innovation. Neither is there any agreement as to what degree of fluctuation of prices is socially or economically desirable.

The truth appears to be that it is impossible to give a hard and fast definition of competition which will apply to all times and places. To have public policy on old-fashioned and inapplicable definitions of competition is to invite disaster. If we prevent firms from expanding because of some vague notion of what constitutes the optimum size of businesses we will deny to the community the advantages of large scale production. Moreover, to replace private enterprise by centralised planning is to ignore the fact that the imperfections of the market may very well be matched by the imperfections in the power and influence of those who plan.

The criterion of any public measure must be that the greater social gains should result than social losses. Much remains to be known before any rational conclusions can be drawn. But if the value judgement that competition is a good thing be accepted then public policy may be directed at the strengthening of the competitive elements in the economy. Certain abuses and defects in the economic system can be eliminated by government action. Capital could be made more available to new small firms, and the secure position of some of our larger firms would than certainly be challenged. The elimination of tariff barriers (and subsidies) by extending the area of the market would seriously threaten the existence of domestic or geographical monopolies. Unfair commercial practices directed at small firms might be more severely punished by law. Advertising might be more rigorously controlled to ensure that false or misleading information is not disseminated. The formation of trade associations etc. might be severely circumscribed; the adoption of a full employment policy by the government seems to have eliminated much of the uncertainty which has been used in the past as an excuse for the formation of such bodies. It is possible that if these and similar measures were undertaken, "the actual pattern, though not fulfilling the requirements, may yet act in a way not fundamentally different from the workings of perfect competition".

Baghdad

30th. November, 1959.

Nevertheless it is often argued that within its limited field a firm may still enjoy all the security and advantages of a monopoly position. For example, the imperfections of the market for capital and capital equipment give large firms a decided advantage over small firms, legal and institutional barriers to new firms such as patents or licenses will give the established firm a favoured position and large expenditure on advertising, which only wealthy firms can afford, will create consumer loyalties and preferences which remain stable over a long period of time and greatly help the establishment of a monopoly position. The crucial question here is whether there is sufficient opportunity for small firms to grow in size or for new firms to enter the market. There can be no doubt that the mortality rate amongst small firms and new firms is extremely high but it is possible that too much has been made of this point. There is ample evidence to show that if existing firms are earning abnormal profits newcomers will arise. Firms which have already attained a large size in one field may enter another with all the advantages of large scale production. The machinery for making capital available to and new firms has also been greatly improved.

Above all it must be remembered that competition to the economist has always implied price competition. The fact that fixed or conventional prices to be the rule in a large field of manufacturing business has led many people to rash conclusions as to the nature of the competitive process. It seems to recognise that price has ceased to be the overriding consideration in economic relationships. For most firms competition begins after the price has been settled. Given the price it is the search after buyers which is the element in competition most relevant to the business man. Most business men appear to regard price competition as in some way unfair. There is the notion of the "fair" or "just" price, yet there seems to be little prejudice against cost cutting or against quality and service competition. Greater variety of products, better service and stability of price may often be of more value to the consumer than flexible or lower prices.

With these considerations in mind some economists have evolved a new conception of competition called "workable competition". Competition is regarded as workable if the following conditions are fulfilled: maximum productive efficiency on the part of the firms in the industry or market; no restriction of output; no abnormal spending or reliance on advertising; moderate profits; the maintenance of a reasonable rate of improvement or innovation; and flexible prices.

These conditions are very similar to those postulated in the tra-

declined considerably, that is, the "concentration ratio" in industries has greatly increased. Yet many business men believe quite sincerely that they are still operating in a competitive environment and are bewildered and annoyed by the charges of exploitation and monopolisation which are levelled against them. The truth is that both points of view are correct to some extent, and the inconsistency can only be resolved by a new, more comprehensive and realistic definition of competition.

Economists have always used the "industry" as their unit of analysis and there appear to be two definitions for an industry in current use. The first defines an industry as a group of firms producing technologically similar articles, e.g. the coal industry, the cotton industry, the steel industry, the motor car industry etc. Concentration ratios are then used as evidence of the existence of monopoly. But this is to ignore the fact that each of these "industries" produces a variety of products which may be technically similar but which can only in a very remote sense be considered as competitive with each other. For example an automobile and a tractor are technologically similar and are produced by the same "industry" but they do not compete with one another in the same market. Moreover, many commodities produced by one such "industry" will compete with a variety of articles which lie outside the boundaries of the original industry. Such a definition of an industry is adequate for the delimitation of empirical studies but it is of no value in the determination of whether or not an industry is competitive or monopolistic.

A more realistic definition of an industry is that of a group of firms producing goods which are substitutes for each other in the minds of consumers. This definition very much extends the notion of competition. For example a new house may now be considered as a substitute for a new car, a book for a seat at the theatre so that in the context of effective consumer demand the house industry and the motor car industry become synonymous. The number of permutations and combinations is infinite and the degree of competition may actually increase the further we move from whatever commodity we choose as the "base". In its most extreme form this second definition of an industry implies that all commodities compete with each other for a place in the consumer's pattern of expenditure. Thus the wider our definition of an industry the more intense does competition become. The nature of competition is thus best revealed by an attempt to discover how many choices the consumer has among commodities which satisfy any single want. Interpreted in this sense competition still remains a very important force in economic life.

It was the World Depression of the 1930's which destroyed this general faith in the virtues of competition. As a result of this experience it became clear that the theory of competition was based on a particular set of assumptions which were not consistent with the facts of the market place. The theoretical economist had been concerned with an ideal state of affairs known as competitive equilibrium; he had little to say as to how this equilibrium was achieved or how it could be maintained. Competition to the economist implied order and efficiency; to the business man, hit by the depression, it implied wastefulness, disorder and inefficiency. Economists explained the depression as being in part due to the growth of monopoly in economic life; businessmen saw in trade associations, cartels and the like their only hope of salvation in the face of acute economic difficulties over which they had little or no control.

Thus a gulf was created between the ideas and terminology of the economist and those of the business man. The reaction against competition amongst academic economists was almost complete. The facts of the modern economic system appeared to be that many, if not most, industries were dominated and controlled by a few very large firms. The growth of large scale production, changes in methods of selling, particularly the development of advertising, and the increasing use of corporative forms of business organisations seemed to have established a rule of monopoly and not of competition in economic life. In order to bring economic theory into line with business practice a new word - "rationalisation" - was coined to describe the elimination of the "unfit" by mergers, absorptions and price and output fixing associations. The idea of the "good" monopoly grew in favour and in the 1930's the flight from competition was led by the British Government "by Precept, example, inducement and compulsion". A whole host of new terms, of a bewildering variety and shades of meaning came into being. In the past thirty years economists have variously described competition as pure, perfect, imperfect, monopolistic, atomistic, homogeneous, heterogeneous, pliopolistic, polypolistic and oligopolistic. We have even heard of a curious thing called atomistic homeopoly. Neither has the business man been backward in devising new terms. Competition has been described as fair or unfair, cut-throat, predatory, brutal, destructive and ruinous depending upon the point of view.

The difficulty appears to be that monopoly is associated in the minds of most people with bigness. There can be little doubt that the development of mass production has increased the average size of firms and that the number of firms to be found in any one industry has

For nearly two hundred years the theory of competition has been dominant in economic discussions. The concept of competition has developed greatly from the earliest definition of competition as "the act of endeavouring to gain what another endeavours to gain at the same time". Competition came to be regarded, and in some quarters is still regarded, as the fundamental and "natural" state of economic life and the belief that competition, in some obscure way, achieves the best of all economic worlds has a long tradition. This tradition may be traced back to Adam Smith who, in the *"Wealth of Nations"*, discerned an 'invisible hand' guiding our destinies in the path of economic salvation and maximum profits, to the Reverend. T. R. Malthus who maintained that hardship and competition were necessary to bring out the best in a man, and to the economic Darwinians of the mid-nineteenth century who argued that the results of competition were that the fittest survived - the "fittest" naturally being defined as those who did survive. Thus competition acquired a moral, even a religious flavour. The doctrine became an immutable law comparable to the laws of physics.

Yet heretics and deviationists existed even in the Golden Age of Capitalism. Adam Smith's remark that "business men seldom gather together, even for amusement and diversion, but the conversation ends in a conspiracy to defraud the public or in some device to raise prices" indicates that the Father of Anglo-Saxon economics was not wholly convinced of the universality of competition. John Stuart Mill noted the distressing fact that "when competitors are few they always agree not to compete". He added that "they may run a race of cheapness to ruin a new candidate but as soon as he has established his position they come to terms with him". Such warnings and qualifications were, in general, ignored. In English economic circles in the mid-nineteenth century such remarks smacked of Socialism, and Continental Socialism at that. Bastiat earned general approval for his reply to Proudhon's assertion that "competition is killing competition". "It is sufficient to know", said Bastiat, "that competition is nothing else but the absence of any arbitrary authority interfering with buyers and sellers". The self seeking and economically anarchic British business man of the time interpreted this statement as implying that as long as the Government confined itself to doing nothing, and doing it with calmness and restraint, competition was indestructible. This idea was reinforced, albeit unintentionally, by the mathematical economists of the late nineteenth century who appeared to give competition a scientific basis in their search for the conditions which would ensure "perfection" of competition.

## THE "DECLINE" OF COMPETITION

BY

J. H. Davies, B. A., M. A. (Wales), F. R. Econ. S.

2, 700 words (approx.)

Competition has always been regarded as a necessary spur to efficiency and enterprise in economic conduct. It is not surprising, therefore, that so much concern has been expressed over the ever increasing tendency towards a rule of monopoly in our economic life. In many quarters this movement towards monopoly is regarded as inevitable, indeed fundamental, and many suggestions have been made for dealing with this supposed evil. Particularly the conclusion has been drawn that if the community is to avoid the evils of private monopolistic exploitation the economic system must be transformed into some kind of collectivism in order that the benefits of competition may be obtained by State action.

It is impossible to deal with all aspects of this controversy within the space of this short article but it may be suggested that the fears of many people regarding this "decline" in competition is based on a misunderstanding of the nature of competition and of the competitive process and that there has been an over reliance on outmoded definitions. In the history of economic thought the word "competition" has come to mean many things and has accumulated a great burden of political and emotional associations. As a result we are often uncertain what it is supposed to mean in any particular context. Moreover, our attitude to economic institutions and processes tends to change over time so that new meanings of the word "competition" are continually being added to our stock, often quite unconsciously. Economic theory tends to reflect, and is selected by, the political, social and religious environment in which it exists, and which it helps bring into being. The trouble arises because economic theorists and practical men of affairs tend to move in entirely different worlds and the ideas of the first group seldom coincide with the actions of the second. Such a discrepancy can be very serious when public policy measures are being prepared to remedy social and economic abuses. It is clear that what the economist means by competition often bears little or no relation to the everyday use of the word by business men.



Archaeology cannot as yet provide complete data of this sort for the Ancient Near East.

Since pottery is fragile and prehistoric man's transport was probably limited, we may assume that it was not a mass production. However, a survey of a great number of sites indicate that occasionally it has been distributed, probably by travellers, or perhaps by professional wandering traders in exchange for raw materials or manufactured objects such as stone, wooden or obsidian tools, textile, and food.

It is noteworthy that not only the better made, well finished, or fancy polychromed vessels were exported, imported, or locally imitated but even types of lesser artistic values. Hassuna, Halaf, Ubaid wares in their various fabrics are widely distributed in the Near East.

## 2. Religious Practices

From pottery sometimes we learn man's past religious rituals and beliefs. He used clay vessels as containers for his infant burials,(20) as well as for grave goods buried with the body so that the deceased might use them in his after life. In some cases these were specially made, and in others they were merely the pottery of daily use. Certain vessels probably were used for ceremonial purposes, as libation in the case of the spouted and the theriomorphic ritual vases.(21) The position of the goods may indicate a funerary ritual but at any one period may or may not have been a continuous funerary tradition.

## 3. Miscellaneous

Pottery offers a good field for the study of the local decorative art, and of artistic relationships between different groups of prehistoric people. At this early time potters expressed their artistic skill in a geometric style and copied nature either in an abstract or a realistic style. Whether the representations of the geometric or the natural objects were meant to be symbols of anything else is hard to know now and will always remain controversial.

Pottery also provides some knowledge of the fauna and the flora of the prehistoric environment. The many animals, birds, and plants that are depicted on the vessels cannot be determined by the archaeologist. They need a special study by botanists and zoologists, and even then they may remain unidentified.

---

(20) Safar, JNES, Vol. IV, No. 4, 1945, Pl. III:3.

(21) Tobler, Excavations at Tepe Gawra. Vol. II, Levels IX-XX, 1950, Pl. CXXIII:113; Ziegler, Die Keramik Von Der Qala'a Des Haggi Mohammad, 1953, Pl. 20:d; Delougaz, Pottery from the Diyala Region, 1952, Pl. 7, 25 a-b, 26.

polychromy. The motifs are either geometric or else naturalistic designs such as plants, birds, animals, and human beings, carried out either in an abstract or realistic style.

### 3. Painted and Plastic Designs

A combination of painted and incised motifs was also in use by prehistoric potters. The Hassuna standard type offers the best examples of this combined technique.

When all the foregoing technological aspects of vessels have been studied, clays and paints identified by chemical tests, shapes and designs analyzed, and each established in terms of stratified vertical distribution, horizontal diffusion, quantity, repetitiveness of features or uniformity, and changes in styles, the archaeologist may then identify the individual ceramic wares and classify their varieties. When this is done, the line between wares or their variants can be drawn. On this thorough basis, Hassuna, Halaf, and Ubaid ceramic material each respectively forms a special unit.

For absolute dating of prehistoric assemblages a sample of organic material such as charcoal, wood, bone, or shell is required. From this one may obtain a radio-active carbon date. Ideally, the sample must be taken from the same deposit that yields the ware. If the excavations fail to produce such a sample, a relative chronology could be established on typological grounds by correlation with better dated sites, or at worst, an informed guess on an arbitrary date.

## II. Material Culture Dispersion

### and Interpretation

#### 1. Cultural Interactions

The occurrence of an intrusive ware made of a native clay or a foreign clay may suggest either a peaceful migration or a violent invasion (if evidence of fiery destruction on a large scale were visible in the deposit). An intrusive ware made of a foreign clay can also indicate trade. Relative quantities have bearing on the interpretation of such wares.

The volume of any trade or migration could be estimated if the originating cultural centers, at least in terms of geographical regions, were known, the clays tested, the data on technical traits assembled, and well organized statistical tables (based on the differences in shapes and designs of a large stratified sherd collection) drawn up

clay must be studied. In an oxidizing atmosphere iron oxides give various shades of yellow, orange, red, cream, buff, brown, and black. In a reducing atmosphere various shades of gray and black are produced. (19)

Since black color can be produced either by oxidation or reduction, a refiring of the sherds in an oxidizing atmosphere is required to determine the cause. Upon refiring, if iron has been the cause of the black color the sherds will turn red, and if carbon, they will become buff or cream.

### 3. Shape

Identical shapes of vessels in two or more regions may be taken as clues for either ceramic contact or a similarity in needs. The more elaborate and characteristic individuals are the more important shapes for suggesting any contact. Simple shapes might conceivably be produced by independent invention. They are not important as clues for relations.

Pottery shapes are indicators of certain needs in a cultural development. Consequently new ceramic peoples appear with new tradition. In fact the history of the early pottery is to some degree the history of its shapes.

### 4. Design

The decorative designs used in pottery are plastic, painted, or both.

#### 1. Plastic Designs.

They are: a. Incised, either stabbed or gouged by a sharp tool of bone, stone, obsidian, or wood. b. Stamped. c. Appliqued. These are all made when the vessel is still in a leather-hard state. The motifs produced by the incised and the stamped techniques are generally geometric, such as linear designs, bands, triangles, lozenges, dots, etc. The applique technique may produce geometric as well as naturalistic motifs.

#### 2. Painted Designs

They are applied in monochromy, polytony, bichromy, and

---

(19) Colton, Potsherds, Museum of Northern Arizona Bulletin 25, 1953, pp. 32-35; Colton and Hargrave, Handbook of Northern Arizona Pottery Ware, 1937, P. 8.

various color combinations employed are useful characteristics in ceramic identification.

#### e. Firing atmosphere

Vessels may be baked in an oxidizing or a reducing atmosphere.

##### 1. Oxidizing atmosphere

This is achieved in the open air, in an oven, or in a kiln that permits sufficient oxygen to have a visible effect on the impurities, chiefly carbon and iron compounds. Carbon will burn out as gas and iron compounds will oxidize. If the temperature is low the carbonaceous material will not be driven out, and a black core will be produced in the fabric. The extent of this black core will decrease as temperature increases and disappears when fully oxidized.

The full sequence was nicely demonstrated when Matson made firing tests on clay samples taken from the banks of the Tigris River south of Baghdad.(17) The grayish-tan raw clays turned black at a low temperature because of the presence of carbon; at 800°C the black color changed to salmon or reddish brown; at a little higher temperature it became yellow; and at still higher temperature it became yellow-green, then green.

##### 2. Reducing atmosphere

This is achieved by preventing the oxygen from reaching the vessel in a closed oven or kiln. In this method carbonaceous materials have no means of egress. They are deposited in the vessel's pores giving it a black appearance.

A reducing method was used by early prehistoric potters in various regions of the Near East.(18) First the vessels were fired in an oxidizing atmosphere then covered with manure or grass. The volatile materials converted into smoke and having no means of escape, settled on the vessel and carbon filled the pores, making the vessel black, dark gray, or gray depending on the duration of the reducing process.

To determine what firing atmosphere was used, the colors of the

---

(17) Matson in the American Ceramic Society Bulletin, Vol. 34, No. 2, 1955, P. 34, Fig. 2.

(18) Such as: Tell Hassuna, Cf. Lloyd, JNES, Vol. IV, No. 4, 1945, P. 265; Nineveh I. Cf. Thompson and Mallowan, AAA, Vol. XX, 1925, P. 150; Arpachiyah, Cf. Mallowan, Iraq, Vol. II, 1935, P. 175; Amuq, Cf. Matson, in JACS, Vol. 28, No. 1, 1945, P. 22; Ras Shamra, Cf. Schaeffer, Syria, Vol. XVII, 1936, P. 130; Mersin, Cf. Garstang, Prehistoric Mersin, 1953, P. 18; Secjgozu, Cf. Garstang, AAA, Vol. XXIV, Nos 3-4, Pp. 130, 132; Tarsus, Cf. Goldman, Excavations at Gozlu Kule, Tarsus, Vol. II, 1956, P. 66.

4. White: Obtained from kaoline and white marl or calcium carbonate.

The identification of a paint's composition is a chemical task. There are, however, a few field methods that may be used for preliminary determination:

1. Iron base paints may be distinguished by the use of a magnetic bar. When the scraped paint powder is attracted and stuck to the bar, the paint is derived from iron compounds.

2. To distinguish iron from manganese paints, a test<sup>(16)</sup> is required. In this test the scraped powder is placed on a glass slide and treated with a 1:1 solution of hydrochloric acid. On heating on a low flame, if iron is present, the solution will turn yellow - (a ferric chloride formation). If the paint powder is treated with a drop of 1:7 solution of nitric acid with sodium bismuthate used as an oxidizing agent, the drop will turn purplish pink (a sodium permanganate formation) which is a clue to the presence of manganese.

3. Organic paints may be determined by converting carbon to carbon dioxide gas on heating. A drop of hydrofluoric acid is needed before heating to dissolve silicates because the paint from juices is absorbed by the clay. If the paint is not carbonic, but a black iron oxide it will turn to red ferric oxide in this test.

#### d. Techniques of Coloring

The use of more than one color in ceramic decoration is found in many varieties:

1. Polytone is produced by applying the same paint twice, once heavily and once lightly.

2. Bichrome is produced by applying the first paint before firing and the second after firing. The post-firing paint is fugitive unless it is refired at a different temperature. Bichromy also may be obtained by applying two paints at different temperatures during the baking process.

3. Polychrome is produced by the use of bichromy on a white slip, or the use of two paints at different temperatures and the third in the post-firing state, or the use of three paints at different stages of the baking.

The kind of pain - whether organic, mineral, or clay - and the

---

(16) Shepard, 1956, pp. 141 - 143.

shows that the three wares to be discussed here bear paints of any organic origin.

## II. Mineral Paints

### 1. Iron Oxide Paints

For the most part these include magnetites, limonites, and hematites. The red and yellow ochres that contain iron-oxide or hydrated iron-oxide are considered earthy hematites.

Limonite hydrous oxides are transformed into red ferric oxides because of dehydration on firing. Red iron oxide paints are also used in a post-firing application as a fugitive hematite wash.

Black iron-oxide paints are produced by using magnetite in a neutral stmosphere or hematite in a reduced atmosphere. The original paint can be determined by refiring the sherds. The paints when having the color of ferric oxide are hematites that were not reduced or magnetites that were oxidized. The second step is to determine the firing atmosphere. The color of the clays would give us the clue. If it were oxidizing, magnetites would convert to ferric oxide, and the clay would have oxidized. If it were reduced, then the clay would be gray and the paint derived from magnetite oxide. If neutral, the carbonaceous clay would not be oxidized and the ferric oxide would not be reduced.

### 2. Manganese and Iron-Manganese Paints

The common oxides and hydroxides of manganese give black or brownish-black paints which will remain unchanged when fired in an oxidizing stmosphere. The different shades of the dark brown and the brownish-black are produced at different temperatures. Iron oxide that occurs with manganese oxides does not produce any great change in the color of the paints.

## III. Clay

Kaoline and white marl give a white paint upon firing.

In short, the colors of the commonly used paints include:

1. Black and brown-black: Obtained from iron oxides, iron-manganese ores, graphite, and plant juice.
2. Dark brown: Obtained from iron manganese ores.
3. Red, orange, yellow, buff, and purplish gray: Obtained from iron oxides and ferruginous clays.

and give it a shiny effect. Burnishing might be done while the pot is in the leather-hard condition, or else after firing, with a soft piece of stone, pebble, or leather. In burnishing a vessel, all its pits, grooves, and depressions will stay open. There is no way of leveling them unless the vessel is scraped down.

The operation of burnishing is considered an advanced technique, and is of value for ceramic identification.

#### b. Slip and Wash

Slip is a well levigated clay used as a coating on the exterior, the interior, or on both these surfaces of the vessel to give it a smooth appearance by filling in the pores, grooves, and other depressions. It may be prepared from the same clay of which the vessel was made or from a different clay. In the first case it is considered as a "self slip" and in the second it is characterized by color identification. Slip is usually applied to the vessel in its leather-hard state. After baking, it may be burnished so as to produce a lustrous appearance. Otherwise it is matt.

Wash is the coating that is applied to the vessel after firing. It is therefore fugitive and rubs off easily.

#### c. Paint

Paints used in ceramic decoration are either organic, mineral, or else of clays.(15)

##### I. Organic Paint

###### 1. Plant Juice

The paint obtained from this source is black carbon, if the temperature is low and the firing is short. If the temperature is high and the duration of baking is long, carbon will burn out leaving only traces of white ash.

###### 2. Graphite

Principally organic. It is found in metamorphic carbonaceous deposits and rocks as well as in coal beds. It also comes from non-organic sources. Graphite produces a black carbon paint when rubbed on a vessel either before or after firing. In the first case medium is required and in the second the temperature must be low.

As far as tests are concerned, the writer knows of on record that

---

(15) For the following details the writer depends on laboratory experiences and experiments reported in Shepard's, 1956, pp. 31-42 171-181, 385-390.

cracking of the vessel in its leather-hard stage or during the firing process. For definite identification of the various impurities a petrographic or a binocular microscopic test is required.(11)

Except for those materials added by the potters for binding, the occurrence of the various impurities usually have no meaning in terms of technical actions, inherited traditions, and cultural relations.

#### b. Porosity

The true porosity of a vessel is the ratio of the volume of the pore space to the total volume of the piece; the apparent porosity indicates the percentage of the open pores per unit volume of its bulk volume.(12) The determining factors of the porosity of a vessel are the quality of the clay, the size and the quality of the impurities and the temperature at which the vessel was baked.

The apparent porosity may be determined through a laboratory test. First the dry sherd is weighed, then saturated in boiling water, then weighed at once. The difference between the dry and the wet weights is the volume of the pores that could be reached by water. The total volume of the sherd is obtained by measuring the amount of water that the saturated sherd had displaced.(13) The apparent porosity is established when the volume of the pores is divided by the total volume multiplied by 100. the calculation would be as follows:

$$AP = \frac{VP}{TV} \times 100$$

Matson has made porosity tests on some potsherds from eight Iraqi sites. The pottery wares and the sites are unknown. The average value for 103 sherds was 34.2 per cent.(14)

Since our early prehistoric wares contain impurities of various sizes and qualities, and since the potters at this early date had no means of controlling temperature, porosity must be considered less useful for ceramic classification because it varies with the temperature and the inclusions not only from site to site but even from vessel to vessel.

### 3. Treatment

#### a. Burnish

The purpose of this process is to smooth the surface of the vessel

---

(11) For details of such studies see Shepard, 1956, pp. 139 - 141.

(12) Matson, in *Papers of the Michigan Academy of Science, Arts, and Letters*, Vol. XXVI, 1941, P. 469, Shepard, 1956, P. 125.

(13) Shepard, 1956, P. 127; Matson, 1941, p. 470.

(14) Matson, 1941, pp. 472 - 474.



(or coils) were built up one over another to the desired or required height. The vessel wall might then be thinned by pressing, and evened out by wet-smoothing.

Evidence of coil structure is present at Mersin,(8) and probably at the Hassuna.(9) Whether the Near Eastern potter did use the paddle-and-anvil technique of his New World counterpart, we do not know.

Ubaid pottery has been described as being made on a slow wheel or tournette(10) which seems to be an assumed logical stage between hand-made and true fast wheel-made techniques. Actually there is no definite reason for this assumption, at least not in the case of the three wares under discussion: Hassuna, Halaf, and Ubaid. For instance the circles traversing the pot can easily be made by thumb impressions during the process of wet-smoothing. Such finger impressions are clearer on small vessels made of well levigated clay. They are faintly visible or invisible on large coarse pots because of the heavy large-sized impurities. Assuming that the ancient Near Eastern potter had a slow wheel, why did he use it only for some of his products? Further, the prehistoric pottery which is described as being tournette-made was found for the most part in mixed range deposits that also contained Uruk and Jamdet Nasr pottery, both of which are obviously wheel-made. Thus it still seems more reasonable to think of pottery as being made by hand in Iraq until the introduction of the wheel method by Uruk people in Uruk period.

The methods of construction may be a clue to cultural interactions of ceramic groups, although identical problems can reach similar solutions independently. Nevertheless, the method of construction should not be neglected when wares and types are concerned.

## 2. Properties

### a. Impurities

A preliminary inspection of a potsherd under a 20-power geological lens reveals particles of various materials with different colors and sizes. Some of these, such as quartz, mica, limestone, shell, jasper, and volcanic ashes are natural products deposited in the clay by many physical factors. Others, like chaff, grass, roots, straw, and broken potsherds were intentionally added by the potter to prevent the possible

---

(8) Garstang, Prehistoric Mersin, Yumuk Tepe in Southern Turkey, 1935, P. 36, Fig. 20:19.

(9) Safar, in JNES, Vol. IV, No. 4, 1945, P. 277.

(10) Woolley, Ur Excavations, Vol. IV, 1956, P. 8; Hall and Woolley, Ur Excavations, Vol. I, 1927, P. 162; Cros, Heuzey, and Dangin, Nouvelles Fouilles de Tello, 1914, P. 310; Haller, Die Keramik der Archaischen Schichten Von Uruk in UBIV, No. 6, 1932, pp. 32-34.

In these events the stratified objects may be mingled as a result.

To avoid confusion, excavators are reminded to check the findings in the light of their stratigraphy and "report the full account of the problems involved in order to enable later researchers to make their own conclusions." (6)

When the ceramic materials are excavated, the identification of the individual fabrics in terms of ceramic wares, types, and varieties, must be made on the basis of a detailed study of their clay, technology, shapes, and designs.

## 1. Clay

The quality of the clay provides a basis for distinguishing native from imported vessels. The chemical composition of the clay and the atomic structure of the minerals in the clay from (a) the potsherds and (b) the soil samples from the site can be determined by spectrographic analysis and X-Ray diffraction. (7) Such a test would establish whether the vessels were made of native or foreign clay. Allowances may have to be made for a possible use of the native clay by the invaders, or the migrators' use of their own otherwise foreign ware. This could be detected by contrast with other ceramic traits.

## 2. Technology

The technical traits of a ceramic ware include: the method of its construction, its properties, and its treatment.

### 1. Construction

Pottery can be made by hand, or in a mould, or on a wheel. Only the first method was used by the early prehistoric Near Eastern potters. By analogy with modern practice it was carried out in two ways:

a. By shaping lump of clay with the hands to the desired or the required form. A hole was first opened in the center of the lump by vertical introduction of the thumbs. The walls were then thinned and built up at the same time, by pressing back and raising the wet clay with the aid of wet-smoothing.

b. By building up the vessel in a coil structure. The clay spirals

---

(6) Frankfort, *Studies*, 1924, p. 3.

(7) Shepard, *Ceramics for the Archaeologist*. Carnegie Institute of Washington, Publication, No. 609, 1956, pp. 143, 146.

funerary purposes. Compared to stone as a material, pottery is lighter, easier to make and in less time, and porous.

It seems likely that pottery-making was not accidental as suggested by Frankfort,(4) because this process needs a fair amount of industrial thought and technical preparation. In Iraq, we must assume, it was made first in the Hassuna period since no pottery earlier than Hassuna is known there.

Ceramic studies are very useful for past cultural reconstruction. They demonstrate the existence of detailed technical methods in use by the early potters in the manufacture of their wares. They also cast light on the past cultural interactions, religious practices, and other aspects of ancient life.

### 1. Bases for Ware Classification

Pottery is fragile, but the broken potsherds remain fairly indestructible(5) in prehistoric deposits. When a cultural group was replaced at a site for some reason, or a site was shared with newcomers, or finally destroyed, or abandoned, the ceramic records of these events usually would remain.

The Near Eastern sites generally belong to more than one culture. A site develops into a tell, or a mound, made of various accumulated occupational debris. These deposits are stratified, level upon level, up to the present day surface. There potsherds are usually scattered through the composite representation of the mound's successive eras. The sequence of cultures in the mound usually lies safe, though some disturbances caused by animals, man, or nature are to be expected:

1. Disturbances caused by animals include for the most part those by the gopher or the Near Eastern jumping mouse, called jarboo'a by the natives. These animals build their nests deep in the ground, sometimes as deep as the virgin soil below the mounds. Thus, they cause displacement of small objects from one level to another.
2. Disturbances caused by man when digging burials, wells, and pits for brick making or repairing buildings. Considering the results of his work, man is as detrimental in these cases as his counterpart, the mouse.
3. Disturbances caused by nature include earthquakes and floods.

(4) Frankfort, *Studies*, 1924, P. 12.

(5) "The crystallization of salts from ground water will cause some low-fired pottery to disintegrate," cf. Matson, 1955, p. 33, footnote No. 3.

## CERAMICS IN ARCHAEOLOGY

T. Dabbagh, Ph. D., (Harvard)

Rr. Phil.

In a historical site archaeologists rely on clay tablets or other written documents for piecing together knowledge of the past, but in a prehistoric site the manufactured objects stand as an immortal record of preliterate man. They are of great aid to the archaeologist in tracing the history of the site under investigation. Thus, in a prehistoric non-ceramic assemblage, stone objects are of paramount value for palaeolithic research, while in a prehistoric ceramic horizon pottery comes to the fore.

Man certainly did use containers made of materials other than clay before the invention of pottery. Frankfort suggests by analogy with living groups that leather and wood were the raw materials that preceded pottery making for containers.<sup>(1)</sup> This suggestion, though it has no definite archaeological support, in the absence of actual findings of such materials, might be true in a jungle culture but so far lacks evidence in the Near East.

Recent excavations at Jarmo (a well stratified site in northern Iraq) yielded stone vessels in the pre-ceramic levels 8-6, as well as in the ceramic levels 5-1.<sup>(2)</sup> The Jarmo assemblage seems not only to provide evidence of stone containers preceding pottery vessels but also certain features in shape profiles<sup>(3)</sup> that suggest some continuation of previous traditions.

Pottery seems to have been made first when man established himself in a village community as a food producer. It is, so far, still true that no class of pottery has been found that is characteristic of caves alone; every ceramic ware found in caves can also be related to non-cave settlements in early or later village sites. Among his other new achievements, man at the village level invented pottery for cooking, cooling water, storage, transportation, ritual, ceremonial, and

---

(1) Frankfort, *Studies in Early Pottery of the Near East I*. Royal Anthropological Institute, Occasional Papers, No. 6, 1924, p. 12.

(2) Adams, *The Jarmo Pottery and Stone vessel Industries*. Unpublished M. A. Thesis. University of Chicago, 1952, p. 4.

(3) The following shape types occur in stone at Jarmo, cf. Adams, 1952: Type 16 in levels 8-6, cf. Fig. 10:3; Types 1, 12, 15 in levels 5-3, cf. Fig. 11: 8, 4, 10; Types 15 and 16 in levels 2-1, cf. Fig. 12:2, 12.

## CONTENTS

Dabbagh, T:	
Ceramics in Archaeology	1 — 12
Davies, J. H:	
The "Decline" of Competition	13 — 18
Ghouse Munir Ahmad:	
Baghdad: Aspects of Site	19 — 25

---

### *Editorial Board*

Professor Nagi Maruf

Dr. Ibrahim Al-Samuraii

Dr. Fadhil Zeki

Dr. Shakir Khusbag

Secretary:

Dr. Ali Jewad Al-Tahir

# **BULLETIN**

OF

## **THE COLLEGE OF ARTS**

---

**VOLUME 2**  
**FEBRUARY, 1960**

---

Issued By  
The College of Arts, Baghdad University

---

Printed at Al-Ain Press, Baghdad